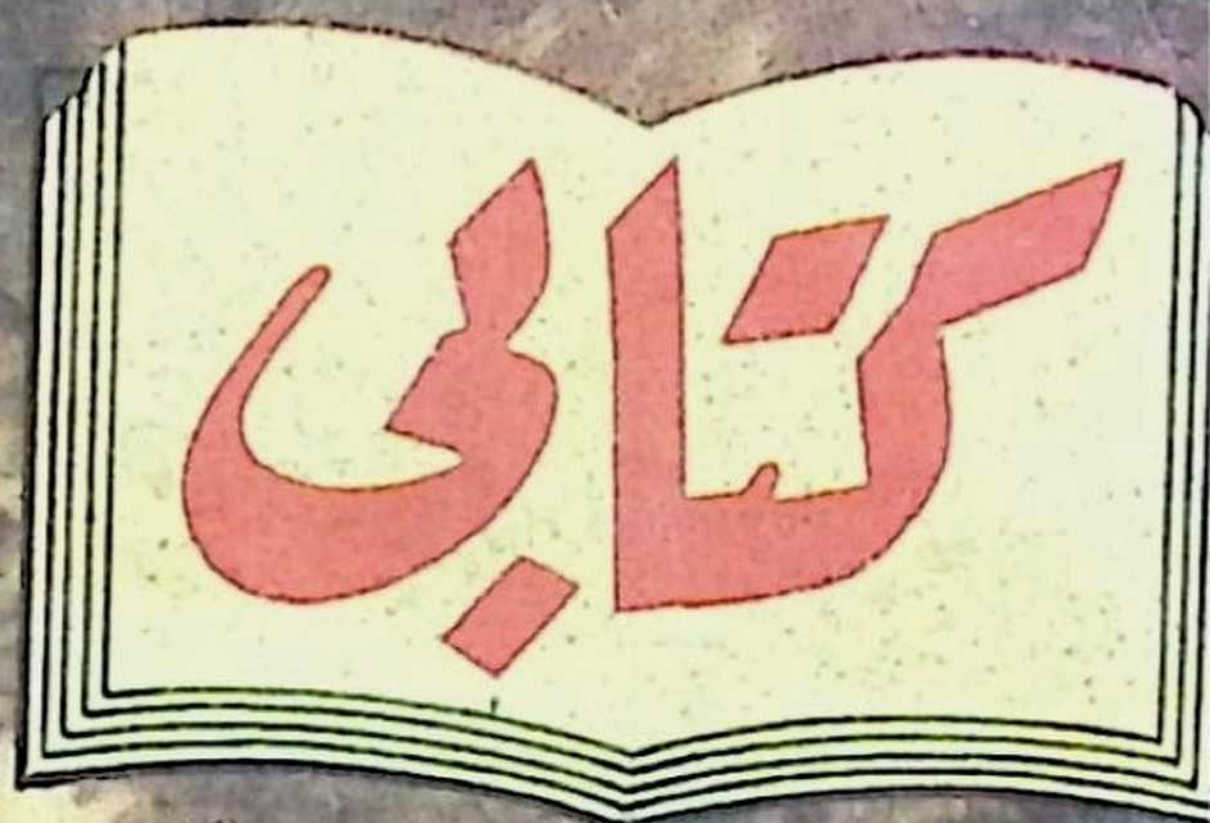




١٠ قروش

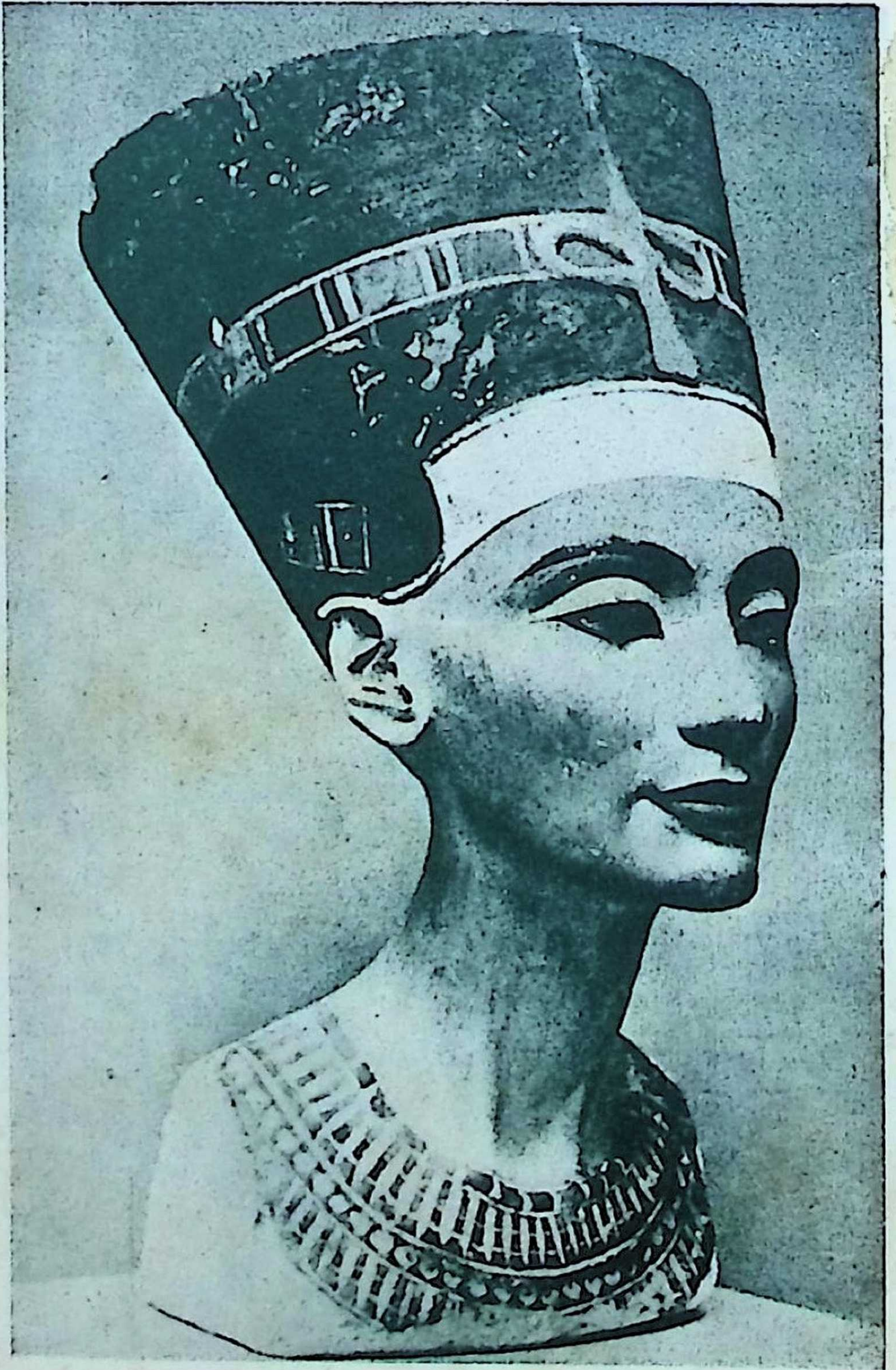


کتابی

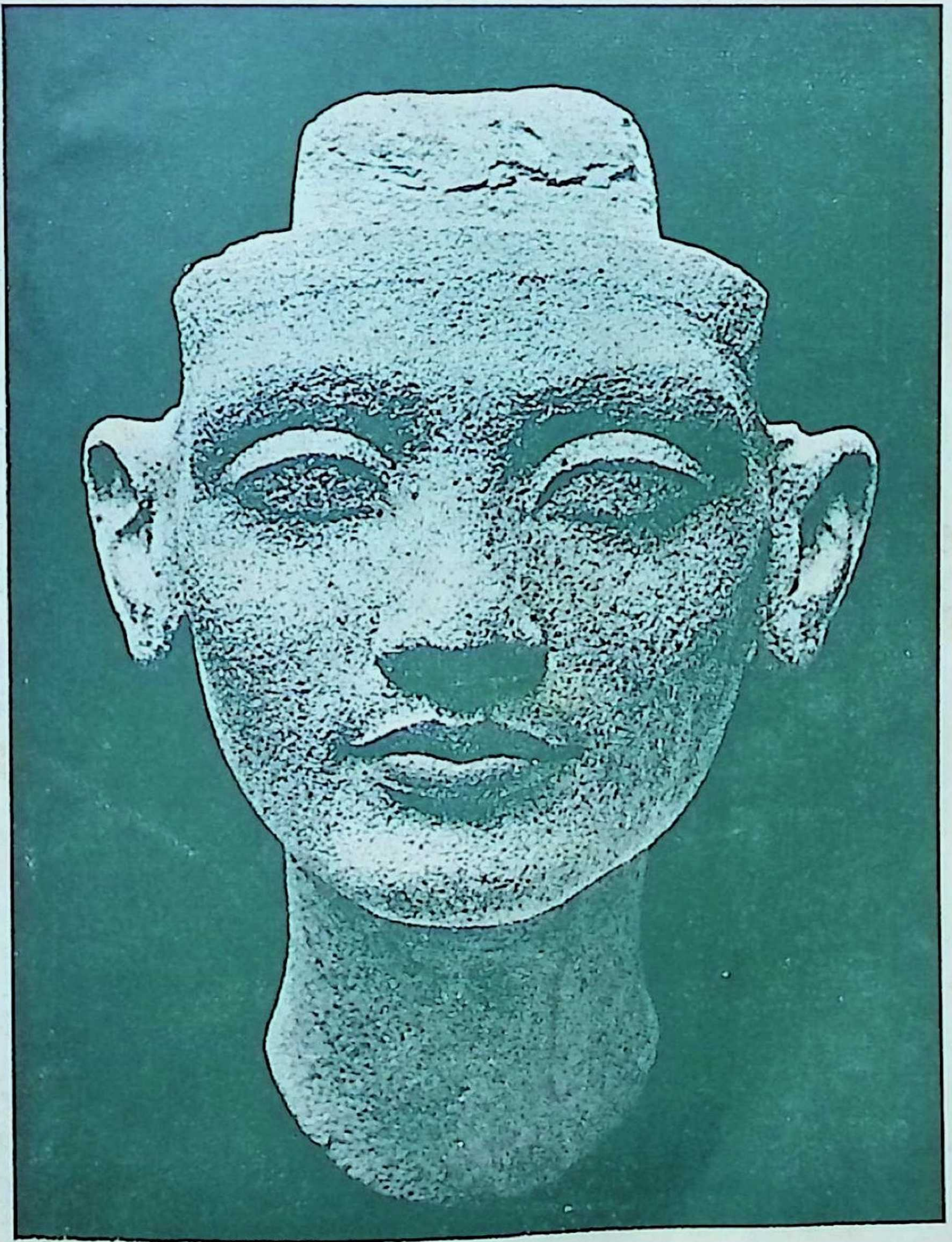


”افطار فوق العشب“
لوحة للرسام ”مانیه“

حامی مراد



التمثال المشهور المحفوظ بمتحف برلين لراس الملكة المصرية «نفرتيتي» ،
زوجة الملك «امينوفيس» الرابع . . وقد أبدع الفنان اذ انطق الحجر
بهذه الابتسامة الغامضة ، وهذا الجمال والجلال (اقرا في هذا العدد
الكتاب الذى يقرأه العالم هذا الشهر عن تاريخ مصر)

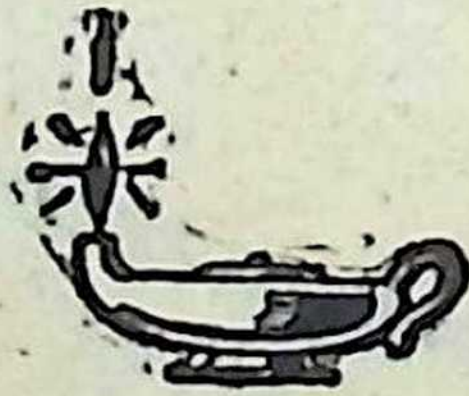


تمثال آخر لرأس «نفرتيتى» بمتحف برلين ، يبدو فيه وجهها أكثر امتلاء ،
وعيناها أكثر رقة (رغم ان مكانهما شاغر) .. كما نطقت حركة فمها
بالطهر والحساسية البالغة .

كناج

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب



مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السادس والأربعون (السنة الرابعة) : يناير ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

صالحى مراد

بهنشك بالعلم الجيد، وسهولتك في
مسترة أهلها النجدة وأطيب التمنية

محتويات الكتاب

الموضوع

الصفحة

رأيت وسمعت لك في باريس : مشاهدات وتعليقات للمحرر	١٣
العيون السوداء : قصة مصرية في يوميات للمحرر	٣٩
الوحد (قصة المجتمع عندما يتمرغ في الوحل) : للروائي الفرنسي الكبير اميل زولا	٥٩
« بلياس » و « ميليزاند » : قصة تمثيلية كبرى للأديب البلجيكي الأشهر « موريس مترلينك »	١٠٩
كتاب الشهر (من فرعون ٠٠ الى فاروق) : للمؤرخ الانجليزى المعاصر « هـ ٠ وود جارفيس »	١٢٣
صعوبات التفاهم الزوجي : من محاضرات مدرسة الوالدين ، للباحثة الفرنسية الدكتورة فرناند ايزانبير	١٥٩
دنيا الحب والسعادة : للأديب الالماني الأشهر اميل لودفيج	١٧١
مذكرات كازانوف : فصل جديد من الكتاب الكلاسيكى الحالد فى أدب العشق والمغامرة	١٨٣
أساطير القدماء	١٩٣
تاريخ العالم : (الحضارة التى أفتتحت سجل التاريخ) للمؤرخ الفرنسى رينيه سيدللو	١٩٦

القصة التي حوكم مؤلفها بسببها !

عزيزى القارئ :

♦ أحب أن أحدثك فى هذه السطور عن القصة الطويلة الممتازة التي أعدتها لأقدمها اليك فى « مطبوعات كتابى » فى منتصف هذا الشهر ٠٠ ولعلك تذكر أننى لخصت لك فى عدد سابق - ضمن فصول كتاب « أندريه مورو » الممتع : « أقنعة الحب السبعة » - الفصل الذى حل فيه قصة « جوستاف فلوبير » المشهورة (مدام بوفارى) ، باعتبارها نموذجا خالدا للون من ألوان الحب السبعة ، هو الحب الذى تدفع اليه الرغبة فى الفرار من الواقع ، والتغلب على الضجر !

وأمامى الآن أحدث كتاب للروائي الانجليزى المعاصر « سومرست موم » ، وقد حل فيه « ١٠ قصص عالمية » يعتقد أنها أعظم ما أنتج الفكر البشرى فى جميع العصور ٠٠ وفى مقدمة هذه القصص العشر التي اختارها ، قصة ٠٠ (مدام بوفارى) أيضا !

ومنذ شهور قامت إحدى المجلات الادبية الفرنسية باجراء استفتاء استطلعت فيه رأى الادباء عن أحسن عشر قصص طويلة فى الادب العالمى ، فكانت قصة (مدام بوفارى) من هذه القصص العشر !

فما هى هذه القصة التي أثارت كل هذا الضجيج ؟ ٠٠ ومن هو مؤلفها ؟

جراح « النفوس » البشرية !

♦ هو « جوستاف فلوبير » ٠٠ كان أبوه جراحا شهيرا فى مدينة (روان) ، فكان أول ما تفتحت عليه عيناه فى دنياه ،

ما آسى العراق مع الموت بين جدران مستشفى أبيه ! .. ويؤثر
هذا الجو في عقل « فلوير » الباطن ، حتى يكبر ويفقد رجلا ،
فيكتب الى خليلته الفاتنة « لويز كوليو » يوما رسالة يقول
فيها : « ان منظر المرأة العارية يجعلنى أتخيل هيكلا العظمى ! »
ويشغف « فلوير » منذ صباه بالتعمق الى باطن « النفوس »
البشرية أيضا - لا الاجسام وحدها - وتأمل الهيكل العظمى
« للأفكار » الشريرة التى تختبئ فى أعماق أنقى الناس سريرة
فى الظاهر !

ثم يشب الفتى عن الطوق ، وقد أولع بقراءة شكسبير ،
وهوجو ، وبيرون ، وروسو .. الخ .. وحين يحظى بفرصة
زيارة هوجو فى مكتبه ، يصف أثر الزيارة فى نفسه بقوله :
« حدثت فيه مشدوها ، كما أحدث فى اناء مملوء بملايين الجواهر ،
مدققا النظر فى يده اليمنى التى كتبت تلك الروائع الجميلة ،
قائلا لنفسى : « هذا هو الرجل الذى جعل قلبى ينبض ، أشد
نبض عرفته منذ ولدت ! »

راهب الأدب !

♦ ويرسله أبوه الى باريس ليدرس القانون ، رغم نفوره
منه ، لكنه يصاب فى حادث يسبب له مرضا عصبيا ، فيهجر
دراسته .. ولا يلبث أن يحترفه الادب الذى يعشقه ! ..
يحترفه باخلاص وتفان مثاليين لم يسمع أحد بمثيلهما ! ..
اخلاص وتفان يجعلاه يرى أن هدف الحياة ليس هو أن يعيش ،
وانما أن يكتب ! .. والواقع انه ما من راهب فى زنزانته
ضحى بمسرات العالم فى عزم وتصميم ، بدافع من حبه لله ،
مثلما ضحى فلوير بمباهج الحياة ، بدافع من طموحه الى أن
يخلق عملا فنيا !
وفى سن الثامنة والعشرين يكتب فلوير قصته الطويلة

« غواية القديس انطوان » .. وحين يفرغ منها يستدعى أديبين من أصدقائه كي يتلوها عليهما ، خلال أربعة أيام ، لمدة ثمانى ساعات كل يوم ! .. حتى اذا أتم تلاوتها ، وحبس أنفاسه فى انتظار أن يسمع حكمهما ، صدماه بهذا الرأى المفجع : « خير لك أن تلقى بها فى النار ولا تتحدث عنها الى أحد ! »

واحتدم الجدل بين الاصدقاء الثلاثة طوال ساعات ، وأخيرا أذعن فلوبير لحكم صديقيه ، واقتنع بصواب هذا الحكم .. وفى اليوم التالى تطرق الحديث بين الثلاثة الى السبيل القويم الى كتابة قصة ناجحة ، فاقترح الصديق على فلوبير أن يكتب قصة من الأدب الواقعى ، على منوال قصص « بلزاك » .. وروى له فكرة قصة واقعية كان بطلها طبيب جراح فى مستشفى (روان) يدعى « يوجين ديلامار » .. فأعجبت الفكرة « فلوبير » ووعد بالتفكير فيها جديا ..

محاكمته على اثر نشر القصة !

♦ وعلى اثر ذلك سافر بصحبة أحد الصديقين فى رحلة سياحية طويلة الى الشرق ، طاف خلالها بمصر ، ولبنان ، ورودرس ، وتركيا ، ثم اليونان .. فلما عاد منها عكف على كتابة القصة الموعودة ، وكان ذلك فى عام ١٨٥١ ، فلم يفرغ منها الا بعد خمس سنوات كاملة !

لكن القصة لم تكد تنشر حتى قدم فلوبير الى المحاكمة ، بتهمة أنه خرج فيها على آداب المجتمع المتعارف عليها وصور بطلتها فى صورة الزوجة الخاطئة ، الماجنة ، المنحلة الخلق ! .. وبعد مرافعات ومساجلات عنيفة بين ممثلى الاتهام والدفاع ، برى المتهم وأخل سبيله .. فخرج من ساحة العدالة ظافرا ، ليدخل ساحة التاريخ ! .. فقد تبارى النقاد فى تمجيد القصة والاشادة بها ، وتهافت عليها ملايين القراء ، فكفلت لمؤلفها منذ ذلك التاريخ مكانة معترفا بها بين العظماء الخالدين من أدباء العالم

وكتاب القصة الطويلة المعدودين !

تلك هي « قصة القصة » الحالدة الجبارة التي اخترتها كي أقدمها لك - بنصها الكامل - في عدد منتصف يناير الحالى من « مطبوعات كتابى » ، مذيلة بالنص الكامل لمحاضر جلسات محاكمة مؤلفها ، والمرافعات الشائقة لمثلى الاتهام والدفاع فيها . . . ولما كانت هذه النصوص الكاملة تستغرق من صفحات كتابى ما يزيد على الاربعمائة صفحة ، فانى أرانى مضطرا الى تقديمها فى جزأين متواليتين ، يصدران فى منتصف يناير ومنتصف فبراير باذن الله .
والله ولى التوفيق

حلمى مراد

« كتابى » يشتري الاعداد الستة الاولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة . . . فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .

الاشتراك فى « كتابى »

♦ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ . .) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا وأستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى

كنايت

اعداد نفدت

الكتب الستة الاولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « عشيقه نابليون » ، والثامن « مذكرات كيوييد » ، والتاسع « صنم تحطم » ، والعاشر « حديقه الله » ، والحادى عشر « عندما تحقد المرأة » ، والثانى عشر « لعبة الحب والموت » ، والثالث عشر « توبه خاطئه » ، والرابع عشر « ايها الربيع ترفق » ، والخامس عشر « الشيطان على الارض » ، والسادس عشر « ليدى هاملتون » ، والسابع عشر « الارملة المرحه » ، والثامن عشر « حياة جورج صاند » ، والتاسع عشر « حياة سارة برنار » والعشرون « رباعيات عمر الخيام » ، والحادى والعشرون « حياة بتهوفن » ، والثانى والعشرون « حياة موسولينى » ، والثالث والعشرون « كوخ العم توم » ، والرابع والعشرون « الزوج والعشيق » ، والخامس والعشرون « البوهيمية » ، والسادس والعشرون « فتاة لها ماض » ، والسابع والعشرون « ترويض النمره » ، والثامن والعشرون « فن الحب » ، والتاسع والعشرون « الجريمة والعقاب » ، والثلاثون « المنافق » (طرطوف) ، والحادى والثلاثون « اميرة مصر » ، والثانى والثلاثون « الامطار » ، والثالث والثلاثون « أفروديت » ، والرابع والثلاثون « اقنعه الحب السبعة » ، والخامس والثلاثون « سالومى » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

♦ وتطلب من اداره كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمان كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ما عدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمان كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمان كل منهما عشرون قرشا ٠٠ وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

♦ ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولاتقبل العملة الاجنبية او اذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصا

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

- ١ - قصة مدينتين
- ٢ - ذات الثوب الابيض
- ٣ - الخالدون
- ٤ - الخاطئة
- ٥ - حياة امرأة (الجزء الاول)
- ٦ - حياة امرأة (الجزء الثانى)
- ٧ - الخطيئة الاولى وفتاة من الاقاليم
- ٨ - اوديب

وثمان كل من الاول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والثامن ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش



نافذہ "کتابی" تطل علی العالم :

رایت و سمعت کک

..نی اوربا

لاهور

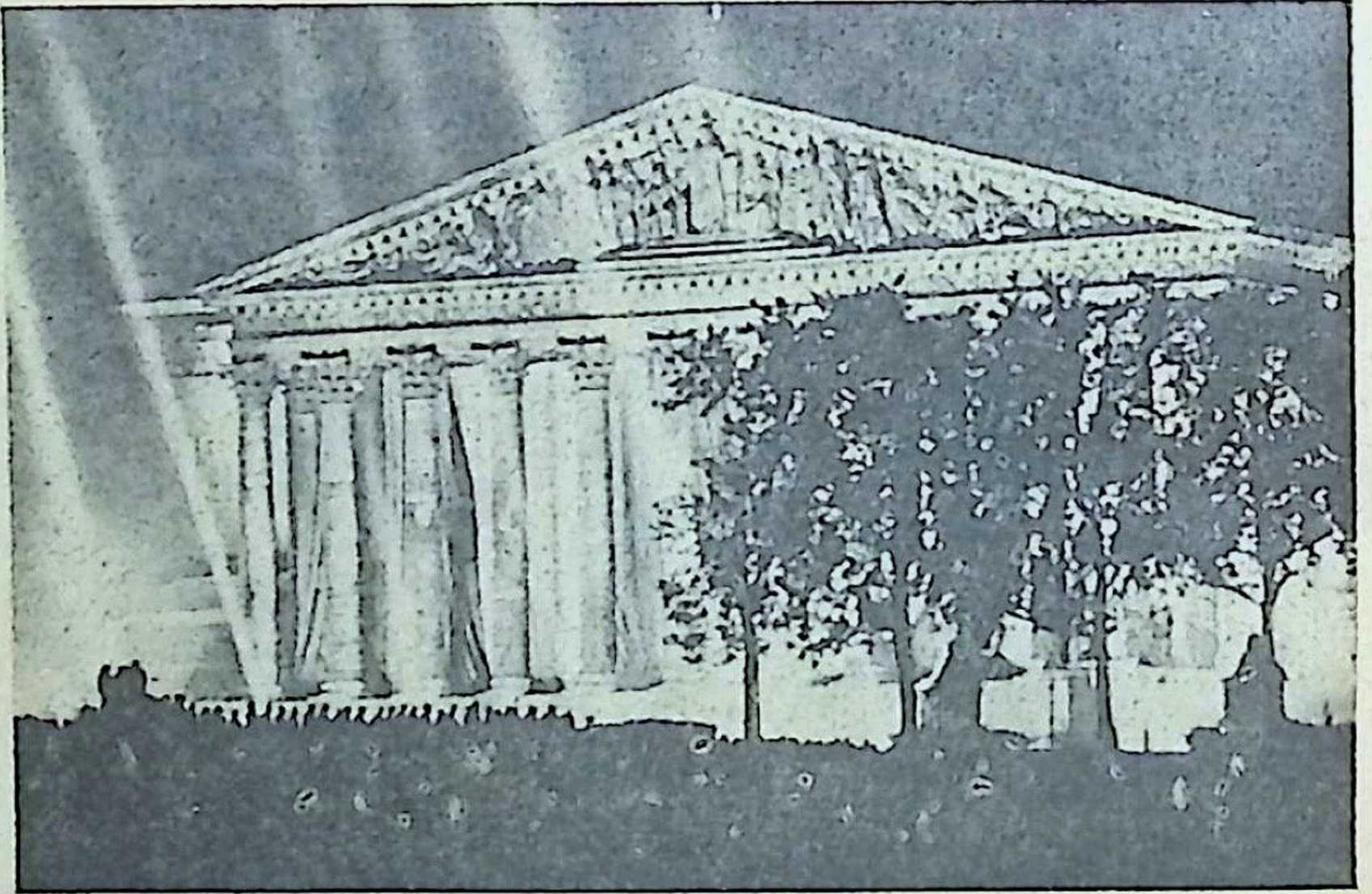
بين الحى اللاتينى .. ومتحف اللوفر

♦ فى العدد الماضى زرنا معا ، من معالم باريس ، اقدم احيائها جميعا وهو حى « الجزيرة » .. فتقلنا فيه بين قصر العدالة .. وسجن « الكونسيرجى » .. وكنيستى « نوتردام » و « سانت شابيل » .. ثم خرجنا من الحى لنزور ضريح الامبراطور نابليون فى « الانفاليد » .. ويممنا بعد ذلك شطر حديقة « اللوكسمبرج » الخلابه ، جنة الطلبة .. والعشاق !

وفى هذا الفصل الذى اقدمه لك فيما يلى ، نمضى معا الى « الحى اللاتينى » ، حى الطلبة .. والشعراء .. والكتب القديمة ! .. فنتسكع فترة بين مقاهيه ومكتباته ، ثم نخرج على جامعته العالمية العريقة : « السوربون » .. ومنها الى « البانشيون » ، الصرح الهائل الذى يضم رفات تسعة وخمسين من عظماء فرنسا ! فاذا فرغنا من هذه الجولة مضيئا الى متحف اللوفر ، الذى يزوره « ملايين » السائحين كل عام ، والذى لا يكاد يجرؤ زائر لمدينة النور على مغادرتها بغير أن يراه ! .. لكنى قبل ان اطوف بك فى ابهائه وقاعاته وطوابقه المختلفة ، احب ان اقص عليك طرفا من تاريخه الحافل ، الذى يرتبط بكثير من الاحداث الهامة التى شهدتها فرنسا ! والآن ، فلنبدا من حيث انتهينا فى الفصل السابق ، امام قصر اللوكسمبرج :

قصر اللوكسمبرج

♦ وفى جانب من حدائق اللوكسمبرج يقوم القصر المعروف بنفس الاسم ... وللبقعة التى شيد عليها القصر تاريخ حافل : فقد كان فى مكانها قبل العصور الوسطى معسكر رومانى ، هجره الرومان على اثر غزو البرابرة .. ثم اتخذ ارهابى يدعى « فوفير » من اطلاله قلعة له ، يشن منها هجماته على البلاد المجاورة .. وفى سنة ١٢٥٧ تمكن رهبان « شارتر » من اقناع الملك بالتخلص من الارهابى المذكور ، ثم طاردوه واحتلوا مكانه ..

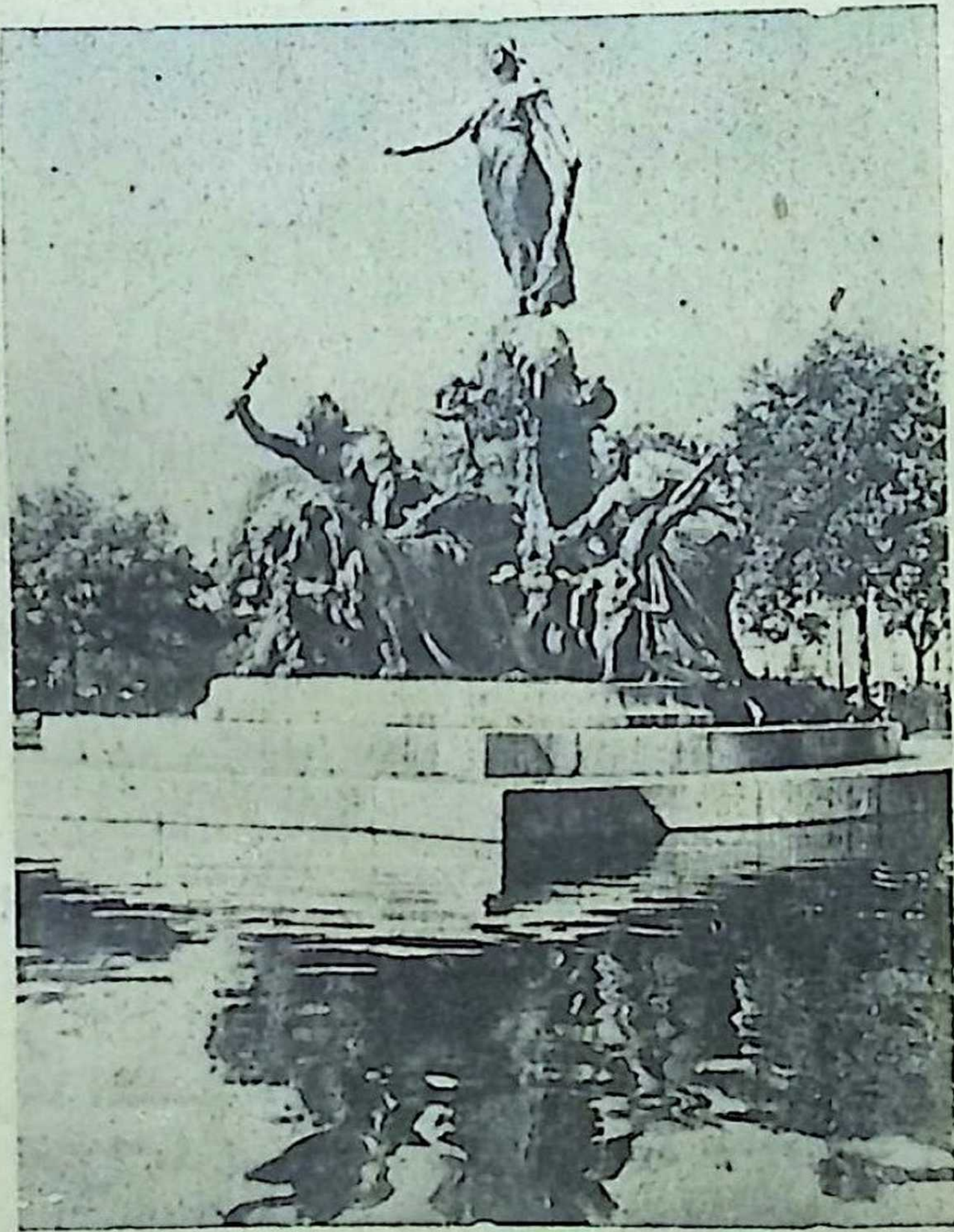


مبنى « الجمعية الوطنية » كما يبدو في الليل وقد سلطت عليه الأضواء

وبعد وفاة الملك هنري الرابع ، ابتاعت الملكة ماري دي مديسيس تلك البقعة وشيدت عليها قصر اللوكسمبرج الحالي ، الذي استغرق بناؤه خمسة أعوام (من ١٦١٥ الى ١٦٢٠) . ثم انتقلت اليه الملكة في عام ١٦٢٥ ، لكن خلافاتها مع الملك لويس الثالث عشر أدت الى نفيها من البلاد في سنة ١٦٣١ . وقد ظل قصرها المذكور مملوكا للأسرة المالكة حتى نشبت الثورة ، فاستخدم لفترة ما كسجن ، كما أوى اليه في فترة أخرى رؤساء الدولة على التعاقب . . ثم صار مقرا لمجلس الشيوخ . . وهو الآن مقر « مجلس الجمهورية » . . وتقع في مواجهة القصر بحيرة جميلة تسبح فيها الزوارق الصغيرة ، فتضفي على الحدائق رونقا بهيجا

الحى اللاتينى

♦ والآن تعال معى نزور الحى اللاتينى ، ولعله أشهر أحياء باريس فى نظر القارىء العربى ، بحكم كثرة ترديد اسمه فى مقالات الكثيرين من كتابنا الذين عاشوا فيه سنوات أثناء دراستهم فى جامعة (السوربون) العريقة ، التى



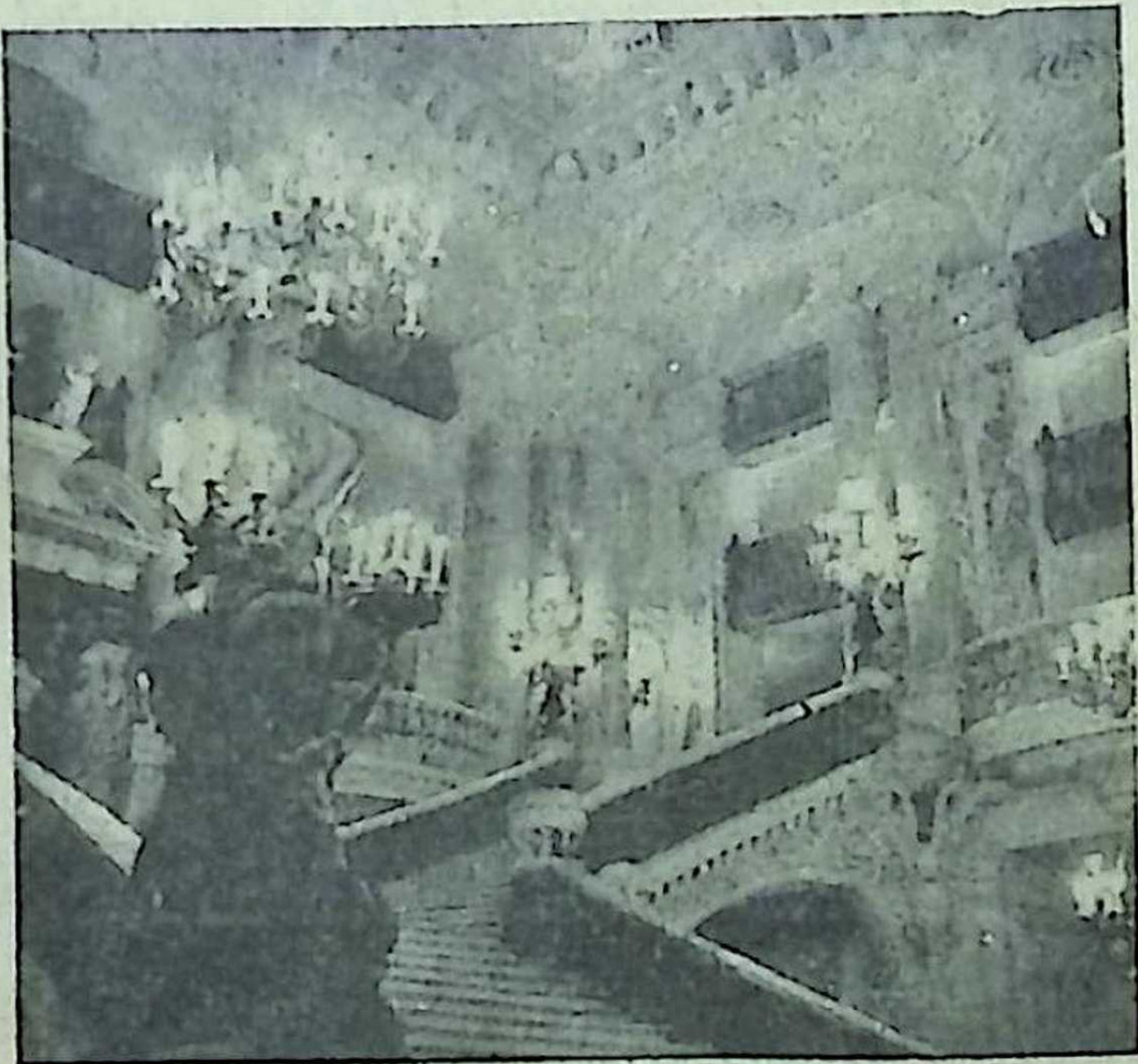
تمثال « انتصار الجمهورية » المقام فى ميدان « الوطن » وهو من تصميم المثال « دالو » ، وحوله نافورة



واجهة دار أوبرا باريس التي تعتبر من
أفخم دور الأوبرا في العالم

تعتبر من أهم معالمه - وفي مقدمة من أولعوا به وأكثروا من
التحدث عنه المرحوم الدكتور زكي مبارك ..
وترجع تسمية الحي بهذا الاسم الى أن اللغة اللاتينية
كانت هي السائدة في الدراسة - بل وفي الاحاديث العادية بين
الاساتذة والطلاب ! - الى أن نشبت الثورة الفرنسية الكبرى
عام ١٧٨٩ .. وقد اشتهر الحي الى ما قبل قرن ونيف بطرقاته
الضيقة وأزقته التقليدية التي لاتنفذ اليها الشمس ، حتى جاء
« بغدادى باريس » المدعو « هوسمان » فى عهد نابليون
الثالث ، فأزال تلك الحوارى من الوجود وشق بدلا منها
شوارع كبرى فسيحة أهمها « بوليفار سان ميشيل » الذى

يعتبر اليوم الشريان الرئيسى للحى اللاتينى ، (الذى يطلق عليه الطلاب على سبيل الاختصار : « بول ميشى ») . . . ويزدحم الشارع المذكور بالمارة وبالمقاهى المترصعة على الأرصفة الى درجة تجعله أشبه بخلية النحل ! . . . ومن أشهر مقاهى البوليفار مقهى (ديبون) وهو شبيه بمحل (الأميريكين) فى القاهرة، وله فروع فى كل حى من أحياء باريس تقريبا . . . وقد اتخذ المحل لجميع فروعه شعارا طريفا ترجمته : « عند (ديبون) كل شىء لذيذ » ، والعبارة بالفرنسية تؤلف « سجة » لطيفة هي **Chez Dupont tout est bon**



سلم دار أوبرا باريس من الداخل ، وقد
بدا جانب من روائها الهندسى والزخرفى



فرقة الباليه بمسرح الاوبرا : لوحة عالمية للرسام « ديجا »

الجد واللهو .. جنباً الى جنب !

♦ وبالحى اللاتينى مدارس وجامعات كثيرة غير (السوربون) التى سنتحدث عنها فيما يلى - وقد شيد بعضها منذ القرون الوسطى ثم جدد فى القرن الماضى ، ومن أهم هذه المعاهد : كلية «ليسيه لويس الأكبر» ، وهى تابعة ليسوعيين (الجزويت) ، وكلية «ليسيه القديس لويس» .. الخ ويمتد بوليفار سان ميشيل من ضفة السين المقابلة لسجن الكونسيرجيرى وكاتدرائية نوتردام ، الى حيث يتصل ببوليفار (مونبارناس) .. ولعل أجمل ما فيه ، وما فى

الحى اللاتينى بوجه عام ، هوانك تجد فيه الجد واللهو
جنباً الى جنب ، فى تآلف رائع ! فبقدر ازدهامه بالمقاهى
والمارة والمتسكعين ، يزدحم بالمكتبات الكبرى الحافلة
بالآلاف الكتب ، القديمة والحديثة ، التى قد لا تجد
نسخاً من بعضها فى أى مكان آخر فى العالم ! .. حتى انك
لتكاد تجد بين كل مقهى ومقهى مكتبة ! .. وبعض هذه المكتبات
أقرب الى ان يكون داراً للكتب ، اذ يتألف من عدة طوابق ! كما
ان لكل مكتبة منها فرعاً خارجياً على الرصيف ، هو
عبارة عن مناضد طويلة ذات ارفف كثيرة ، صفت فوقها
مئات الكتب من كل نوع ولون ، وفى كل باب من أبواب المعرفة



ميدان الأوبرا الفسيح بباريس ، ويرى فى
وسطه السلم المؤدى الى محطة المترو تحت
الأرض



تمثال الحرية المقام عند « كوبري
جرينل » بباريس

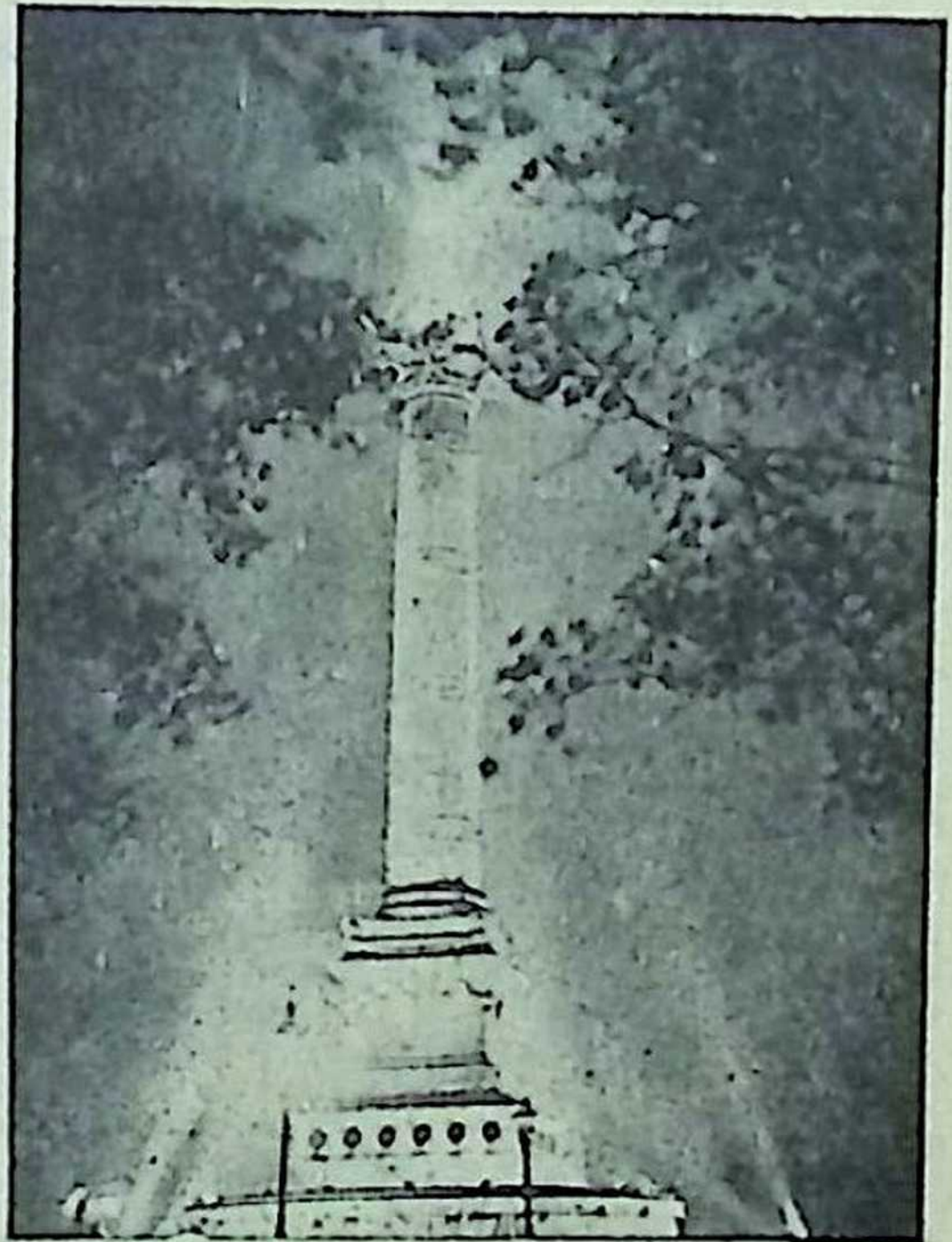
والثقافة يخطر على البال ..
بل وبكل اللغات الحية ،
وليس باللغة الفرنسية وحدها
.. حتى مقاهي الحى
اللاتينى يختلط فيها الجسد
واللهو ، ويتآلفان هذا التآلف
الرائع ، فالى جانب الجماعة
التي تتطلع الى مواكب الطالبات
الحسان - من كل جنسيات
الأرض ! - تجد على المنضدة
المجاورة جماعة أخرى تتحدث
فى الأدب والفن وأحدث
مذاهبهما ! .. وقد كان الحى
اللاتينى منذ نحو خمسين
عاما أو أكثر قليلا موطن
الشعراء «الرمزيين» وحواريهم،
الذين تطرف بعضهم - مثل الشاعر « فرلين » - فى
نزعاتهم الشاذة الى درجة تقرب من تطرف أتباع المذاهب
الشاذة من طلبة اليوم !

غذاء العقل .. وغذاء الجسم !

♦ والآن ، وقد قضينا شطرا من الصباح متسكعين
بين مقاهي الحى اللاتينى ، وشطرا آخر متسكعين بين
مكتباته ، نلتهم بأعيننا ألوف الكتب « المغربية » التي نود لو
اتسعت ميزانية جيوبنا لاقتنائها جميعا ، واتسعت
فسحة العمر لقراءتها كلها ! .. لعلك تحس معى بلذعة الجوع
فى المعدة - فلقد انتصفت الساعة الثانية دون ان نشعر !

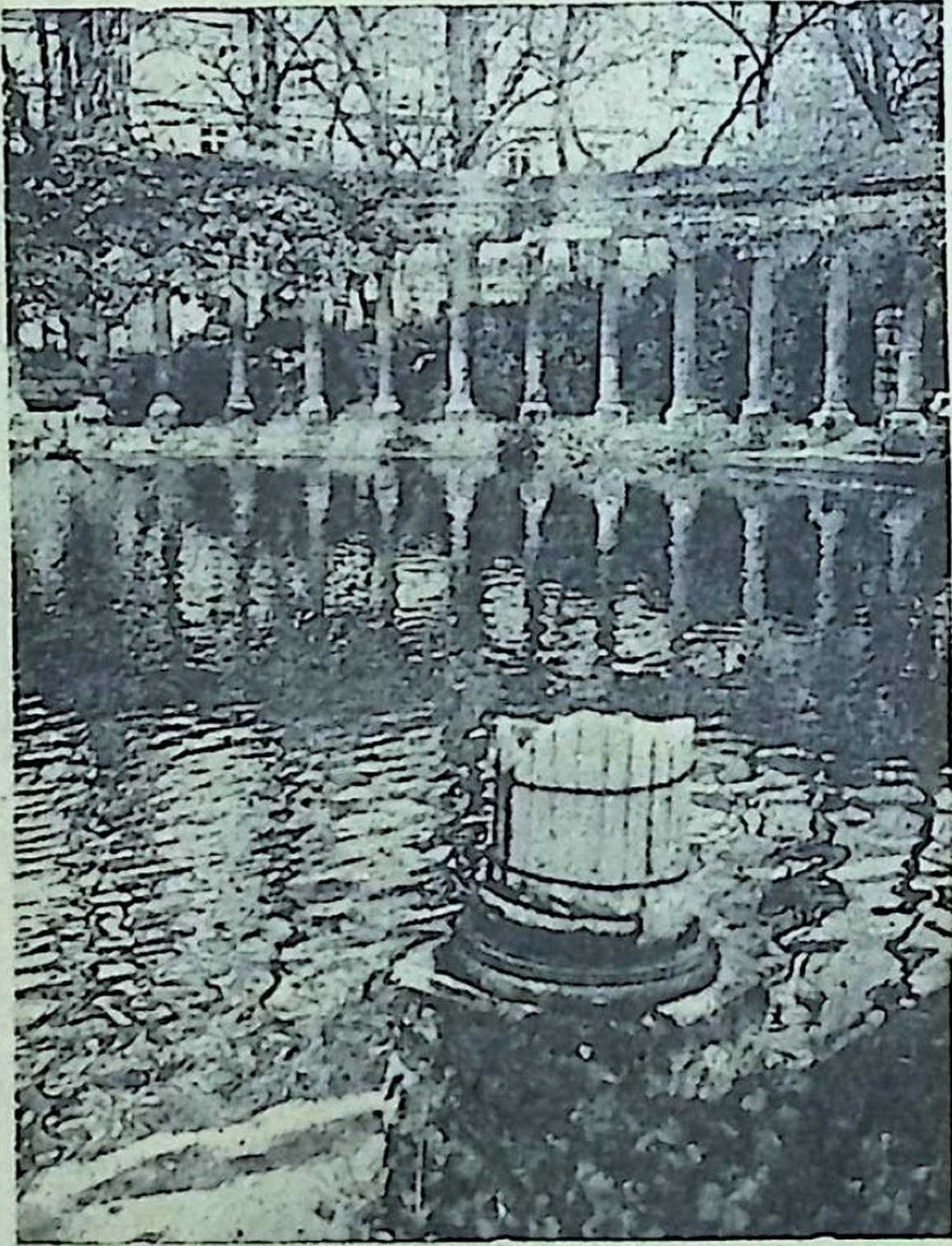
— فتعال معى نتناول غداءنا اليوم فى مطعم قد لا يتاح
مثيل له الا فى لندن أو نيويورك .. فى مطعم
« صينى » !

ومضينا الى شارع صغير يقع خلف بوليفارسان ميشيل ،
وهناك استقبلنا سقاة المطعم الصينيون بترحيب يمازجه
الحياء المأثور عن قومهم .. ثم جاءوا لنا بقائمة أطعمتهم
التقليدية، وأعدوا لنا الصحف وأدوات المائدة ، فاذا فى
مقدمتها طبا العصا **تان الخشب تان اللتان** يؤكل بهما
الارز فى بلادهم .. لكننا
فشلنا فى استعمالها ، فلجأنا
الى الأدوات الافرنجية . ثم
جىء لنا بأقداح الشاى
الصينى الذى هو عندهم بمثابة
الخمر الخفيفة الفاتحة للشهية ،
فاذا طعمه لا يسر خاطر ، اذ
كان أقرب الى الشاى الخفيف
جدا ، بغير سكر .. ولا حتى
ملح !



وكانت المفاجأة ، أو خيبة
الأمل ، الثانية انهم لم يقدموا
لنا خبزا — البتة ! — وقالوا
حين سألناهم ان أطعمتهم
لا يؤكل معها خبز ، اذ يغنى
عنه الارز .. وهى حجة منطقية
طبعاً من وجهة النظر الغذائية
أو الصحية ، لكنها موجهة
لنا نحن الشرقيين الولوعين

العامود المقام فى وسط ميدان
(الباستيل) ، حيث كان يقوم
السجن المشهور الذى اقتحمه
الثوار يوم ١٤ يوليو سنة
١٧٨٩ ثم هدم بعد ذلك



بحيرة رائعة يحيط بها سور من الأعمدة
ذات الطراز الفنّي الرفيع ، بحديقة « برك
مونسو »

بالخبز أكثر مما ينبغي !
لكن الطبق التالي كان شهيا حقا ، وغريبا ! .. كان خليطا
من أطعمة مختلفة قد قطعت الى أجزاء صغيرة متشابهة يقل
كل منها عن حجم الفولة ! ورغم ان طعامها كان لذيذا فقد
استبد بنا الفضول لمعرفة نوع كل طعام منها .. فاذا

هي عبارة عن خليط من : الدجاج ، ونوع من الأحياء البحرية الشبيهة بالقواقع ، ثم ألوان من جذوع الخضروات المعروفة في الصين !

جامعة « السوربون »

♦ الساعة الآن قد جاوزت منتصف الثالثة ، فتعال نغادر المطعم الصيني لنزور أشهر جامعة في العالم : السوربون! . . . وقد شيدها في عام ١٢٥٣ - بمعاونة واعانة من الملك - رجل من رجال الدين كان يتولى منصب قسيس الاعتراف في « كلية القديس لويس » ، ويدعى « روبرت دي سوربون » . وكان قد عانى في شبابه الباكر الصعوبات التي تواجه الطالب الفقير في باريس ، فأسس هذه الجامعة لتهيء للمحتاجين سبل استكمال دراستهم . وكان الفريق الأول من طلبتها ستة عشر طالبا فقيرا دخلوها ليدرسوا اللاهوت ويعيشوا فيها كطلبة القسم الداخلي ، وهكذا قدمت الجامعة لهم الضيافة والعلم في وقت واحد . وقد ظلت « السوربون » بعد ذلك ، طيلة عصور ما قبل الثورة ، مركز الدراسات الدينية ، ونواة جامعة باريس . وفي عام ١٤٦٩ ادخلت في الجامعة أول آلة للطباعة . . . وفي عهد لويس الحادي عشر ، اختير يوم ٢٨ يناير عيداً سنوياً للجامعة ، يحتفل به الطلبة وأساتذتهم . . . وعندما انتخب السياسي الداهية الكاردينال ريشليو عميداً للسوربون ، ألفى ابنيتها في حالة سيئة يرثي لها ، فأمر بتجديدها جميعاً بما يتفق ومكانتها ، على حسابها الخاص ! . . . وفيما بين عامي ١٨٨٥ و ١٩٠١ اضيفت الى الجامعة بضعة أبنية جديدة . وفي مكتبة السوربون نحو ٦٠٠.٠٠٠ مجلد ، ويتسع أكبر مدرجات الجامعة لنحو ٢٧٠٠ شخص ، ويقام به كثير من الاحتفالات الجامعية . وتزين القاعة لوحة رائعة يطلق عليها



سلم يصل بين شارعين من شوارع حي
« مونغارتر » المشيد على « هضبة الشهداء »

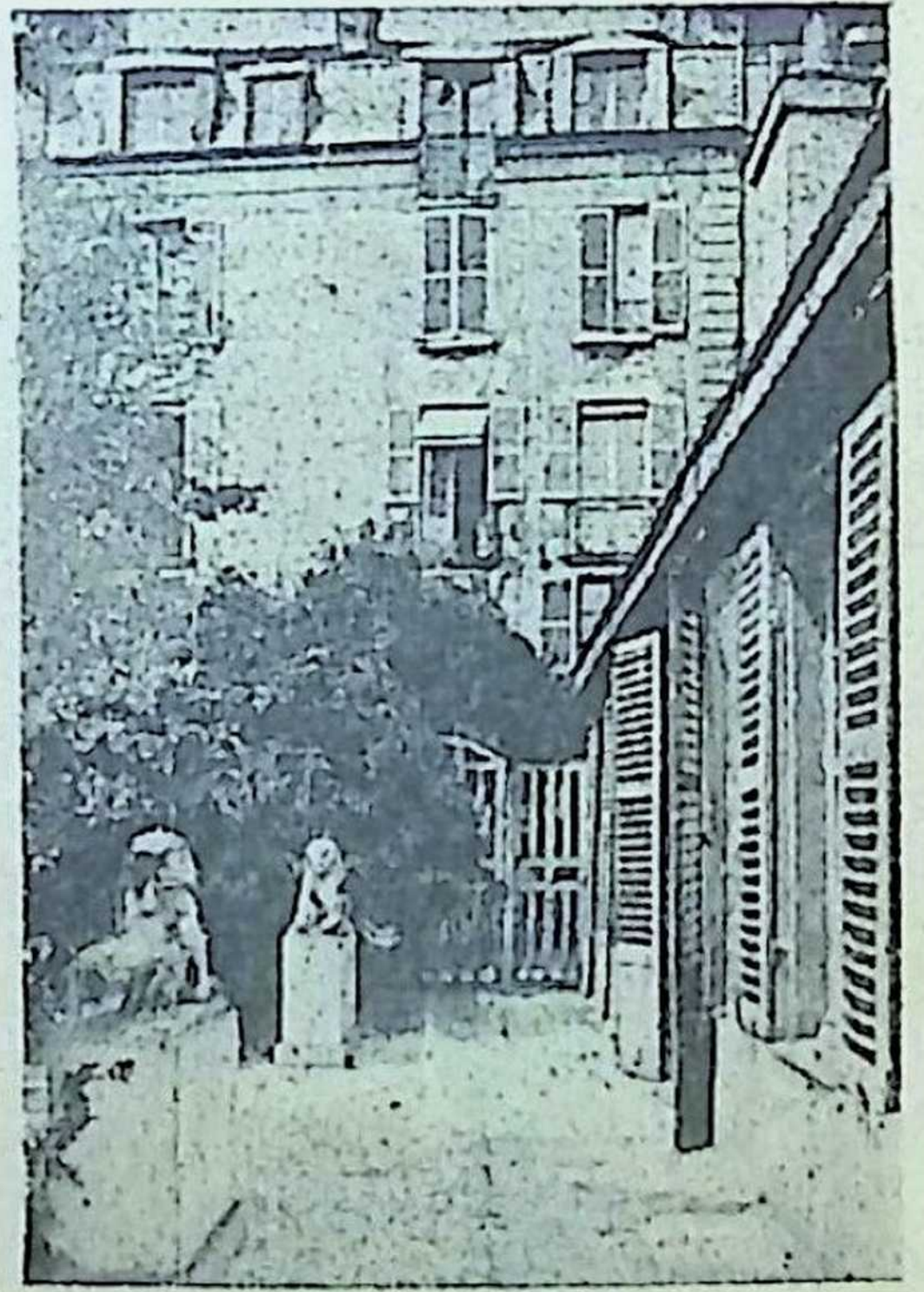
« الغابة المقدسة » ، وتمثل السوربون محاطة بألّهة : الفصاحة ،
والشعر ، والفلسفة ، والتاريخ ، والعلوم ، والقانون ،
والتشريح ، والجيولوجيا ، وعلم وظائف الأعضاء ، والعلوم
الطبيعية .. الخ

وقد تدهش اذا علمت ان هذه الجامعة العريقة ذات
الشهرة العالمية ، لا تضم غير كليتي الآداب والعلوم ! ..
ومما يشرح الصدر حقا ، ويعطيك فكرة عن مدى تقدير
القوم لأدبائهم ، ان ترى في فناء كلية الآداب تمثالا نصفيا
لشاعرهم الخالد « فيكتور هيجو »

مقبرة العظماء

♦ وعلى بعد دقائق من

السوربون يقع مبنى «البانثيون»
أو مقبرة العظماء . وصاحب
الفكرة فى انشاء البانثيون
كان الملك لويس الخامس عشر ،
ففى سنة ١٧٤٤ كان الملك
مريضا فى حالة سيئة ، فنذر
- فيما لو شفى - ان يشيد
فى مكان المبنى المتداعى لكنيسة
« القديسة جنيفيف » -
حامية باريس - صرحا جديدا
شامخا ، يليق بالقديسة ..
فلما شفى الملك كلف الفنان
« مارينى » عميد مدرسة
الفنون الجميلة ، وشقيق مدام
دى بومبادور ، أن يضع

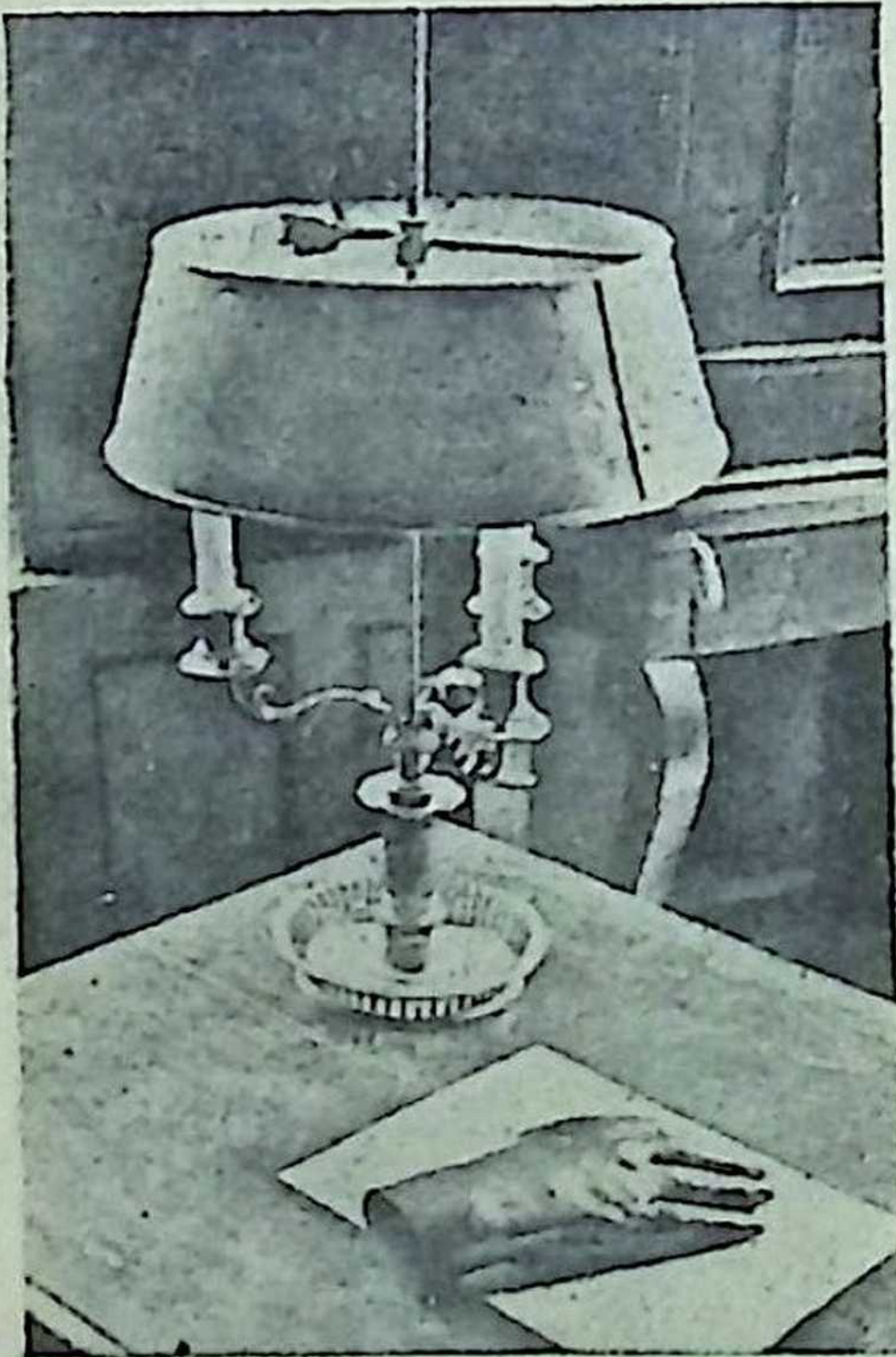


المزى الذى كان يقطنه الأديب
الفرنسى الكبير « بلزاك »

المشروع موضع التنفيذ ، فعهد هذا بالفكرة الى المهندس
المعمارى « سوفلو » - الذى يطلق اسمه الآن على الشارع
الذى يقع فيه البانثيون - فأعد هذا تصميمًا مزج بين
الفن القوطى والفن الاغريقى الرومانى
على ان الملك لم يمد يده بالمال اللازم لتشييد الكنيسة
الجديدة ، فانقضت عشر سنوات و « مارينى » عاجز عن
البدء فى التنفيذ ، واذا ذاك خطرته له فكرة عمل «يانصيب»
كبير لجمع المال اللازم للمشروع - (وقد اضطر فيما بعد الى
عمل اليانصيب مرتين اخريين كى ينفق منه على اتمام البناء
الرائع)

وهكذا أرسى حجر الأساس للكنيسة في عام ١٧٥٨ ، لكن سوء تمهيد الأرض قبل البدء في إقامة البناء أدى الى ظهور شروخ في الجدران بعد ٢٨ عاما ، فانبرى خصوم المهندسين « سوفلو » لمهاجمته والتنديد بتصميمه .. وكان وقتئذ مريضاً ، فعجلت الحملة بوفاته ! .. واذ ذاك استأنف احد تلامذته الاشراف على المشروع ، فآتمه في عام ١٧٨٩ .. العام الذي نشبت فيه الثورة الكبرى !

ولم يمض عامان حتى قررت الجمعية التأسيسية تحويل كنيسة القديسة جنيفيف



الجديدة الفخمة الى معبد اثنى يضم رفات عظماء رجال ذلك العصر ، تخليداً لذكراهم . وكان خطيب الثورة « ميرابو » قد مات قبيل ذلك التاريخ بمدة وجيزة ، فكان أول عظيم يحظى بهذا الشرف .. ثم الحق به جثمان « فولتير » بعد زمن قصير (وكان قد انقضى على وفاته ١٣ عاما) .. ثم اطلق على المعبد اسم « البانثيون » ، وهو اسم قديم معناه « معبد جميع الالهة »

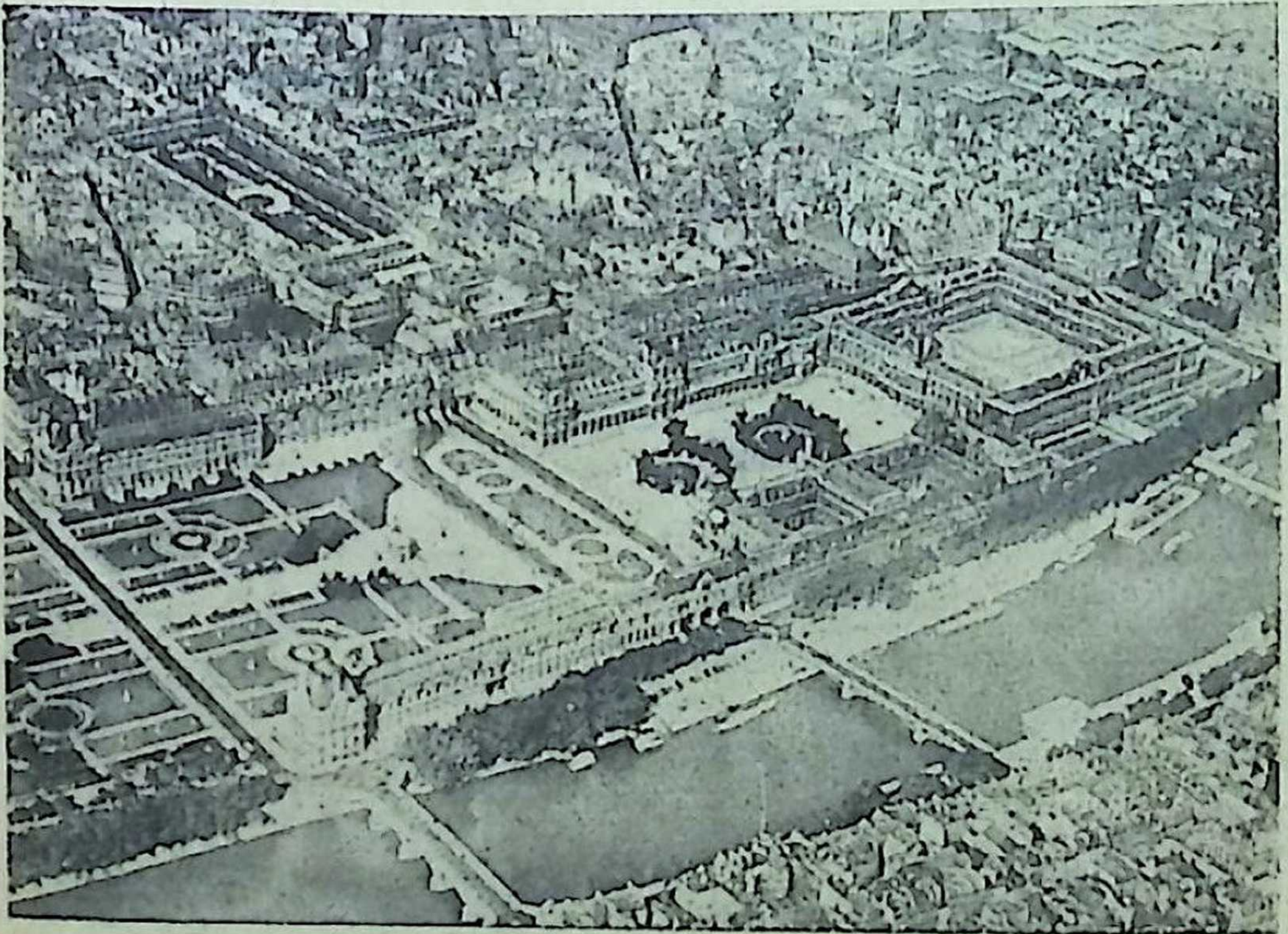
لكن البانثيون أعيد « كنيسة » كما كان ، في عام ١٨٠٦ ، بأمر من نابليون .. ثم جاء الملك لويس فيليب

مصباح المكتب الذى كان يعمل «بلزاك» على ضوءه ، والى جواره نموذج مجسم ليد الاديب التى كتبت روائعه !

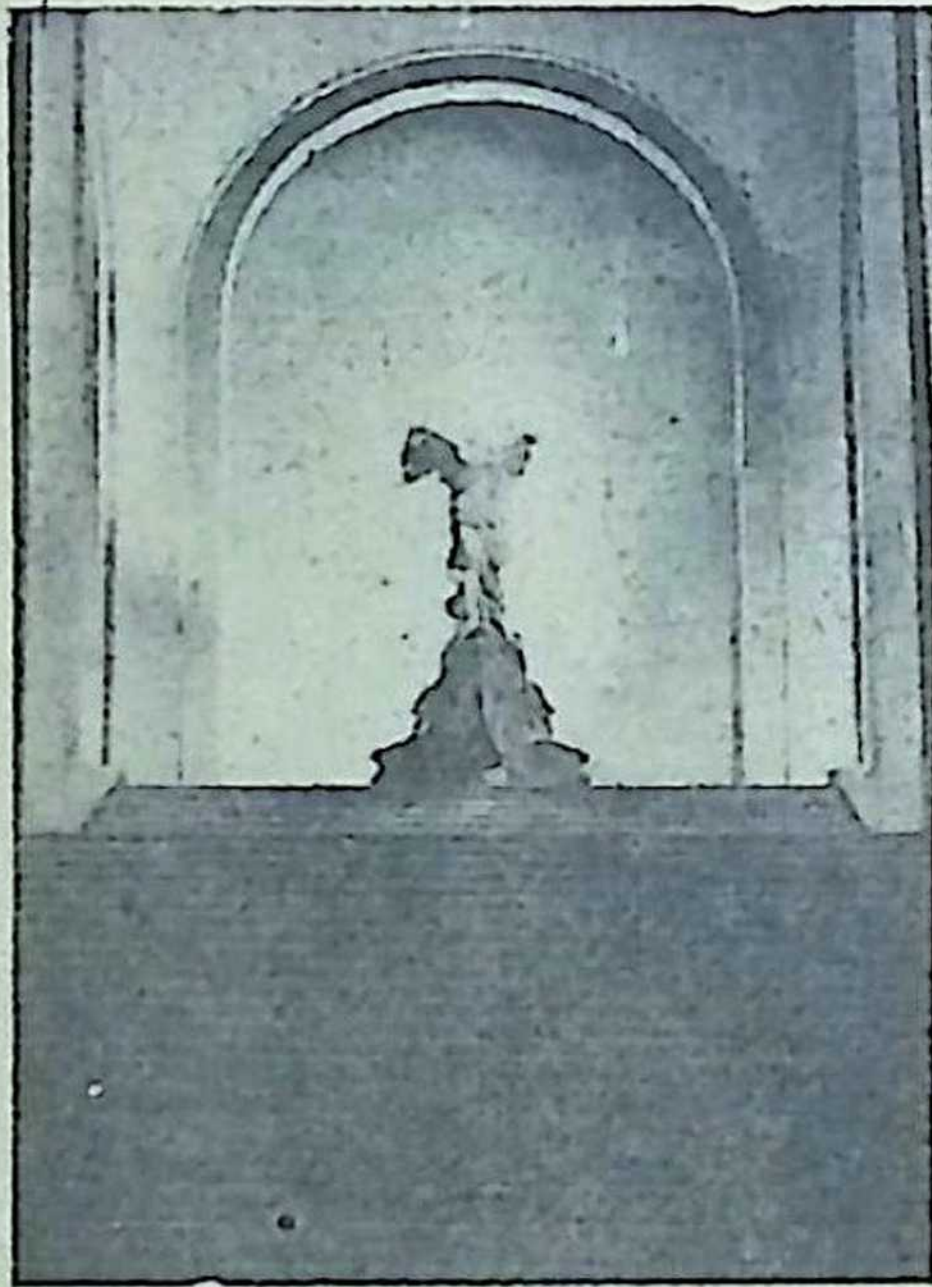
فجعله « معبدا للموتى الامجاد » .. ومرة ثالثة أعاده نابليون الثالث كنيسة من جديد .. ثم ردت الحكومة مقبرة للعظماء في سنة ١٨٨٥ ، ونقلت اليه رفات « فيكتور هيجو » .. ومنذ ذلك الحين ظل على هذا الاعتبار

ومن العظماء الذين دفنوا في البانثيون - عدا من ذكرنا - جان جاك روسو ، اميل زولا ، رئيس الجمهورية « كارنو » الذي اغتيل في ليون عام ١٨٩٤ ، والزعيم الاشتراكي « جان جوريس » ، وأربعون من كبار قواد الامبراطورية الاولى وزعمائها .. ويبلغ عدد جميع المدفونين فيه ٥٩ عظيما
أكبر قصر في العالم !

♦ ونكتفي من الحى اللاتينى بهذا القدر ، كى نمضى لزيارة



ميانى متحف اللوفر ، كما ترى من الطائرة



صرح هام من معالم باريس
طبقت شهرته الآفاق ، هو
متحف « اللوفر »

وقصر اللوفر الذى يحتله
المتحف المعروف باسمه اليوم،
هو أكبر قصر فى العالم على
الاطلاق ، فهو يتألف من عدة
اجنحة - أو بالأحرى قصور -
تتوسطها ساحة مربعة فسيحة
تزيد مساحتها عن أكبر ميدان،
ويطل احد اضلاعها على نهر
السين

تمثال « النصر » ، كما يرى فى
أعلى سلم عريض بأحد اجنحة
متحف اللوفر

ولتشبيد قصر - أو قصور
- « اللوفر » قصة طويلة ،
طريفة ، أوجز لك خلاصتها
فيما يلي : فقد شيدت نواة

قصر اللوفر فى عام ١٢٠٠ بأمر الملك فيليب اوغسطس ، على
ضفة نهر السين ، كى تكون قلعة تحمى أضعف نقطة فى
خطوط الدفاع عن باريس . وكانت مساحتها ربع مساحة
القصر الحالية . وعلى اثر ذلك نقل الملك الى القلعة الجديدة
كنوز التاج ، وترسانة الأسلحة ، وقسم «الأرشيف»
بالقصر الملكى ، وكان الملك يقطن يومئذ فى مبنى قصر العدالة
الحالى بحى الجزيرة .

ومن العسير تحديد منشأ تسمية قصر اللوفر بهذا الاسم،
وان كان الثابت ان الاسم اطلق عليه واعلن رسميا منذ
عام ١٢٠٤ . وقد تكون صحيحة الرواية التى ترجح ان

الملك من فرط اعجابه بالقصر الذى اعتبر من أجمل المباني فى فرنسا كلها ، أراد ان يصيفه بأنه « عمل فنى » فعبر عن ذلك بلفظ مختصر هو L'œuvre ثم حرف اللفظ الى Louvre

وعلى اثر احراز نصر (بوفين) فى عام ١٢١٤ ، سجن « الكونت دى فلاندر » فى القلعة ، ثم لحق به الكثيرون من أعداء ملوك فرنسا خلال القرنين التاليين .. حتى جاء الملك شارل الخامس فحول القلعة الى قصر للسكنى ثم نقل مقره اليه ، وكانت حدود باريس قد امتدت الى أبعد من تلك البقعة فلم يعد مكان القلعة مركزا ستراتيغيا لازما للدفاع عن العاصمة .. وفى عهد الملك المذكور شهد القصر أبهى الحفلات وأعظم الولائم ومظاهر البذخ التى اقيمت بين جدرانها !

يهجرونه ١٥٠ عاما !

♦ لكن القصر هجر بعد ذلك لمدة قرن ونصف ، حين آثر الملوك التالون أن يقيموا فى قصورهم الخاصة التى ألفوها ووجدوا فيها راحتهم ، سواء فى باريس ذاتها أو على ضفة اللوار .. الى ان جاء الملك « فرانسيس الأول » فرأى ان يقيم فى قصر اللوفر ليكون قريبا من شعبه ويحظى برضائه .. وعمد الى ازالة السرداب القديم الذى يقع أسفل الساحة الوسطى ، كما هدم اسوار



« مراب ، وزوجته » ، للرسام
« كوينتان متسيس » : بمتحف
اللوفر



«يعقوب والملاك» : لوحة مشهورة
للرسام « ويلاكروا »

القلعة السميكة وانشأ في مكانها حدائق . وفي سنة ١٥٤٦ أمر احد عباقر المهندسين المعماريين في عصره بأن يبنى قصرا يكون بمثابة جناح جديد للقصر القديم ، لكنه مات قبل ان يتم البناء ..

وواصل الملكان اللذان أعقباه - هنرى الثانى والثالث - الاشراف على اتمام القصر الناقص ، ثم شيئا قصرا آخر مكمل له ، فتم الجناحان الجنوبي والغربى من « اللوفر » ، اللذان صمما على طراز فن « عصر النهضة » ، الى جانب الجناحين القديمين اللذين شيئا على الطراز القوطى

ويزعم التاريخ ان الملك شارل التاسع اطلق النار على انصار « الهيوجونوت » - خلال الفتن الدينية التى نشبت فى القرن السادس عشر - من الشرفة المشهورة بأحد جوانب القصر . والرد الوحيد على هذا الزعم ، ان الشرفة المذكورة لم تكن قد شيدت فى ذلك التاريخ (عام ١٥٧٢) !!

يهجرونه مرة أخرى .. الى (فرساي)

♦ ثم راق للملكة « كاترين دى مديسيس » - أرملة الملك هنرى الثانى - ان تقيم مع ابنها فى « اللوفر » ، ولكن على ان يكون لها جناح أو قصر مستقل ، فأمرت بتشيد القصر الجديد فى ارض (التويليرى) ، على بعد ٤٠٠ متر من اللوفر . ولكى

تحمى نفسها من تقلبات الطقس وهى تتنقل بين الاجنحة او القصور المختلفة ، أمرت باقامة ممز مسقوف بمحاذاة الضلع الموازى لنهر السين . . ثم جاء «هنرى الرابع» فأتم هذه الابنية و اضاف اليها جناح « البافيون دى فلور » فى الركن الذى كان يفصل بين الممر وقصر التويليرى

وفى عهد لويس الثالث عشر ، عام ١٦٢٤ ، مد الجناح الغربى من القصر الرئيسى وأقيم فى وسطه جناح اضافى اطلق عليه « جناح الساعة » ، لكن العمل فيه لم يلبث ان توقف بعد ثلاث سنوات تحت ضغط الارهاق الذى اصاب ميزانية القصر الملكى . . ثم جاء لويس الرابع عشر فضاعف امتداد الجناح الجنوبى من القصر وبدأ فى انشاء جناحين جديدين ، كما أنشأ « جناح مارسان » فى الركن الشمالى من قصر التويليرى . . وفى سبيل اتاحة مساحة كافية للابنية الجديدة ازيلت المنازل والدور المجاورة للقصر ، ثم امر الملك بهدم الجناحين القوطيين اللذين كانا النواة الاولى لقلعة اللوفر القديمة واكمل حلقة المباني الجديدة ذات الطرز المتناسقة

لكن البلاط الملكى لم يلبث ان هجر « اللوفر » ، فى عام ١٦٨٠ ، حين آثر الملك لويس الرابع عشر ان ينتقل للاقامة فى قصر جديد أمر بتشيدته فى ضاحية (فرساي) . . وبذلك تركت الابنية الجديدة فى « اللوفر » ناقصة لم تشيد سقوفها !

وعلى اثر ذلك غزت القصر الناقص المهجور جماعة من الفنانين البوهيميين ، غطت سقفه بالخيام ونقلت اليه ادواتها وحواملها وجوالات ألوانها ، فغدا مظهر القصر مدعاة للثرثاء والحسرة بحيث كان من يراه يتمنى لو هدم وسوى بالارض ، لولا معارضة المدعو « مارينى » - عميد مدرسة الفنون الجميلة وشقيق مدام دى بومبادور - الذى اشرنا اليه فى معرض الحديث عن مقبرة البانثيون - فاليه يدين الجناح بفضل الابقاء



انتصار الالهة « فلورا » ، لوحة
بمتحف اللوفر للرسام « بوسان »

عليه خلال تلك المحنة .
وظلت تلك الجماعة من الفنانين
البوهيميين تحتل ذلك الجناح
المهجور خلال حكم لويس
السادس عشر . وحين نشبت
الثورة الكبرى اقيمت المقصلة
في الميدان المواجه للقصر لمدة
نحو تسعة أشهر ، (من ٢٢
أغسطس سنة ١٧٩٢ الى ١٠
مايو سنة ١٧٩٣) - وخلال
تلك الفترة نقلت الى ميدان
الكونكورد ليوم واحد ، في يناير
سنة ١٧٩٣ ، يوم اعدم بها الملك
لويس السادس عشر !

قصة قصر التويليري

♦ وقبل أن نتم سرد قصة
الاطوار التي مر بها قصر اللوفر

خلال السبعة قرون ونصف قرن التي انصرفت منذ انشئت نواته
الاولى عام ١٢٠٠ ، نتوقف برهة لنسترجع الذكريات الحافلة التي
رددت صداها جنبات ذلك الجناح من اجنحته الذي شيدته الملكة
الارملة « كاترين دي مديسيس » كما أسلفنا الإشارة ، وهو الجناح
الذي عرف باسم « قصر التويليري »

فقد تتابع على الاقامة في القصر المذكور عدد كبير من
الشخصيات الهامة في التاريخ الفرنسي ، ومن هؤلاء « جاستون
اورليان » شقيق لويس الثالث عشر ، و « دوق أنجو »
شقيق لويس الرابع عشر ، ثم لويس الخامس عشر قبل ان يبلغ
سن الرشد ، ولويس السادس عشر بعد اضطرابات اكتوبر ،

ونابليون الاول فى عهده كقنصل ثم كإمبراطور ، ولويس الثامن عشر ، وشارل العاشر ، واخيرا نابليون الثالث . كما ولد فى القصر المذكور ابن نابليون - « النسر الصغير » أو ملك روما كما اطلق عليه

وحين احترقت دار اوبرا باريس القديمة ، نقلت الاوبرا بجميع برامجها مؤقتا الى احدى قاعات قصر التويليرى ، فظلت فرقة « الكوميدي فرانسيز » تمثل رواياتها زمنا فى تلك القاعة . . . وهناك مثلت مسرحية « ايرين » التى توج « فولتير » بسببها ملكا للمسرح الفرنسى ، فى ليلة ٣٠ مارس سنة ١٧٧٨ ، قبل وفاته بأسابيع . . . وقد كان تمجيد فولتير فى تلك الليلة خاتمة الاحداث الهامة التى شهدتها قصر التويليرى قبل نشوب الثورة

وفى ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٢ اقتحمت الجماهير الثائرة القصر ، واجبرت الملك على ان يضع على رأسه قلنسوة الثورة الحمراء ، ويشرب نخب الحرية ! . . . وفى ذلك اليوم كان الضابط الشاب نابليون بونابرت - كما روى بعد ذلك فى « مذكراته » - مدعوا للعشاء فى شارع سانت اونوريه ، حين رأى جمهورا من نحو ستة آلاف متظاهر ينطلق فى اتجاه القصر ، فتبعه الى حيث شهد الحادث السالف الذى جرى فى شرفة التويليرى المجاورة لنهر السين

وفى يوم ١٠ اغسطس التالى ، هاجمت القصر مظاهرة مسلحة ، قتلت رجال الحرس السويسرى وخلعت الملك عن عرشه . . . وفى « القاعة الخضراء » بالطابق الاول من جناح « فلور » صارت لجنة الأمن العام تعقد اجتماعاتها خلال عصر الارهاب !

وفى يوم اول فبراير من عام ١٨٠٠ دخل القنصل نابليون بونابرت قصر التويليرى . ومنذ ذلك اليوم حتى عام ١٨٧٠ ظل القصر مقرا لرئيس الدولة . . . وخلال تلك المدة اقتحمت الجماهير القصر مرتين ، اثناء ثورتى عامى ١٨٣٠ و ١٨٤٨ . . . وفى يوم

٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ غادرت الامبراطورة اوجيني - زوجة نابليون الثالث - القصر لاخر مرة ، فى طريقها الى بلجيكا . .
مارة بالممر المسقوف المحاذى للسين

وفى العدد القادم أحدثك باذن الله عن باقى قصة متحف اللوفر ، وعن الجناح المصرى بالمتحف . . ثم نغادر اللوفر لنزور بقية معالم باريس



(اعلان مناقصة)

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى قسم الشرق بالقازيق لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الاثنين ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ عن عملية الاعمال الترابية والصناعية اللازمة لانشاء مصرف الصنافين البحرى وفرعه .

ويمكن الحصول على المواصفات مقابل ٧٥٠ مليما باليد او ٩٠٠ مليم بالبريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة خمسون مليما .

٣٣٥٧

مجلس بنها البلدى

تقبل العطاءات بمجلس بنها البلدى لغاية ظهر يوم ٢٢/١/١٩٥٦ عن توريد وتركيب يفت للشوارع ونمر للمنازل ، وتطلب الشروط على ورقة دمغة فئة ٥٠ مليما وثمان النسخة ٥٠٠ مليم خلاف مصاريف الارسال وكل عطاء بدون تامين ٢ / ٠ من قيمته لا يلتفت اليه .

٣٣٦٢

مطبوعات كتابي

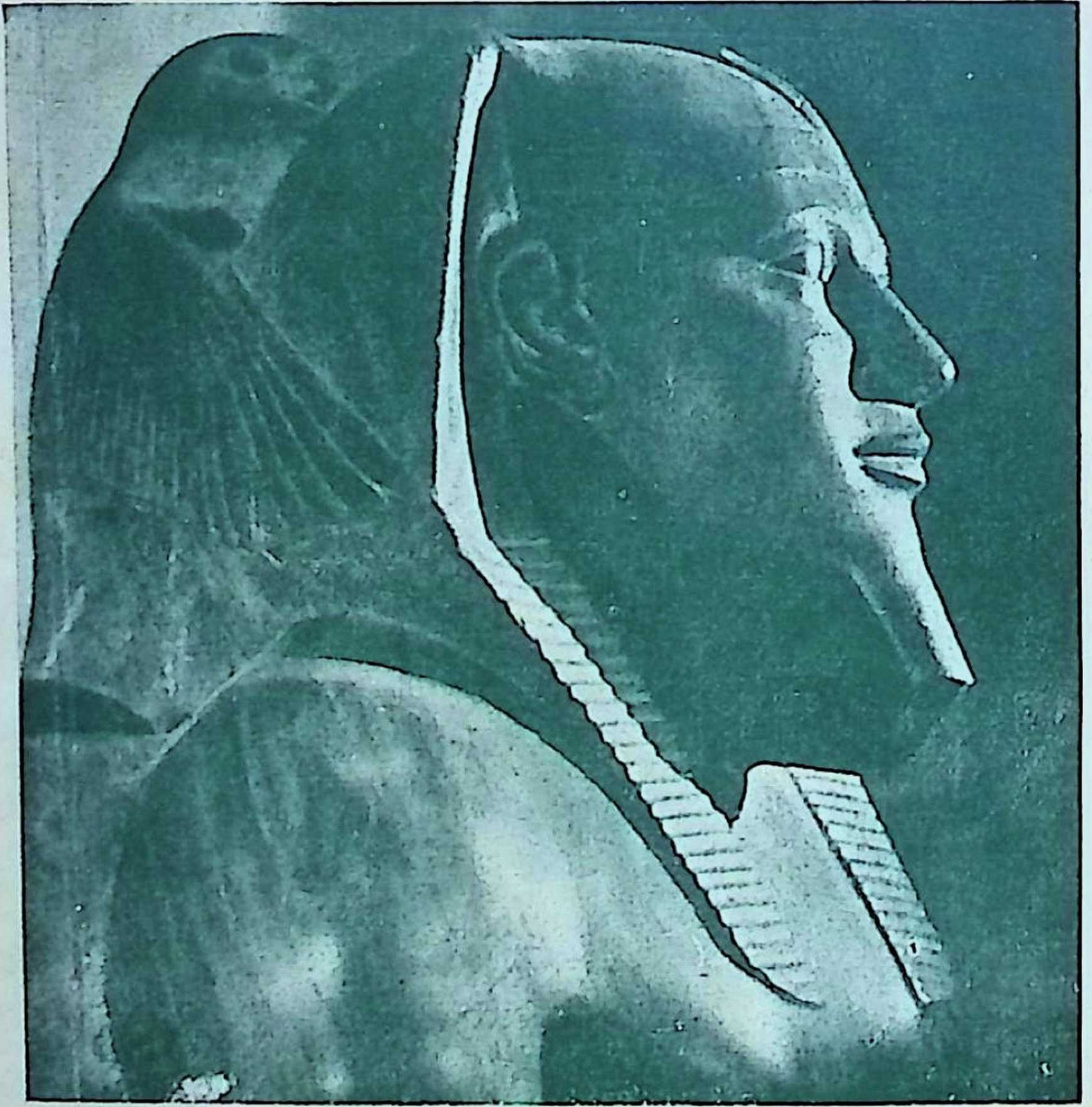
تقدم لك في عددها الجديد قبيل منتصف يناير الحالى ،
النص الكامل للقصة الجبارة التى اعتبرها « سومرست
موم » و « أندريه مورو » ، احدى أعظم عشر قصص
طويلة فى أدب العالم

مدام بوفارى

للمروائى الفرنسى الكبير جوستاف فلوبر



القصة التى حوكم مؤلفها على اثر نشرها بتهمة افساد
الأخلاق .. فبرأته المحكمة ، ومجدته المحافل الادبية فى
العالم كله ! .. اقرأها بنصها الكامل - لأول مرة -
مزيلة بمحاضر الجلسات التاريخية لمحاكمة مؤلفها ..
ونصوص مرافعة الاتهام ضده .. ودفاعه المجيد عن
نفسه ، وعن الأدب !



قطاع من تمثال بالمتحف المصرى للملك « خفرع » مشيد الهرم الاوسط
من اهرام الجيزة • وخلف راس الملك صقر يمثل الاله «حورس» حامى
الملك • ويرجع تاريخ التمثال الى حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد



تمثال بمتحف (بوسطن) بأمريكا ، للملك منقرع مشيد الهرم الأصفر ،
وقد احاطت زوجته خصره بذراعاها وربتت على ذراعه بيدها الأخرى في
حنان مثالي ، والتمثال يرجع الى عهد الأسرة الرابعة (حوالي عام ٢٤٥٠ ق م)

العيون السوداء!

قصّة مصرية في يوميات : للمرحوم



من يوميات شاب حالم

- ١ -

٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٦

♦ لا جديد ! .. وماذا يمكن أن يجد في حياة موظف بسيط ، يزامل الوحدة في مسكنه باحدى عمارات (الجيزة) ، قريبا من عمله ؟

ان الايام تمر بى متشابهة ، فقد أضحت حياتى قائمة خاملة ، ليس لها طعم ، ولا روح .. ولا غاية
اننى خى .. ولكننى لا أعيش !

٢٧ أكتوبر

♦ خطرت لى اليوم فكرة مبتكرة بشأن كهربية خط حلوان . فكرت أن أعرضها على المختصين فى الوزارة ، لعل أنقل الى القسم الفنى ، بدلا من عملى هذا الذى لا صلة له بدراستى السابقة

ولكننى عدلت ..

لقد ألفت حياة الخمول والتواكل التى أحياها !

أول نوفمبر

♦ مالى تدمرت !

كنت ذاهبا أمس الى المقهى ، فلمحت فى « فترينة » أحد محال الاسطوانات عنوان لحن استوقف نظرى . وقفت جامدا أحرق فى اسطوانة « العيون السوداء » ، ذاهلا عن المطر الذى بلل معطفى ، ثم تنبهت أخيرا على صوت باب المحل وهو يغلق فأسرعت بالدخول ، وابتعت الاسطوانة وحملتها الى البيت



لا شك أن منظري كان مضحكا
وأنا أحنو عليها طوال الطريق
وأضرم عليها أصابعي ، خشية
أن تنزلق !

وأسرعت الى الجرامفون أنفض
عنه الغبار ، وأديرها عليه
عجبا .. من كان يظن أنني
أبكي !

لم يكد صدى النغم الأخير
يموت في أذني ، حتى أحسست
بالدموع تتجمع في عيني ، فتركتها
تفيض .. لقد أثار اللحن

أشجانني من جديد ، وأعاد الى حواسي صورة كانت قد بهتت
وحالت ألوانها ، بعد أن أتحفت حياتي بلحظات خالدة ، منذ
ستة أعوام ..

ووجدت نفسي أحن الى الماضي بكل ما فيه من لذات وآلام ،
نعمت بها وشقيت ، أياما لن أنساها !
هيه .. لا اقبل من أن أنبش الذكريات ، وأعود .. الى
الماضي !

- ٢ -

٧ يوليو سنة ١٩٣٩

♦ عدت الى « البلد » منذ يومين لقضاء فترة الصيف فيها مع
أسرتي ، لأول مرة منذ أربع سنوات .. منذ غادرتها الى
القاهرة لدراسة الهندسة ، التي لم يبق على انتهائى منها
سوى عام
وبدا الأقارب والأصدقاء يفدون على منزلنا مهئين ،

متزاجين على دعرتى للغداء والعشاء و .. دون أن يتركوا لي فرصة للتملص أو الاعتذار . ما أعجب شعور الناس هنا في أقاليم الصعيد ! لقد تحيرت دموع الشكر والحجل في عيني ، حين لمست هذه الرابطة المتبادلة بين الاسر . ان هذه الصداقة المشبعة بالشوق والاخلاص ، والفرح للآخرين ، تتوارى في القاهرة خلف أقنعة المآرب والشهوات ، وتغرق وسط ذلك الخليط المتنافر من مختلف الاجناس والاوساط ..
ما ألد أن يعيش الشخص في وطنه حقيقة .. ولو أياما
كل عام

١٦ يوليو

♦ بدأت أستقر ، وأخلد للراحة السخية التي تمنحها هذه الجهات . انى أنعم هنا بلحظات استجمام ولذة هادئة ، كلما فرغت لمطالعاتي المحببة . يخيل الى أن المتعة التي أتلمسها بين صفحات الكتب تهبنى صفاء ذهن عجيبا ، لا يعكره « البارازيت » الذى يتخلل جو القاهرة المكهرب ..

١٩ يوليو

♦ دعيت مع أسرتنا الى سـهرة يقيمها الليلة والد رأفت - صديقى منذ الطفولة - احتفالا بالعام الأول للطفل الذى رزقته ابنته اعتدال . بدأت أضيق بهذه الحفلات المملة . أود لو أعتذر عن الذهاب ، لكنى أخشى أن يعتبر ذلك « حركة سخيفة » منى !

٢٠ يوليو

♦ كيف خطر لي أن أعتذر ؟! .. لو فعلت ما نجوت من الندم ، فقد كانت السعادة تنتظرني هناك دون أن أدري . بدأت أعتقد ان المفاجأة السارة التي يهيئها لنا القدر في لحظة

انشراح ، تجيء أروع من كل ما نسعى اليه شهورا طويلة !
.. كيف أبداً ؟

كان البيت يموج بالأسر المتحابة التي دعيت .. وقد ازدحمت ببعضها شرفته ، وبقي الآخرون في الصالون يتسامرون ويضحكون ، يسودهم ذلك الضجيج الذي عرفت به حفلاتنا . ولم أكد أجلس حتى ذكرني المقعد الذي قدم لي ، بأحدى صور الطفولة . كم أنهكنا تلك المقاعد في صغرنا ، حين كان لا يحلو لنا اللعب ، أنا و « سلوى » - الأخت الثانية لرأفت - إلا في الصالون ، وعلى البيانو الذي يحتل أحد أركانه ! وتذكرت « سلوى » .. انها لم تحضر مع أسرتها يوم جاءوا عقب وصولي .. فأين هي ؟

درت بعيني في أنحاء المكان ، ولكن أحدى الفكاهات التي كان القوم يتندرون بها ، أنستني ما كنت بسبيله ..
.. حتى اقترحت احدى المدعوات أن تسمعنا « سلوى » قطعة على البيانو ، وأيد الجميع الاقتراح .. فجاءت سلوى من احدى الغرف وقد أخرجها التصفيق ، ورفع الى وجهها حمرة عذبة ! .. لم أكن رأيته منذ أربعة أعوام ، منذ تركتها صبية في الخامسة عشرة ، فاذا بها الآن قد نضجت واستطال قوامها .. ولم تكد تقترب من البيانو الذي كنت أجلس بجواره حتى .. آه ، لقد صدمتني فيها عينان يشع منهما نور ونار !

ورحت أرمقها وهي تعزف لحن « العيون السوداء » .. وأنا أتلقى الصدمات تلو الصدمات ! .. كانت أناملها تقطف من البيانو في رشاقة ، صدى الانغام التي خلتها تترقرق من أهدابها الطويلة الفاحمة ، فتغشى الحس واهنة خائرة ، حتى يسكن اليها ويستنيم ، فتعنف وتثور ، وتدب فيها الحياة قوية جامحة ثم .. يعود السكون من جديد

عجبا ! .. من كان يظن أنني أتلعثم أمام سلوى ؟
لم يكد صدى النغم الأخير يموت في آذاننا حتى أحسست

بالكلمات تتزاحم على لساني ، فتقدمت من سلوى محييا ومهنئا .. ولكنى لم أنطق بغير بضعة ألفاظ خافتة ، تبخر باقيها على وهج نظراتها فتلعثمت .. ولحظت هي منى ذلك فارتبكت قليلا وهي تبتسم ، وترد تحيتى بهمة لا معنى لها ، بينما راحت عيناها الخجلتان تتلمسان شخصا آخر يكلمها ..

بدا واضحا ادراكها انها قد غدت عذراء ، وغدوت رجلا ! وأعد العشاء ، فوجدتنى أحرص على الجلوس الى جوارها ، متجاهلا المقعد الذى قدم لى فى مكان آخر ! .. كانت جرأة أعجب الآن كيف واثتنى ، وان كنت لم أعبأ وقتئذ ، بل اكتفيت بأن أجلت بصرى بين الحاضرين متلمسا أثرها ، فتبينت أن أحدا لم يلحظنى ، اذ كانوا مستغرقين فى الأحاديث والضحكات ، وعيونهم تهضم الطعام الشهى الذى حفلت به المائدة !

وشبع الكل ما عداى وسلوى ، فقد كان كل همى أن أنتهز فرصة ارتفاع أصوات نفر من المدعوين ، فى حديث صاخب ، لأهمس لها بأية كلمة أو تعليق أجده على لساني ، كى أشبع بصرى من وجهها وأدفىء روحى بالفتنة التى تشتعل فى عينيها ..

وكانت اذا ما أعيتها الردود ، تذكر فجأة ان أمامها طعاما لم يؤكل ، فتهرب من الجواب وابتسامة حيية تتعثر على شفيتها . ما أغرب الشعور الذى تخطف حواسى فى تلك اللحظات ! انه شعور الانسان بفرح طاغ وراحة خفية ، لامكان ازدياد التفاهم بينه وبين الشخص الذى يخصه باعجابه ، وينعم بقربه

لقد صحوت مع الفجر منذ لحظات ، فوجدتنى أتحنس راحة يدي . خيل لى أنها اختزنت الدفء الذى سرى اليها من يد سلوى حين اتكأت عليها عند الباب ، وقت الخروج ، فترة أطلناها عمدا وأنا أهمس لها : « الى اللقاء » !

وخرجت وقتئذ ، وكيانى يعانى حمى فضول عجيب لا يزال يغشانى : ترى هل كتب لزوحى الحائرة ، الظمأى الى عاطفة تطهرها وتغسل وحشتها المقبضة .. أن تجد راحتها أخيرا ؟

٢٣ يوليو

♦ قنعت اليوم من سلوى - حين كنا فى منزل أهلها - بما نالنى من « رشاش » أحاديثها ونظراتها .. وقنعت هى منى بالمثل !
كم أتوق الى أن أسمع منها مرارا ذلك اللحن الروسى الذى يتفق مع طبيعتى الشائرة : لحن « العيون السوداء » .. انها فاتنة وهى تعزفه

٢٩ يوليو

♦ يا للنحس ! لم أكن بالبيت حين حضرت سلوى اليوم مع أسرتها لزيارتنا ! .. ولم أكد أعلم حتى اعترتنى نوبة من الكآبة والضيق ، فاعتزمت الا أبرح البيت الا للضرورة ، طوال الأوقات التى يحتمل حضور « أحد » فيها .. لئلا تتكرر المأساة !

٢ أغسطس

♦ انتهزت اليوم فرصة حضور أحد الزائرين فى غيبتى ، ونبهت على أهل البيت أن « يتعلموا النظام » ويتعاملوا مع الجميع على أساس تبادل الاخطار بالزيارة قبلها بيوم أو يومين !

٢٧ أغسطس

♦ يخيل الى أن القدر قد كف عن مناوأتنا وبدأ يقرب بيننا ، ويحثنا على أن نسهل مهمته . فقد جمعتنى المصادفات مع

سلوى واخوتها عدة مرات ، فى مناسبات مختلفة : فى الطريق ، وفى سينما البلدية ، وفى منزلهم ، ومنزلنا .. وفى كل مرة كنا نتبادل جميعا الأحاديث فى أى موضوع ، فأحس لمجرد سماعى صـوتها ، وملء عيني من البشاشة التى تفيض من وجهها ، براحة تزيل ما قد يكون بنفسى من الضيق ، وتضفى على مرحا وجـدلا لا عهد لى بهما .. فأقضى بقية اليوم نشطا طروبا
ما أعذب هذا الشعور ..

٨ سبتمبر

♦ استطعت أمس أن أحظى ببضع دقائق قضيناها منفردين ، حين كنا فى السينما وتركنا رأفت فى « الانتراكت » ليتحدث مع صديق له . كان الهواء نديا يرطب الوجوه ، فأحسست بانتعاش غريب شـجعتنى على أن أهمس لسلوى ، وبصرى يجوس حائرا فى عينيها :
- ألا أستطيع دخول « الغرفة المظلمة » ؟
- ماذا تقصد ؟ أية غرفة بمظلمة ؟
- قلبك .. لست أطمع فى غير لحظة فقط ، لا أرى كيف انطبعت صورتى فيه !
قالت وهى تضحك لتخفى حياءها العذب :
- انها فى دور « التحميض » ، لم تنطبع بعد ، فاحذر من اقتحام الباب والا « أخذت نور » وفسدت !
وجاء رأفت ..
وبدأ الفيلم ..
لكنى لم أفهم منه شيئا !

١٥ سبتمبر

♦ فاجأت اليوم سلوى وحيدة فى صالون منزلها ، تعزف

« العيون السوداء » ، وتصفر مع البيانو بصوت خافت طروب
 .. فجلست - دون أن أنبهها لوجودى - أستمع للأُنغام
 الثائرة .. وجمع خيالى فهىألى أشتاتاً من الصور الممتعة : أنا
 و « زوجتى » سلوى وحيدى ، فى أصيل أحد أيام الشتاء ، فى
 قارب صغير يحتضنه النيل ، وأيدينا تتلاقى تحت مائه البارد
 - خفية عن العيون ! - فتبعث الدفء فى جسدنا .. وأنفاسنا
 تتعانق فى الهواء فتتفت فيه حرارة تعقد فوق رأسينا سحابة ،
 نختلس خلالها قبلة طويلة ، لا نفيق منها الا وقد بلغنا الشاطئ
 واندفعنا نجرى صوب البيت فى نشوة ومرح ..
 وانتهت سلوى من العزف ففوجئت بشخص يصفق لها ! ..
 واستدارت ، لترانى شبه حالم ، وأنا أسأئلهما مبتسما عن ..
 صورتي فى قلبها !
 وأجابت ، طالبة منى أن أمهلها أسبوعاً آخر .. ثم مضت
 لتنادى أخاها ، كى يجلس معنا !
 ما أشق الانتظار ..

١٨ سبتمبر

♦ لا أستطيع صبراً .. لقد غدا حبى لسلوى الغذاء الذى
 يقتات منه وجدانى ، والنبع الذى أسقى منه آمالى وأطماعى
 وثقتى فى مصير باسم يقرن بمصيرها ، ومستقبل كله خير
 ونجاح مطرد ..
 أود أن أطمئن الى انها تبادلت نفس الشعور ، وتطمع فى
 نفس المصير .. فمتى ؟

١٩ سبتمبر

♦ ان حبى للحياة يزداد باطراد .. لقد غدت فى نظرى شيئاً
 يستحق الكفاح والصبر ، فى انتظار المجهول .. عجيبة حقاً
 هذه الأحاسيس التى حفلت بها نفسى منذ بدأت أقطف من عيني

سلوى نظرات التفاهم ! .. يخيّل الى أن عالما جديدا جذلا
ينكشف أمامنا لأول مرة ، حين نحب .. وان شعاعا من النور
يضيء حياتنا ، منبعثا من قلب المرأة الطاهرة عندما تحب ،
فتتوارى الرذيلة التي لا تختمر الا في الظلام ، ونحتقر ضعفنا
وماضيها العابت .. ظامئين الى بعث جديد !
كم أتوق الى أن يكون قلب سلوى لي ، مبعث ذلك النور ..

٢١ سبتمبر

♦ لقد دخلت « الغرفة المظلمة » ! .. فتحتها لي سلوى
بنفسها ، فرأيت صورتى فيها ، منطبعة بوضوح . حين أنبأتها
بقرب سفرى الى القاهرة لقضاء العام الأخير من دراستى ، وبأن
لا مفر من أن تطمئننى ، أو تطردنى من سمائى التى أحلق فيها
كى أنشد السلوى على الأرض ، حيث كنت .. صارحتنى
بالحقيقة الحلوة : ان صورتى فى أعز ركن من الغرفة المظلمة ،
وانها تتمنى لو طال وجودنا معا !

وسكتت ، لم يطاوعها الحياء على أن تنطق بأكثر من ذلك ..
وكان فى هذا كل كفايتى من الزاد ، طوال العام الذى أمامى
وعدنا بعد حين ، وقد وضعنا فى قلبينا أساس عش مشترك
جميل ، بعد أن اختلسنا من « شلة » الأقرباء الذين كنا نتنزه
معهم ، لحظات ممتعة تحدثنا فيها عن ذلك كله ، حديث روحين
تآلفا على نغم واحد ، وراحا ينشدان اقتران نجميهما فى سماء
الغد المجهول ..

٢٥ سبتمبر

♦ خطر لى اليوم خاطر عجيب ، حين بلغت القاهرة وركبت
الترام الى مسكنى : هذه المقاهى المكتظة بالناس ، التى يموت
فيها نشاط الشباب ، ويخمد فيها ذكاء الرجال ، ويتبدل فيها
تفكير الشيوخ ، ليست الا ثمرة تقاليدنا الفاسدة . لو كانت

كل أوساطنا تستسيغ أن يختلط الرجل بالمرأة فى المجتمعات لقضاء أوقات الفراغ فى رفقة طيبة ، لامتنت ماآسى اللقاء وراء الستار ، ولما صارت حياتنا معتمدة مملة : الرجل فى المقاهى يقتل الساعات فى غير جدوى ، والمرأة فى البيت يقتلها الضيق والسأم ، وكلاهما بعيد عن الآخر ، جامد الذهن ، فاقد الحيوية والحافز على الكفاح ..
لن أكون من زبائن المقهى قط !
هذا ما قررته ..

أول يناير

◆ كيف فعلت هذا ؟! .. انها غواية من الشيطان ، تلك التى ساقتنى ليلة أمس الى (الليدو) لأعيش لحظات فى ذلك الجو الراقص الطروب الذى يولد فيه العام الجديد .. فكان أن نقلتنى بضع كؤوس من الشراب أغرانى عليها فريق من « شبابنا الناهض » .. الى أحد أوكار الرذيلة .. ولم أفق الا فى الصباح !
أفقت ليطالعنى وجه صبوح .. وجه سلوى المطل من صورة لها على مكتبى !
لم أستطع مقابلة النظرات الحزينة العاتبة التى خلتها تهطل من عينيها ، لتغسل حبنا الذى دنسته خطيئتى ..
ان ذلك لن يتكرر .. لقد أقسمت ، وقرنت قسمى بوضع صورتها فى جيبى ، غلافا لقلبى ..

٣ أبريل

◆ مرت بى الليلة احدى أزمات الضيق التى تنتابنى كلما أرهقتنى الدروس ، فألقيت الكتب جانبا وقمت الى « الجراموفون » أدير عليه اسطوانة « العيون السوداء » ..
وللحال ذكرت سلوى

وقفز الى خاطري يوم الامتحان .. لم يبق الا شهران وأنتهى
من الدراسة لأعود الى .. نفسى ، وأشرع فى بناء العرش الجميل
الذى رسمنا تصميمه معا منذ شهور ..
ووجدتنى آخذ صورتها من جيبى وأمضى فى لثمها ، وقد
دبت فى صدرى مطامع عجيبة ، وانبعث فى رأسى عزم جبار ..
وأحسست بالفارق بين هذه الحياة ، وذلك الركود الذى كان
يكتنف روحى السقيمة .. فيما مضى
ولم أعرف انى أستطيع الغناء الا وقتئذ ، حين انكبت على
دروسى وقد اشتعل ذهنى بوقود جديد ، ورحلت أردد إحدى
أغانينا المصرية المحبوبة !

١٠ يونيو

♦ صحوت اليوم وبى احساس من ينهض من مرض طويل ،
ثم تنبعت بعد لحظات لأدرك أنى قد فرغت من الامتحان ! ..
ما ألد أن يخلف الشخص وراءه سنوات من الدراسة المتصلة
المرهقة ، ليتطلع الى مرحلة أخرى من الطريق ، وآفاق جديدة ..
لقد اعتزمت العودة الى « البلد » غدا ، قبل ظهور النتيجة ،
فانى لا أطيق الانتظار .. يا الهى ، ترى كيف أرى سلوى بعد
هذه الشهور الطوال ؟

١٢ يونيو

♦ يا لنظراتها الظمأى وهى تلقانى ! .. قرأت فيها ان حبنى
قد وجد فى قلبها منبتا خصبا ، فتعمقت جذوره وترعرع ..
ولا شك انها قرأت فى نظرتى نفس الصفحات ، فقد أرخت
عينيهما والغبطة تطفرف من أهدابها ، وتشيع فى وجهها حمرة
ساذجة ..

كم هى فاتنة !

٢٣ يونيو

♦ لم تكد الدنيا تسعنا من الفرح ، حين زففت الى سلوى
خبر نجاحي .. ترى متى أوفق الى عمل يمهد أمامي السبيل
الى رضا والديها ، ولو تأخر الزفاف سنوات ؟

٢٧ يونيو

♦ ثار والدي في وجهي اليوم حين أنبأته بتفضيلي العمل في
احدى الشركات على الوظيفة الحكومية التى بدأ يبحث لى عنها ،
ويوسط الناس
عبثا يحاولون .. فلن أقبل وظيفة آلية ، تقبر فى ذهني كل
نشاط وطموح . ان آمال سلوى تفوق هذا المستقبل الراكد
المحدود ..

٥ يوليو

♦ حدث اليوم ما دفع الى مخيلتي مزيجا من الخواطر
السوداء . كنت أرفع عن « الجرامفون » اسطوانتي المحبوبة ،
حين انزلت من أصابعي ، وانكسرت ! .. أحسست لحظتئذ
كأن طائر الشؤم قد انتزع قلبي من مكانه ، وعجزت عن مغالبة
موجة القلق التى طغت على طوال الصباح !
ولكنها كانت أوهاما .. لم يلبث أن وصلني خطاب من
احدى الشركات الهندسية التى كنت قد طلبت العمل فيها منذ
أيام .. لقد قبل طلبى ، ولم تبق الا الاجراءات اللازمة ..
انه المستقبل الذى كنت أطمع فيه !

٧ يوليو

♦ لقد تحطمت القيثارة فجأة .. على غير انتظار !
جاءتنى سلوى دامعة لتنبئني بما حدث : لقد جاءها أبوها مع
الفجر ليهنئها على « النصيب » الموفق الذى طلب يدها ، فقبله

باغتباط . يكفى انه موظف كبير يتقاضى مرتبا دسما ، وله
 رصيد فى البنك . . فضلا عن أنه يناهز الأربعين ، فهو رجل
 رزين . . وله فى البلدة كلمة مسموعة ، و . .
 ولم تملك سلوى أن تمضى فى تعداد مناقب « العريس »
 المنتظر ، فغاض صوتها وانخرطت فى البكاء . .
 يخيل الى أن نوعا من الكبرياء يولى الانسان قوة مفتعلة حين
 يرى من هو أضعف منه ، أولى بالرثاء . . فقد مضيت أسرى
 عنها ، وأسقى فى قلبها الرجاء ، وأنا فى أعماق فريسة
 لليأس !

كلا ، لن أتخلي عن حبنا . .
 سأواصل النضال !

٨ يوليو

♦ كم أنا تعس !

قابلت أباهما الليلة ، وصارحته بحبى لسلوى ، ولكنه رفض
 . . أبى أن يقيم وزنا « لهذه الخيالات التى تمادى فيها شباب
 اليوم ! »

. . وكاد لسانى يصارحه أيضا بحبها لى ، لولا انى ذكرت
 أحاديث الناس عن الفتاة التى تحب ، كأنها أجمت ! فأشفقت
 على سلوى من عاقبة معرفة أبيها بهذا « الفجور » . . ولم أجد
 بدا من اكمال عبارتى بالتساؤل عن . . موافقة سلوى على هذا
 الزواج ؟

يا الهى . . كيف استطعت أن أستمع الى هذا « التاجر »
 وهو يتحدث ؟ ! : « ان الأمر لا يحتاج الى موافقتها ، فالرجل
 لائق ، وموارده كفيلة بإسعادها »

. . كان يتكلم ببساطة عن مميزات « الصفقة » ، وعن موعد
 تسليم « البضاعة » !

لقد تحدد القران بعد شهر . .
 ولم أسمع أكثر من ذلك !

٩ يوليو

♦ كان مأتما حزينا !

لقد دفنا معا حبنا الموءود ، وأهلنا عليه الذكريات ..
وكان المشهد صامتا موحشا ، وليس فى المكان سوانا ..
فان الميت مكروه ، حظى بسخط المجتمع .. والناس !
ووقفنا أنا وسلوى نشيعة ..
وران علينا السكون ..

كنا نذكر المكان ، فقد وقفنا عنده منذ شهور ، يوم رسمنا
الأساس لعشنا الجميل . ولكن الرسم قد زال ، قبل أن يرتفع
البناء ! يبدو أن النيل قد تسلل فى غيبتنا الى الجرف ، ولحق
كل شيء ، فقد زالت أيضا الحشائش الندية التى كانت تطرز
الشط يوم قطعت جذعا منها ولففته حول أصبع سلوى ..
فتفاهمنا !

لم تعد الحشائش ترعى عهدنا ذاك ، فقد جرفها النهر مع
ما جرف ، ومضى !

لم نكن يومئذ وحدنا ،
ولكننا اختلسنا تلك اللحظات ،
فى غفلة عن العيون ..

واليوم ، التقينا منفردين ،
ولكن أرواحنا لم تكن معنا ..
لقد انفلتت الى الماضى لتحيا فيه
من جديد ، بضع لحظات ..

قلت ونحن واقفان : « لقد
انتهى كل شيء .. ليعد كل منا
الى دنياه ، عليها تنسيه الفردوس »
قالت : « محال أن أغالط
نفسى ، ربما استطعت أنت



النسيان ، فأمامك دنيا أخرى ، ومستقبل ، وأطماع ، وستجد
 حتما من تسعدك .. ولكن حالي تختلف . ان الزواج هو كل
 دنيا المرأة ومستقبلها وأطماعها .. وقد اختيرت لي دنياي ،
 وانتهى الامر ! .. انى تعسة يا فكرى .. من كان يظن أننى
 أتزوج رجلا تفصل بينه وبينى عشرون عاما ، ولم أره الا منذ
 يومين ؟ .. انى أعلم ما سيجول فى أفكار الناس ويدور على
 ألسنتهم ، حين يرونى ليلة الزفاف : سيجزم الكل أنى
 تزوجته لماله ، وانى لن أحزن يوم يموت ! .. هل تذكر الليالى
 السعيدة التى كنا نطيل فيها النظر الى السماء ، ونرمز لهنائنا
 بألمع نجمين ؟ .. انى لا ألمح الليلة نجمى بين النجوم .. لا أرى
 أمامى الا الظلام ، الظلام دائما . أوه يا فكرى ، كم أنا خائفة !
 وحجبت وجهها بيديها وهى تدفنه فى صدرى ..
 وتركت رأسها ينام على ضلوعى ، وأنا أودع شعرها قبلات
 صامتة ، لم تحسها .. حتى هدأت ، ورفعت وجهها الى ..
 كان قد تندى بنجوم صغيرة ، لم تلبث أن هوت .. وانطفأت !
 وترنحت على شفتيها ابتسامة شاحبة ونحن نفترق ..
 ثم مضت .. ومضيت
 انها محقة : ما أظلم الطريق .. أمامى أنا الآخر !

- ٣ -

٢ نوفمبر ١٩٤٦

♦ .. ولم أكن واهما ، يوم أحسست ذلك منذ أعوام ..
 فان روحى ماتزال تتخبط فى الظلام ! .. لقد تنفس الفجر
 منذ لحظات ، وأنا فى مقعدى لم ألمس الفراش . انى أذكر
 ما حدث : كنت ذاهبا ليلة أمس الى المقهى الذى اعتدت أن أقضى
 فيه أكثر من ساعات عملى فى المصلحة .. حين لمحت
 الاسطوانة ، فابتعتها وحملتها الى البيت ، وحملتني هى الى
 الماضى ، وعدت منه متعبا ، فأدرت « الجراموفون » من جديد ..
 وأطفأت النور .. وأغمضت عيني ..

لم أكن أنوى أن أنام .. قصدت فقط أن أريح أعصابى ،
وأتححرر من المزئيات التى تفسد على خلوتى مع « العيون
السوداء »

ولكنى أغفيت ..

ورأيت سلوى فى أحلامى مرارا .. رأيتها واقفة أمام المرأة
تصلح شعرها الفاحم الذى أودعته قبلاتى الصامتة ، يوم
افترقنا .. منذ خمسة أعوام . وفجأة تطل على من اطار
النافذة ، وقطرات المطر تسيل من عينيها خلف الزجاج ..
ثم تهبط الى جوارى لتزف الى أنها قد غدت حرة ، وستكون
لى .. وتردف قولها بقبلة ، فتلفح أنفاسها وجهى و .. أفيق
منتشيا ، لأجد الغرفة غارقة فى ظلام خانق ، وليس بها
سواى !

يا الهى ، كم يلذ لى أن أتعذب بالذكريات !
٧ نوفمبر

◆ كلا ، لم أعد أطيق ..

لقد أمعن القدر فى لهوه السمج !

بينما كنت أودع صديقا لى ، رأيتها الليلة فى القطار ، واقفة
بالنافذة تبتاع حلوى « لطفها » ! .. وجرى الطفل ليلاحق بأبيه
فى ديوان قريب ..

اذن فهم عائدون بعد اجازة العيد ؟

أشفقت أن نلتقى ، بعد فراق أعوام ، فتعاودها أطياف ربما
قد نسيتها ! .. ولكنى لم أقو على الابتعاد ، فإن روحى
— الظماى منذ بعيد — قد استمرت أن ترتوى من العيون التى
أمامها ..

ورأتنى سلوى !

قلت وأنا أقمع الانفعال فى صوتى : « أنت .. هنا ؟ »
قالت ويدها تختلج فى يدي : « وى يا فكرى .. أهكذا
تنسانى ؟ »

— انك سعيدة ، والا لما ظلمتني . قولى ان قلبى لم يطاوعنى
على أن أدع الماضى يلاحقك ويعكر دنياك الجديدة كلما صفت ،
وبدأت تنسين ..

— ولكن دنيائى لم تصف! .. لقد أجبرت قلبى على أن ينسى ،
من أجل زوجى ، فهو يحبني ، ويتفانى فى ارضائى .. ولكن
ذلك كله لم يجد ! ان سدودا قوية تفصل بيننا فى الطباع ،
والافكار ، و .. كل شئ .. انه لا يفهمنى ولا أفهمه .. فهو
ليس من دنيائى !

لم أحرك عينى عن وجهها وهى تتكلم ، كانت قسماته تختلج
وتنطق بالألم .. وعيناها ، أين الفتنة التى كانت تشتعل فيهما ؟
لقد انطفأت ، ولمعت مكانها الدموع !

ووجدتني أقول : « كلها أوهام يا سلوى .. اننا فى فجر
الشباب نكون أغرارا ، نسلم قيادنا للأخيلة ونسرف فى
الاحلام .. لا نكاد نلمح بريقا حتى نطن وراءه السعادة ،
بينما هذه تكمن وراء المادة والمال ! .. ما الحب الا سراب
زائف .. »

ولكنها قرأت فى عينى أنى أكذب ، لأواسيها ، فحاولت أن
تبتسم .. لكن الابتسامة تخاذلت على شففتيها وهى تهمس
خلال صفير القطار : « وداعا يا فكرى .. لا تقلق .. انى بخير »
وعاد زوجها ، فاستدارت اليه بوجه بشوش .. وأمسكت
بالطفل تحنو عليه ..

كم هى نبيلة .. وشقية !

وحين ابتعد القطار ، وسار بى الترام فى طريق (الجيزة)
الفارق فى الوحشة والسكون ، كانت المدينة تلقى وراءنا
ضحكاتها الساخرة ..

ما جدوى النفاق .. ان فى قلبينا حقدا دفيننا ، على المجتمع
.. والناس !

ظهرت الطبعة الثالثة ...

من الجزء الأول من

الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية

وتطبيقها العملية

تأليف :
محمد مرسي فهمي

المدير العام بديوان المحاسبة

يتناول شرح قوانين الضرائب وفقاً لأمر
تفويضات وأحكام المحاكم ، وقضايا مجلس
الدولة ، ونشورات مصلحة الضرائب بشأن
الأرباح الخاضعة للضريبة وكيفية تحديد لها.

تحتوي الكتاب ١٤٠ قرناً

يطلب الكتاب بالقاهرة منه :
مكتبات لادخلوا مصر والنهضة والقاهرة
المصرية ومكتبة الاسكندرية من المكتبات الكبرى

الجزء الثاني تحت الطبع ويتناول شرح
قواعد ربط الضريبة وتخصيلها وإعادة
النظر في المنازعات الضريبية

المحاسبون

التجار

الشركات

طلبة التجارة

كل هؤلاء

وغيرهم ...

في حاجة الى

هذا الكتاب :

عزیزی القاری :

قرات معي في الاعداد الماضية قصص:

- اموك : لسـتيفان زفايج • قلب
- عذراء : جون جالزورثي • مرتفعات
- وذرنبج : اميلي برونتي • التلميذ : بول
- بودجيه • احـدب نوتردام : فيكتور
- هوجو • جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتي • ايام
- بومباي الاخرة : لورد ليتون • مانون
- ليسكو : الاب بريفو • حـديقة الله :
- روبرت هـتشنز • عندما تحقد المرأة :
- جورج اونيه • آسيا : ايفان تورجنيف
- الشيطان على الارض : برتراند رسل
- رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج
- الحب الاول : تورجنيف • تايپس :
- اناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.جـ.
- ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس
- ستيفنسون • كوخ المم توم : هارييت
- بيتسر ستو • الزوج والعشيق :
- سومرست موم • البوهيمية : هنرى
- مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه
- شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب :
- دستويفسكى • لحن كرويتزر : تولستوى
- اميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار :
- سومرست موم • افروديت : بيرلويس
- جيـجى : كوليت • الشيطان فى
- الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا :
- ستيفان زفايج • كانديد : فولتير •
- اشجان فرتر : جيته • فرانشسكا :
- موباسان • لوريت : الفريد دى فينى
- المعطف : ن • جو جول • يوميات
- زوجة • الالف المفقود • النار الخالدة
- • وهاك اليوم : « الوحل » !

الحياة
قصة



روائع
القصص
العالمية



قصة كبرى للروائي الفرنسي اميل زولا

المحمد

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

قصة المجتمع .. عندما يتمرغ في الوحل !

♦ لم يكن الروائي الفرنسي الخالد « اميل زولا » قصاصا فحسب ، وانما كان من ابرع من اجادوا رسم الشخصيات والاعواسط ، في الادب الفرنسي الحديث .. وهذا الرجل الذي قدم للعالم شخصيتي « نانا » و « تيريز راكان » ، يصور في الرواية التي اقدمها لك فيما يلي شخصية ثالثة ، كتب لها الخلود .. شخصية « رينيه » المرأة التي بعثت فيها عواطفها المتقدة المشبوبة من النزوات ، بقدر ما وهبتها الطبيعة من جمال .. فلم تقنع بنصيبها من مبادئ المجتمع الفرنسي الذي ساده الفساد في عهد نابليون الثالث ، بل راحت تتوق الى مفامرة جديدة لا تكون قد سبقتها اليها امرأة اخرى .. مفامرة تتقد بنيران الجريمة ، وتفوح منها رائحة الفجور ! .. ويصل « زولا » الى اوج المجد وهو يقدم هذه الشخصية في اطار تناثرت فيه الصور التي تروى اشنع حالات الفساد والانحلال التي يمكن ان يصل اليها مجتمع .. حتى لا يتمالك المرء ان يجد نفسه مسوقا الى المقارنة بين المجتمع الفرنسي في عهد نابليون الثالث ، والمجتمع المصري في عهد فاروق البائد ! .. ولكنى لن افسد عليك متعة ارتياد مجاهل الرواية بنفسك ، فتعال نقرأها معا ..

الفصل الاول

♦ كانت العربية الخفيفة لا تكاد تجد - في عودتها الى الدار - فرجة بين العربات المتزاحمة على حافة البحيرة ، فلم تلبث ان اضطرت للوقوف .. وكانت الشمس تجنح للمغرب في سماء اكتوبر الغائمة ، ملقية على المركبات ضوءا احمر شاحبا .. وقال « مكسيم » لزوجته ابيه الشابة ، التي تجاوره في العربية الخفيفة : « انظري يا رينيه .. هاهي ذى «لور دوريني» في تلك العربية ! » واشرابت « رينيه » ، وأنعمت التحديق تغالب قصر

نظرها ، ثم قالت : « ظننتها اختفت من المجتمع .. لقد غيرت لون شعرها .. »

فقال « مكسيم » ضاحكا : « أجل ، فان عشيقها الجديد يكره اللون الأحمر ! »

وتمطت « رينيه » وقد استيقظت من الحلم الحزين الذى أسكتها طيلة الساعة الماضية . كانت فى ثوب بنفسجى من الحرير البولندى ، ذى زوائد عريضة ، وسترة بيضاء قصيرة ذات قلابات بنفسجية .. وشعرها ذو اللون الغريب الذى اختلطت فيه السمرة بالصفرة بالشحوب ، يستتر تحت قبعة رشيقة مزينة بالورود الصناعية .. وظلت تمد بصرها وقد تغضن جبينها الناصع بخط مجعد واحد .. واذا أيقنت انها لن ترى بجلاء ، تناولت نظارة كمنظارات الرجال ، وأمسكتها فى يدها بدلا من ان تضعها على انفها ، وأخذت تتأمل مليا « لور دوريينى » البدينة .. والمركبات ما زالت واقفة لفرط الزحام .. وهنا وهناك ترف أطراف من ثياب النساء .. والنظرات الصامتة تتبادل خلال النوافذ .. وقد كف الجميع عن الكلام مللا من الانتظار ، فساد صمت لا تعكره سوى ضربات حوافر الجياد الضجرة .. وأخذ الضجيج الذى تعج به غابات « بوا » يخفت رويدا .. كانت باريس بأسرها هناك ، رغم ان موسم النزهات انقضى ، وآن للشتاء ان يسود ..

وما لبثت العربات ان عاودت المسير ، فخفضت « رينيه » نظارتها عن عينيها ، واضطجعت بين حشيات العرببة ، وشدت أطراف جلد الدب الذى زودت به العرببة ، اذ أحست برعدة .. وشرعت الريح تهب من الشمال . كان اليوم الحار الذى خلع على الغابة طابع الربيع فى شهر اكتوبر قد انقلب فى نهايته ينذر بمساء قارس البرد .. وظلت « رينيه » فترة منكشمة فى ركنها الدافئ بالعرببة ،

ثم رفعت رأسها نحو « مكسيم » الذى كان يتفرس فى النساء اللاتى شغلن العربية المجاورة ، وسألته : « قل لى ، هل ترى حقا ان « لور دورينى » فاتنة ؟ .. لكم تغنيت بمديحها يوم دار النقاش حول بيع ماساتها بالميزاد ! .. وبالمناسبة ، هل رأيت القلادة والوسام اللذين اشتراهما لى أبوك فى المزاد ؟ » فضحك « مكسيم » فى خبث وقال : « لكم يحذق تدبير الامور . انه يدبر الأسباب ليدفع ديون « لور » وليمنح زوجته ماسات !

فهزت كتفيها وتمتمت مبتسمة : « يالك من وغد !

وعادت الى وجومها ، تتأمل أصابعها الرشيقة وهى تعبث بوبر جلد الدب . وما لبثت أن ألقت نظرة الى الخارج ، فاذا الى جانب المركبة مركبة أخرى ضمت سيدتين ما ان تبينتهما « رينيه » حتى هزت رأسها لهما محيبة . كانت احدهما « الماركيزة ديسبينيه » التى كان زوجها ياورا للامبراطور ، ثم آثار فضيحة اذ تحالف مع المتذمرين من أبناء الطبقة الراقية القديمة ! .. وكانت الماركيزة من نجوم المجتمع فى عهد الامبراطورية الثانية ، أما زميلتها « مدام هافنيه » فكانت زوجة أحد رجال الصناعة المشهورين الذين حولتهم الامبراطورية الى ساسة !

واذ همت « رينيه » بأن تعود الى انكماشها ، انطلقت من « مكسيم » ضحكة ، فقالت له : « لا تضحك ، فانى أشعر بضيق » .. واذا ذاك رمقها فى سخرية ثم قال مداعبا : « ما أشقانا .. وما أشد غيرتنا ! »

فهتفت فى ازدراء : « أنا ! .. اغار ؟ .. وممن ؟ .. من تلك المدينة « لور » ؟! .. اننى قط ما فكرت فيها . واذا كان زوجى قد دفع ديونها حقا ، وأنقذها من الرحيل ، فلن يدل هذا الا على انه أقل شغفا بالمال مما كنت أخال .. اننى أترك

لعزيزى « اوستيد » كل حرية ! »

وابتسمت فى غير اكتراث ، ولكنها سرعان ما عادت الى اسائها ، وتلفتت حولها فى حيرة المرأة التى لا تدرى أية ملهاة تلوذ بها لتسرى عنها ، ثم تمتمت : « آواه .. ليتنى أغار .. ولكننى لست أغار ، وانما أنا أشعر بسأم »

واخلدت الى الصمت ، محسنة فيما أمامها ، وكأن الافق الريح يذكرها بما فى حياتها من خواء وفراغ ، ثم عادت تكرر فى شكوى : « آواه .. لشد ما أنا ضجرة .. ضجرة حتى الموت ! »

— ليس فى هذا ما يثير العجب ، فان أعصابك مضطربة ولا شك ..

فاضطجعت « رينيه » فى جلستها وأجابت : « اجل .. ان أعصابى مختلة » .. ثم سرت فى صوتها نبرات الامومة وهى تقول : « لقد كبرت فى السن يا صغيرى العزيز ، فسوف أبلغ الثلاثين عما قريب .. انه لأمر فظيع ! .. لا شىء بات يبعث الاغتياب فى نفسى .. انك فى العشرين لا تعرف .. »

فقاطعها الشاب قائلا : « هل جئت بى لأسمع اعترافاتك ؟ .. لعلك تشكين من انك تنفقين أكثر من مائة ألف فرنك على ثيابك فى العام ، وتقيمين فى بيت فخم ، ولديك جياذ بديعة .. ونزواتك قانون ، والصحف تتابع أنباء أثوابك الجديدة وكأنها أحداث ! .. والنساء يحسدنك ، والرجال ينزلون طواعية عن سنوات من أعمارهم ليقبلوا أطراف أصابعك ! .. ألا دعى التواضع واعترفى بأنك من أعمدة الامبراطورية الثانية ! .. وانك أينما ذهبت : الى قصر « التويلرى » ، أو بيوت الوزراء ، أو دور أصحاب الملايين ، كنت ملكة ذات سلطان .. ما من منبع للسرور الا ارتويت منه .. ومع ذلك تشعرين بالملل ! .. ما الذى تبتغين اذن ؟ .. أى شىء تحلمين به ؟ »

فهزت كتفيها ، دلالة على انها لا تعرف .. ومع انها كانت منكسة رأسها ، الا ان « مكسيم » استطاع ان يتبين انها كانت مكتتبة ، حزينة ، فعاد يقول : « انظرى الى هؤلاء الناس العائدين الى باريس .. كلهم عند قدميك .. انهم يحبونك كما لو كنت ملكة عليهم .. وهذا عاشقك مسيو « دى موسيه » لا يتورع عن أن يبعث لك بقبلة فى الهواء ! وبالفعل ، كان ثمرة فارس ينحنى لرئيسه .. وكان « مكسيم » يتكلم فى لهجة ساخرة ، بيد ان « رئيسه » أشاحت عنه ، فقال : « ما الذى تبتغين ؟ »

فرفعت رأسها وفى عينيها بريق يوحى بفضول ينشد اشباعا ، وقالت : « أريد شيئا آخر .. ولكن ، ما هو هذا الشيء ؟ »

ولم تمض فى الحديث ، بل تلفتت حولها .. كان الليل يرخى سدوله ، وراحت تتفرس فى المراثيات وهى تلتف فى طلائع الظلام ، بنظرات زائغة ، شاردة .. وما لبثت ان التفتت فجأة وقالت بصوت تقطر منه دموع الضيق : « أبغى شيئا يختلف عما عهدت .. ولكن ، انى لى ان أعرف كنهه ؟! .. لست أدري سوى اننى سئمت حفلات الرقص .. سئمت ما دى العشاء .. سئمت هذا النوع من التسلية .. انه رتيب الى درجة مضجرة .. والرجال لم أعد أطيعهم .. اجل ، انهم لا يطاقون ! »

وضحك « مكسيم » ، بينما تبدت خلف مظهر سيدة المجتمع الارستقراطية بوادى حنين ملهوف .. وزمت شفيتها كطفل عنيد ، ثم قالت : « لست أسلكك فى عدادهم ، فأنت جـد صغير .. ولكن ، لو اننى استطعت لرويت لك كيف كان « ارستيد » ثقیل الظل فى أيامنا الاولى ! .. وكذلك سواء من الرجال الذين كانوا يهيمون بى .. اننا - أنا وأنت - أصدقاء ، فلا بأس عندى من ان اصارحك .. انه لتمر بى أيام أسأم

فيها حياة المرأة الثرية ، الاثيرة بكل اعجاب وحب ، وأتمنى لو أصبح مثل « لور دورينى » .. واحدة من اللاتى يعشن كالعزباوات .. أواه ، لم تعد فى الحياة ملهاة تدخل السرور على نفسى .. لقد قلت اننى اتوق الى شىء مغاير ، لا أعرفه .. أتفهم ؟ .. شىء لا يمكن ان يحدث لامرئ آخر ، وليس مما يمكن مصادفته كل يوم .. شىء يبعث متعة نادرة ، غير معروفة ! »

ولا مرأ فى ان « مكسيم » كان يدرك ان من الخطل اعتبار الحياة مبعثا للسرور .. فقد كانت له هو الآخر تجاربه ، رغم صغر سنه ، ولقد خبر فترات الشعور بالضيق ، والبرم .. ولكن حبه للحياة كان قويا ، وعدم اكترائه يذهب الى أبعد الحدود .. وقال أخيرا :

- أجل ، انك على حق .. أنا أيضا كثيرا ما أحلم بشىء مغاير .. لكم أود لو كنت على غرام مع راهبة ! .. ألا تجدان متعة فى ذلك ؟ .. اما فكرت يوما فى حب رجل لا تستطيعين ان تفكرى فيه دون ان ترتكبى جريمة ؟

بيد انها استرسلت فى الوجوم حتى أدرك انها غير منصتة لحديثه . وبدأت نائمة ، رغم انها كانت مفتوحة العينين .. كانت مستغرقة فى التفكير .. فكرت فى ملاهى الآمس ، وتلك المتع التى كانت تبهرها ، وما كانت تلتقاه من ارضاء مبادر لكل ما تشتهى ، ثم .. تواتر الحب والخيانة بشكل رتيب .. ثم واتاها قبس من الأمل ، خطر لها على ضوئه ، وهى ترتجف حينها ، ذلك « الشىء المغاير » الذى لم يستطع ذهنها ان يحدده .. فاذا اغراء عارم تتصاعد رائحته ، واذا ألف شعور مثير تسرى فى دمها : من أحلام لم تتحقق ، ومباهج لا اسم لها ، وألوان من الشوق متضاربة .. كل الفوايات الجامحة التى تثيرها غابة (بوا) فى قلب مضنى !

ورفعت رأسها وتطلعت بعينيها الرماديتين الى الشاب ،

والمركبة ماضية بهما .. حتى بلغت طريق «الملكة هورتينس» ،
وصارت على خطوات من « بوليفار مالزيرب » ، فوقفت أمام
منزل قام بين فناء وحديقة ، وقد ازدانت بوابتاه الحديديتان
بزخارف مذهبة ، انعكس عليها الشعاع المنبعث من المصابيح
الغازية .. وقفز « مكسيم » الى الأرض برشاقة اذ همت
المركبة بأن تلج الفناء ، فأمسكت « رينيه » بيده قائلة : « ان
موعد العشاء فى الساعة والنصف كما تعلم ، فلا تجعلنا
ننتظرك .. ولسوف يأتى آل « ماروى » ، ويود أبوك ان
تبدى انتباها نحو لويز ! »

فهز الشاب كتفيه قائلاً فى تذمر : « ياله من شىء يبعث
الضجر ! .. اننى لا أكرث للزواج .. أى جميل تسدينه الى
يا امرأة الأب العزيزة اذا أنت أنقذتنى من لويز الليلة ! »
فشدت على يده ، على طريقة الرجال ، وقالت فى جراءة
وانفعال :

— لو لم أكن قد تزوجت أباك ، فما احسبك الا كنت تطارحنى
الهوى !

♦ **و حين دخلت « رينيه » وجدت وصيف زوجها**
« باتيست » فى البهو ، وقد بدا رائعاً فى ثوبه الأسود ،
وقامته الجديدة ، وكأنه ديبلوماسى انجليزى ، فسألته عن
زوجها . وما ان أنبأها بأنه منهمك فى ارتداء ثيابه ، حتى
صعدت السلم فى ببطء ، وهى تنزع قفازيها عن يديها ، وتتأمل
البهو الفخم وما بدا فى أبسطته وستائره ورياشه من مظاهر
البذخ . وكانت ثمة مرآة هائلة فى صدر الطابق الأول ،
أخذت صورة « رينيه » تتأرجح عليها وهى تصعد الدرجات ،
فسألت نفسها : أتراها جميلة حقاً كما يقول عنها الناس ؟
وساعدتها وصيفتها فى التهيؤ للسهرة . وما ان تركتها

حتى اسندت ذراعيها الى حافة النافذة ، وأخذت تطل على الحديقة التي لفتها كآبة الحريف . . . وعلى حين غرة منها ، ألفت ذهنها يفكر في زواجها من ذلك الأرمل الذي باع نفسه ليغدو زوجها ، واستبدل باسم « روجون » - اسمه الأصلي - اسم « سكار » . . . فأخذها وصاغها للدور الذي تقوم به في هذه الحياة المترفة ! . . . وفطنت الى نفسها ، فاذا بها قد انتقلت الى الماضي ، تحلم بالأيام السالفة حين كانت تلعب مع اختها « كريستين » . وخطر لها انها لن تلبث ان تستيقظ من أحلام السنوات العشر الأخيرة وقد ذهبت بعقلها احدى المضاربات المالية التي يغامر فيها زوجها ! . . . وخيل اليها ان الأشجار تزفر في أسى . . . وأحست بما في الحياة التي تحياها من عار ، وما توحى به المعتقدات التي نشأت عليها - معتقدات الطبقة الوسطى الشريفة - من عقاب لمثلها ، فأقسمت ليل الأ سود ان تصلح من نفسها ، وتقتصد في الانفاق على ثيابها ، ولا تنشده من أسباب التسرية الا ما كان بريئا ، كما كانت تفعل أيام المدرسة !

وأقبلت « سيليست » - الوصيفة - اذ ذاك ، تنبئها بأن السيد يدعوها للهبوط ، اذ بدأ ضيوفهما يتوافدون . . . فارتجفت « رينيه » ، وألقت نظرة عابرة على المرأة ، ثم نزلت ، فاذا معظم الضيوف قد وصلوا بالفعل ، وبينهم اختها « كريستين » - وكانت فتاة في العشرين تتردى ثوبا بسيطا من الحرير الأبيض - وعمتها « اليزابيث » الأرملة ، و « سيدوني روجون » شقيقة زوجها العجفاء ، التي يبدو وجهها كقناع من الشمع لا ينم عن عمرها ! . . . ومسيو « دي ماروي » - الذي تحرر أخيرا من الحداد على زوجته - وابنته « لويز » ، وهي طفلة في السابعة عشرة ، ضامرة الجسم ، محدودة الظهر قليلا . . . ثم عدد من الرجال الوقورين الذين ازدانت صدورهم بالأوسمة . . . وفريق من الشباب أحاطوا

بخمسة أو ست سيدات رائعات الأناقة ، بينهن الزميلتان اللتان لا تفرقان : « مركيزة ديسبينييه » و « مدام هافنيه »

وكان رب البيت « ارستيد سكار » يقف لدى الباب يحيى الوافدين . . . وكان قصير القامة ، زرى الشكل ، ينحنى كالمهرج ، ذا صوت حاد ، وقد انتفخ مزهوا بشريط وسام الشرف : « اللجيون دونير » ! . . . وأثار ظهور « رينييه » غممة اعجاب ، فقد كان ثوبها الحريري ذو اللون الأخضر الباهت ، آية في الابداع . . . وكان رأسها ونحرها تحفتين رائعتين ، وقد بدا صدرها عاريا حتى أعلى ثدييها ، كما تعرت ذراعاها . . . وتجل جمالها ، في تحرره النسبي ، فتنة للأنظار ! . . . وخفت إليها « مركيزة ديسبينييه » فتناولت راحتيها وتأملتها من رأسها إلى قدميها ثم غمفت : « ما ابهاك يا عزيزتي ! » . . . وتسابق الضيوف يقدمون التحية للحسنة الفاتنة ، ولفتت القلادة والوسام نظر « مدام هافنيه » فأقبلت تفحصهما . . . كان بيع مجوهرات « لور دوريني » على كل لسان ، وقد عرف المجتمع ان « سكار » اشترى هذه المجوهرات لزوجته . . . وصاحت به المركيزة اذ عرفت انه دفع ثمنا لها خمسة وستين ألفا من الفرنكات : « تعال اهنئك ، فأنت زوج صالح ! » . . . وكان معه اذ ذاك بناء ان أصابا ثراء ، وقد تهيأ ليعقد معهما في الغد احدى صفقاته . . .

وفي تلك اللحظة أقبل « مكسيم » في ثياب غلفت قامته الرشيقه بأحكام . . . ثم اكتمل المدعوون ، فدعاهم « باتيست » إلى قاعة فخمة ، مدت فيها موائد حافلة . . . وأخذ الوصيف يقوم بمهمته في توجيه الخدم - الذين تولوا توزيع الطعام - في مسلك الديبلوماسي الوقور ! . . . وقال مسيو « هيبيل دولانو » - أحد مديري الأقاليم : « ألن نحظى برؤية صاحب الفخامة الليلة ؟ » . . . فأجاب « سكار » في تعاضم : « ان أخى

جد مشغول ، وقد أوفد سكرتيره مسيو دى سافريه ليعتذر لنا »

وانحنى شاب صغير كانت احدى السيدات تحاول الاستئثار به ، وقال : « أجل ، فلسوف يعقد مجلس الوزراء اجتماعا فى الساعة التاسعة من هذا المساء »

واختلطت اذ ذاك أصوات المدعويين ، وقد تباينت أحاديث كل فريق .. وفى وسط الجلبة ، كان صوت « مكسيم » يرتفع ببعض فضائح المجتمع المخزية .. وصوت مسيو « توتان لاروش » - وهو أحد أعضاء المجلس البلدى - يتحدث عن قرض البلدية وعن الاصلاحات الجديدة التى تعزم اجراءها لتجميل باريس ..

شخص واحد ظل يرقب ما يجرى بنظرات فارغة .. تلك هى « رينيه » التى كانت تؤدى واجبها كمضيضة ، وعلى أساريرها ابتسامة مصطنعة .. وبينما شرع مسيو « سكار » يحول دفة الحديث الى الانتخابات والسياسة .. صاح « مكسيم » فجأة من أقصى الحجرة ، مستمرا فى سرد فضائحه : « أليس صحيحا يا بابا ان سيلفيا الصغيرة كانت تبيع السجاير فى مرسيليا فى سنة ١٨٤٩ ؟ » .. وضج الجميع بالضحك ، بينما تظاهر « ارستيد سكار » بأنه لم يسمع ، واهتم بالاصغاء الى مسيو « توتان لاروش » الذى راح يؤكد له بأنه ولا بد فائز فى الانتخابات ، ثم أردف : « ان على أصحاب الثروات ان يتجمعوا حول العرش » .. ولم تعد « رينيه » تطيق مزيدا ، فهتفت فى ابتسامة فاتنة : « ألا رفقا بنا .. دعونا من أحاديث السياسة ! »

♦ ودار الشراب .. وكانت شفتا « رينيه » وأنفها تنم عن ضيق وانفعال ، وقد أخلدت الى الوجوم .. وأخذت تسرى فى

جسدها قشعريرة كلما انطلقت عاصفة من الضحك من الركن الذى توسطه « مكسيم » ! .. وأخيرا نهضت فى انفعال ، فحذا الجميع حذوها ، وانتثروا فى قاعة الجلوس .. وما لبث الرجال ان انسحبوا الى غرفة التدخين ، فانتحن مسيو « دى موسيه » بمكسيم جانبا ، يسأله عن سبب وجوم « رينيه » وجفوتها - اذ كان مدلها فى هواها - واستطرد يحدثه : « ماذا ترانى فعلت ؟ .. انك لتسدى لى صنيعا لو سألتها عن سر فتورها ، وانباتها باننى أتعذب من أجلها ! »

وسار « مكسيم » مجتازا قاعة الجلوس الى باب فى مؤخرتها يفضى الى حجرة مستديرة صغيرة ، ذات جو فيه غواية ورشاقة .. وكانت « رينيه » تحب تلك الغرفة ، وتقضى فيها سويعات النهار الحاملة .. فوجدها « مكسيم » هناك مع بعض صديقاتها ، فلما رآته خفت اليه .. وقالت هامسة فى سخرية ولوم : « لم يكن العبء ثقيلًا على ما يبدو .. لقد كان مسلكك ولويز أثناء العشاء معيبا ، من فرط ألفتكما ! »

فضحك قائلا : « لقد كنا نتبادل الحكايات .. ما كنت أحسبها ظريفة الى هذا الحد .. انها كالصبية ! » ونقل اليها شكاة « دى موسيه » ، فحولت بصرها عنه وقالت : « اذهب فقل له انه مزعج ! »

وعاد « مكسيم » يجوس بين الضيوف .. كانت معظم السيدات قد انصرفن .. ووجد « لويز » تبحث عن أبيها ، فسرعان ما نسيت بحثها وتسلمت مع الشاب الى الحديقة وهما يتضاحكان فى غير حرج .. ولم يفتنا فى غمرة « انسجامهما » الى ان « رينيه » وقفت متوارية فى الحجرة الصغيرة ترقبهما .. وخلفها مبنى زجاجى لتربية الأزهار النادرة التى تحتاج الى جو دافئ ، وتمثال من الجرانيت الأسود لأبى الهول . وكانت الأفكار الحائرة قد انقشعت عن ذهن « رينيه » .. لم تعد تجهل ذلك « الشئ المغاير » الذى كانت تهفو اليه ، بل



تولاهما ادراك واضح لرغبتها :
كان جو بيت الازهار الحار
يبعث في النفس شهوة جامحة
نحو الحب والمتعة .. أجل ،
ثارت في أعماقها نزوات المرأة
المتعطشة الى الهوى .. وأيقظ
قلبها حنين صارخ .. لقد
أرشد هانظر «مكسيم» و «لويز»
في ضحكهما ودعاباتهما الى ..
« الشئ المفأير » ! .. ولم
تفطن الى أصوات الضيوف وهم
ينصرفون ، فقد تمثلت أمامها

صورة لمتعة لم تعرفها من قبل .. متعة تبعث فيها الجريمة
حرارة وعنفا يفوقان كل العواطف المهتاجة التي كوت جوانحها
يوما !

الفصل الثاني

♦ كان « ارستيد روجون » قد هبط باريس في صبيحة
يوم ٢ ديسمبر - منذ سنوات طويلة - كما يحط الطائر
الجارح على ميدان معركة انتهت حديثا ! .. وكان يومئذ ما يزال
شابا ، وقد ضيع على نفسه - باقامته في الجنوب - فرص
الفوضى التي تتابعت على فرنسا ، فأقبل على باريس في عجلة
ليتدارك ما فاتته ، ساخطا على الريف الذي دفنه بعيدا عن
مواطن الغنم !

واذ ارتاد « الميدان » ، وعرف احتمالاته ، رجع الى الريف
فسوى اموره ، ثم ارتد الى باريس في أوائل سنة ١٨٥٢
مصطحبا زوجته « انجيل » ، واستقرا في مسكن متواضع

بشارع « سان جاك » ومعهما ابنتهما الصغيرة « كلوتيلد » التي كانت فى الرابعة من عمرها - تاركين فى ريف الجنوب ابنتهما « مكسيم » - وفى ليلة الوصول بالذات ، ترك الرجل زوجته ترتب المسكن ، وانطلق يجوس خلال المدينة ويتمثل المعركة التي جاء يخوضها من أجل الثراء ، والجاه .. وفطن الى نفسه ، فاذا به فى ضاحية « سانت أونوريه » ، حيث كان يقيم أخوه « اوجين روجون » الذى كان يعلق عليه أمله ، والذى كان قد انتهز فرصة الانقلاب الذى قامت عليه الامبراطورية الثانية ، فاستطاع ان يرفع نفسه من محام صغير الى « سياسى » خطير الشأن !

على ان غريزة المقامر جعلت « ارستيد » يعدل عن زيارة أخيه فى تلك الليلة .. ولكن لم يكد يبزغ صباح اليوم التالى ، حتى كان عنده ، ينحى عليه باللائمة اذ تركه فى الريف ، وبخل عليه بالنصيحة فلم ينبهه الى الانقلاب قبل وقوعه ، ومن ثم أشرقت الإمبراطورية الثانية قبل ان ينفض يديه من الولاء للجمهورية ، مما عرضه للمتاعب !

وتأمله أخوه برهة ، ثم أجابه : « كل الأخطاء يمكن اصلاحها .. لقد جئت تسألنى منصبا .. والواقع اننى كنت أفكر فىك ، لكنك ولا ريب تقدر اضطرارى الى الحذر .. ان ما تبغيه هو مركز تستطيع ان تصيب فيه ثراء دون ان تعرض نفسك أو تعرضنى للخطر .. دعك من المقاطعة أو الاحتجاج فليس ثمة من يسمعنا .. اننى أعرف انك ذكى ، فلا يمكن ان تقضى على نفسك بغباء .. وأرجو ان لا تبحث بنفسك عن عمل ، بل امكث فى البيت ، ريثما ادبر أمر تعيينك فى المنصب الذى أعدك به ! »

♦ وبعد انقضاء شهر ، عين « ارستيد » مساعدا للموظف

المختص بالمساحة في المجلس البلدى .. وكانت صدمة خيبت رجاءه ، لكن « اوجين » صاح فيه غاضبا : « أحقق أنت ؟ .. لعلك كنت تريد منصبا يمكنك من ان تتمرغ فى النعيم وتتقلب بين أحضان النساء .. أو لا تعرف الصبر ؟ .. اننا نختار أنصارنا من أشد الناس جوعا ، فلا تقلق ، بل انتظر ريثما نعد المائدة .. أو اذهب بنفسك الى المطبخ واغنم لنفسك ما تشتهى .. ألا تفهم ؟ .. استغل منصبك بذكائك ، فلن يقتضيك هذا سوى ان تفتح أذنيك ، وان تتعرف طريقك .. اننا مقبلون على فترة سيكون الثراء فيها فى متناول كل فرد يعرف كيف يدبر اموره ، ولكن .. حذار .. أية فضيحة ستجعلنى أقتلك ! »

وبدأ « ارستيد » يدرس الجو خلال الشهر الأول من توليه ذلك المنصب .. وفى نهاية الشهر ، اقترح « اوجين » عليه ان يغير لقبه ، كى لا يدرك أحد قرابتهما .. فاشتق من لقب زوجته اسم « سكار » .. وبينما نجح « اوجين » فى الفوز بمقعد فى الهيئة التشريعية ، كان « ارستيد » يسخط على حظه ، وعلى المرتب الذى لا يهين له ولزوجته وابنته حياة رغيدة !

وفى أوائل سنة ١٨٥٣ ، عين « ارستيد » مندوبا للجنة تنظيم الطرق . وهنا ، انتبه الى نصيحة أخيه ، ففتح أذنيه وراح يعقد أواصر الود مع موظفى البلدية وأعضاء مجلسها .. واسترعت اهتمامه مشروعات إعادة تخطيط العاصمة لتصبح قبلة أوروبا بأسرها .. كانت الشوارع تشق بجرأة وسرعة ، وعمارات بأسرها تزال فى لمح البصر .. ولجان التعويض تعمل فى نشاط .. الخ

وكانت اخته « سيدونى روجون » قد فقدت زوجها ، واستقرت فى مسكن ذى ثلاث حجرات ، يعلو متجرا تظاهرت بأنها تستخدمه لبيع الخردوات ، لكن الستائر المسدلة على

النوافذ كانت تضيء على هذه التجارة جوا من الغموض !!
وقد أشاعت « مدام سيدونى » بين الجيران انها تحمل سلعها
الى دور الاثرياء .. وان العملاء الذين يترددون عليها ، انما
يفدون الى المسكن لانه يتصل بالمتجر - الذى كان بابه مغلقا
دائما ! - بسلم داخلي ..

.. والى « سيدونى » اتجه « ارستيد » حين تأهب لخطته
.. وكانت اخته فى تلك الاثناء قد أضافت الى نشاطها تجارة
المعازف ، فامتلا المتجر بمختلف أنواع « البيانو » .. كما
انها كانت قد أملت - من أسرة نبيلة اخنى عليها الدهر -
بطرف من قضية استأثرت باهتمامها . وكانت القضية تدور
حول مبلغ كبير من المال اقترضته بريطانيا من فرنسا فى عهد
أسرة « ستيوارت » ، تصل قيمته وفوائده الى ثلاثة بلايين من
الفرنكات !

ووجدت الاخت فى أخيها بغيتها - اذ كان قد قضى عاما فى
دراسة القانون - اما هو فكان ينشد عونها للحصول على رأس
مال يبدأ به مشروعاته ، التى تتمثل فى شراء بعض المنازل
التى يعلم ان مشروعات التنظيم ستزيلها ، ثم يسعى لدى لجان
التعويض لتقدر لها أضعاف قيمتها ! .. وهزت « مدام
سيدونى » رأسها فى أسف بعد ان انصتت الى الخطة .. حتى
اذا هم بالانصراف ، تمتت فى حسرة : « آه ! لو لم تكن
متزوجا ! »

♦ وموت الشهور .. ونشطت المضاربات والتجارة غير
المشروعة فى باريس ، و « سكار » يرقب مطارق الحظ تطرق
الذهب لسواه ، وهو مغيظ ، محقق ! .. ثم زادت نغمته ، يوم
وقعت زوجته « انجيل » فى براثن مرض راح يستفحل ..
وفى دهاء ، استغلت مدام « سيدونى » الفرصة لتهمس فى
اذنى أخيها محسورة : « آه ! لو لم تكن متزوجا ! »

وأثارت فضوله ذات يوم - وكان هذا ما هدفت اليه - فمضت تحدثه عن فتاة في مقتبل الشباب ، جميلة ، يريد أهلها ان يزوجوها ليستروا زلة أوقعها فيها سوء حظها .. وأضافت ان للفتاة عمة حماتها من أبيها الذي كان من عليّة الطبقة الوسطى ، وان هذه العمة أبدت استعدادا لشيء من البذل والتضحية ، بالمال ، في سبيل الحصول على زوج للفتاة ! وأهمل « سكار » زوجته حتى قضى عليها الداء .. ثم أرسل ابنته « كلوتيلد » الى أخ له طبيب فى الريف .. وبارشاد أخته انتقل الى مسكن مؤثث ، أرقى مستوى من مسكنه .. وهناك أفضت اليه « مدام سيدونى » بتفصيلات قصة الفتاة التى كانت تلوح له بها : كان مسيو « بيرو دى شاتل » فى الستين من عمره ، آخر سليل لاسرة عريقة من ثروة الطبقة الوسطى ، وقد استقال من المنصب القضائى الذى كان يشغله عندما قام الانقـلاب ، اذ كان من المتحمسين للجمهورية ، واعتكف فى داره بضاحية (ايل سان لوى) بباريس . وكانت زوجته قد توفيت مخلفة له « رينيه » - التى بلغت اذ ذاك الثامنة عشرة - و « كريستين » الطفلة .. وقد تولت الاشراف على تربية الطفلة أخت له لم تنجب أبناء ، بينما ألحقت « رينيه » بمدرسة داخلية .. وعندما توفى زوج الاخت - خلفا بعض أراض وعقارات - انتقلت هى لتعيش مع أخيها وتعنى بداره وابنتيه ..

واذ بلغت « رينيه » التاسعة عشرة ، تركت المدرسة ، لتقيم مع أبيها وعمتها .. وشد ما كانت صدمة العمة حين تبينت ان الفتاة قد زلت ، مفترية بوعود رجل تخلى عنها ! .. فألت على نفسها ان تحمى الفتاة من أبيها ، وان تجد لها زوجا يستر عارها .. وقد لجأت الى « مدام سيدونى » تستعين بها فى هذا الشأن

واجتمع « ارستيد » بالعمة .. وفى لهجة رجال الأعمال ،

فاوضها .. واستطاع ان يحملها على ان تقدم له « دودة » قدرها مائتا ألف فرنك ! .. ووكل مسيو « بيرو » اخته كي تبرم الصفقة ، اذ أبى عليه شممه ان يقابل « ارستيد » .. وفي دهاء ، قال هذا للعمه « اليزابيث » :

- في رأيي ان تظل الآنسة « رينيه » صاحبة السيطرة على ثروتها ، وأبقى أنا مسيطرا على ثروتى .. وينص على هذا فى العقد ..

وارتاحت العمه الساذجة ، فقالت له : « لسوف يمنح أخى ابنته ضيعة فى (سولونى) قيمتها ثلاثمائة ألف فرنك ، وبيتا فى باريس قيمته مائتا ألف فرنك .. وسأهديها فيما بعد قطعا كبيرة من الأراضى بقرب (شارون) ، تبلغ قيمتها مائتا ألف فرنك ، على ان تؤول ملكيتها لأول طفل ترزق به .. فلست أريد أن يكون ابن سواك عالة عليك !

واندمج « ارستيد » فى الدور الذى رسمه لنفسه ، فتظاهر بأن الامانة تدفعه الى ان يذكر للعمه « اليزابيث » ان له طفلين من زوجة توفيت ، واستطاع ان يكسب عطف السيدة .. وما ان « أبرمت الصفقة » بعد أيام ، حتى سعى الى أخيه « اوجين » ينهى اليه النبأ .. وأدرك « اوجين » لمحة من الحقيقة ، فهتف : « مرحى ! .. انك لبارع .. سأكون شاهداك فى حفلة عقد القران .. واذا دعت الضرورة فسأحضر لك أنصار الحكومة من أعضاء الهيئة التشريعية ، لأعزز مركزك .. » ولم يلتق « سكار » برينيه الا فى الأُمسية السابقة على الزفاف ، وكانت « رينيه » قد تخلت عن أساها المصطنع ، واستردت مرحها مذ دبر زواجها .. وكانت طويلة ذات جمال جذاب فاتن .. ومع ما كان عليه « سكار » من ضالة الجسم وقبح الهيئة ، الا انها لم تشعر بكراهية نحوه ..

وأضفى حضور « اوجين » حفلة الزفاف على المناسبة قبسا من العظمة والأبهة .. وسمح للعروسين أخيرا ان يمثلوا بين

يدى مسيو « بيرو دى شاتل » فى حجرته المعتمة ، فقبل الشيخ
الحزين جبين ابنته فى بطن ، ثم التفت الى زوجها قائلاً : « لقد
عانينا الكثير يا سيدى » ، وبسط له يده فى وقار ..
وكانت « رينيه » اذ ذاك فى رابع شهور الحمل . وشرع
« سكار » يفكر فى ايفادها الى الريف ريثما تضع حملها -
اتباعاً لنصيحة أخته « سيدونى » - كى لا يفتن أحد الى
الحقيقة . ولكن الظروف أراحتة من هذا العناء ، اذ تخلصت
« رينيه » من حملها باجهاض .. وانتشى الزوج بهذه المصادفة ،
فقد أصبح يرى بوضوح ابتسامة الحظ الذى واثاه بزوجة
فاتنة لن تلبث ان تكون سبباً فى ان يحظى بوسام عما قريب ،
فضلاً عن الصداق - « الدوطة » - الذى سوف يمكنه من ان
يشرع فى تنفيذ خطته !

وكانت الحطة غاية فى البساطة ، وكان البيت الذى نالته
« رينيه » من أبيها فى باريس صفقته الاولى ، اذ ابتاعه منها ،
وحرص على ان يستخفى فى الصفقة وراء سمسار يدعى
« لارسونو » حتى لا يكشف أمره ، اذ كان لا يفتأ يتذكر
تحذير أخيه له : « حذار .. أية فضيحة ستحملنى على ان
اقتلك ! » .. وفى دهاء أخذ يتصل بأعضاء المجلس البلدى ،
وكانوا ستة وثلاثين اختارهم الامبراطور نفسه من بين الشيوخ
والنواب والمحامين والأطباء وكبار رجال الصناعة .. على ان
أكثرهم نفوذاً كانا « البارون جورو » ، ومسيو « توتان
لاروش » ، والى هذين وجه « سكار » جل اهتمامه : كان
أولهما قد حظى بلقب البارونية من نابليون الأول مكافأة له
على انه ورد للجيش بسكويتا تالفاً ! .. وظل ذا مكانة فى عهد
لويس الثامن عشر ، وشارل العاشر ، ولويس فيليب ، حتى
اذا كان عصر نابليون الثالث صار عضواً فى مجلس الشيوخ
.. وكان يبيع نفسه فى « وقار وابهة ! » ، ويرتكب أشنع
الذنوب باسم الواجب والضمير .. ورغم بلوغه الثامنة

والسبعين فان نجمه ازداد لمعانا في عالم الفساد !

أما « توتان لاروش » فقد اكتسب بالغش نفوذا في دنيا الصناعة ، ثم اشترى بالمال مقعدا في مجلس الشيوخ .. وكان أول من باع اسمه لتستغله شركة قامت محفوفة بالريب ، واستطاع بنفوذه ان يكتسب الفضيحة حين تبين المساهمون انهم راحوا ضحايا احتيال منظم !

وفي ظلال الرجلين مضى « سكار » ينفذ صفقاته .. بل انه كان يلعب بهما معا ليصل الى أغراضه ! .. وعندما صادفته المتاعب في الحصول على التقدير الذي كان يرجوه لأخذ بيوته التي كانت ستهدم لتوسيع أحد الشوارع ، أشرك « توتان لاروش » في بعض صفقات مالية ، ثم رسم حيلته في براءة ، فاذا الشيخ عضو لجنة التعويض بالمجلس البلدي يهب صارخا في زملائه : « ان الامبراطور يرغب في ان تنفذ المشروعات على نطاق واسع ، فلا يجب ان تعطلنا السفاسف .. ان تعنت اللجنة خليك بأن يوحى للناس اننا نسرقةهم ! »

وكان الفوز من نصيب « سكار » ! .. وأطمعه النجاح ، فمضى يشرك زوجته تحت ستار استثمار أموالها .. وكان كلاهما محبا للمال واللهو !

الفصل الثالث

♦ عندما تجاوز « مكسيم » الثالثة عشرة ببضعة شهور - في سنة ١٨٥٤ - رأى أبوه ان يستقدمه من الريف ، ليهيئ له مركزا في باريس .. ووصل الفتى .. فاذا هو طويل القامة ، ذو وجه كوجه الفتيات ، وشعر خفيف أصفر .. وفيما كان يتأمل رياش قاعة الجلوس وزخارفها ، ولجت « رينيه » القاعة ، عائدة من لندن حائكة ثيابها .. وبهت الفتى لجمالها ، وراح يلتهمها بنظراته .. ثم ابتسم ، فهتفت : « أهذا هو الغلام ؟ .. ما اظرفه ! .. ولكن ، اسمع يا صديقي .. قد لا يعود أبوك قبل موعد العشاء ، فتعال .. اننى امرأة أبوك ، فهلا قبلتنى ؟ »

وامسك بكتفيها وقبل وجنتيها .. فتخلصت منه ضاحكة وهي تقول :
« ما أظرفه ؟ » .. لسوف نغدو صديقين .. اننى أحب ان أغدو أما لك ، وان
انشئك كما ينبغي ان تكون التنشئة .. »

فسألها وهو يحدق فيها بعينيه الزرقاوين : « كم عمرك ؟ »
- ما ينبغي ان توجه هذا السؤال .. على اننى لحسن الحظ لا أزال فى سن
لا خرج من اعلانها .. اننى فى الحادية والعشرين ..
- وانا سابلغ الرابعة عشرة بعد قليل .. فانت خليفة بان تكونى اختا لى ..
ووقفت أمام المرأة تتأمل الثوب الذى كانت ترتديه . كانت لتوها قد تسلمته
من يدى الحائك وارتدته لديه ، ثم آثرت ان تستبقيه عليها .. ولكنها كانت
تحس فيه عيبا لا تدركه .. والتفتت الى « مكسيم » تساله رايه ، فقال وقد
طمأنه لطفها : « انه رائع .. لا عيب فيه ، اللهم ... » ، وتقدم وقد احمر
وجهه - رغم جراته - ومد اصبعها يشير الى عيب فى الصدر ، قائلا : « لو هبطت
فتحة الصدر قليلا ، وارتديت قلادة يتدلى منها صليب كبير .. »
فصفت « رينيه » فى طرب وقالت تقاطعه : « هو هذا حقا .. ان هذا الصغير
ليس بالفبى ، واعتقد اننا سننسجم معا .. على انك يجب ان تفعل ما اشير به
.. دع شعرك اولا ينمو .. ولا ترتد قط سترة مقفولة الصدر .. واستوعب
بعناية ما القيه من دروس فى السلوك .. والآن ، هل ستجبنى كثيرا ؟ »
فهتف فى حماس الصبى العاشق : « ساحبك بكل قلبى ! »

★ ★ ★



♦ كان ذلك لقاءهما الاول ..
وسرعان ما صقلت « رينيه » الفتى .
وكان « مكسيم » يعرف فوق ما يعرفه
انداده فى السن .. كان قد عرف الخطيئة
قبل ان يدرك معنى الشهوة ! .. وكانت
له ابتسامة ، ولفطة عنق ، والتفاف
ذراعين ، توحى بجو من « الانوثة » .
وكان شديد العناية بيديه البضتين ،
الرشيقتين ، وقد اوتى وسطا نحىلا ،
وردفين كارداف النسوة الناضجات ، حتى
لقد كان زملاؤه فى المدرسة الريفية
يحومون حوله تحويمهم حول الفتيات ،
وحتى اطلقت عليه « رينيه » لقب
« المدموازيل » .. كان رقيقا ، لطيفا ، ومع

ذلك فان عناقه كان يثير في نفسها شعورا يمضها .. وقبلاته تبعث في الجلد حرارة .. على ان اكثر ما راقها منه ، هو انه كان جريئا ، يخوض في ادق احاديث النساء - مع صديقات « رينيه » - في غير ما تورع ولا حرج !! وكان صفر سنه يحملهن على ان يمددن له الحبل في معابثتهن ، وان يتحررن في مهازحته ، وكأنه حيوان اليف لا خوف منه .. وكن يتداولنه في تضاحك النساء اذا ما خلون بعضهن الى بعض ، ويسمحن له بتقبيل الاجزاء البضفة من سواعدهن ، ويعلمنه كيف يغدو رجلا انيقا ، رشيقا ، ترضى عنه النساء ..

ووجدت « رينيه » متعة في تعليمه ورعايته .. لم تترك شيئا لم تفعله في سبيل اتمام تعليمه .. وكانت تمر يومئذ بازمة عاطفية قاسية ، اذ نبذها عشيق لها جهرا امام المجتمع الباريسي ، فوجدت في « مكسيم » سلوى تتغذى بها .. وكثيرا ما كانت تنتظره في عربتها امام باب المدرسة عند انصرافه ، لتصحبه الى غابة (بوا) ، وتروج تعرفه بعلية القوم من رجال ونساء .. وكان يبدى اهتماما بالنساء اكثر منه بالرجال ، ويصرح لامرأة ابيه بملاحظات عنهن تجعلها تحبس انفاسها مأخوذة ، ثم تتحول تلقى عليه دروسا في الاخلاق والآداب ..

وكان احب الامور لدى « مكسيم » ان يعيش بين النساء .. وكانت رقة الانوثة التي اوتيتها تجعل صديقات « رينيه » يطمأنن اليه ، حتى لقد كان « الرجل » الوحيد الذي سمح له صانع الازياء النابغة « ويرمس » بأن يلج القسم الخاص بعمل « البروفات » في متجره ! .. كما اعتادت « رينيه » ان تستشيريه في اختيار ثيابها ، وقبعاتها ، وعطورها ، وكل شيء ..

وآتت هذه التربية « الراقية » ثمارها حين بلغ « مكسيم » السابعة عشرة من عمره ، اذ اغوى وصيفة امرأة ابيه .. وكان اسوا ما في الامر ان انجبت الوصيفة طفلا ، فارسلتها « رينيه » الى الريف ، واشترت سكوتها بمماش سنوى تمدها به .. على انها اوسعته لوما على كونه قد هبط بنفسه الى مستوى الخادم .. فاجابها في هدوء :

- انت على حق في ذلك .. لو ان صديقتك الحميمة « سوزان » انصاعت لي ، لكان الايفاد الى الريف من نصيبها !
ووجدت نفسها تتمثل « سوزان » في ذلك الموقف ، فلم تتمالك ان ضحكت .. وجرفهما الضحك في تيار هيسيرى !

★ ★ ★

♦ ولم يكن « سكار » يشغل باله بهذين « الطفلين » - كما كان يدعو زوجته وابنه .. كان قد اطلق لهما كل الحرية ، سعيدا بأن يراهما على ود ووافق ، لينصرف الى الحياة التي ارادها .. حياة المضاربات ، والجري وراء المال ،

والظهور مع عليّة القوم . وكان نجاحه في كل صفقة يطمعه فيقدم على أخرى أكبر وادعى للجرأة منها ! . . . وكانت حمى التجديد تزداد اجتياحا لبّاريس ، فما من حي - بل ما من شارع - الا وكانت فيه بنايات قديمة تهدم ، وأخرى جديدة تقام . . . وكانت البنايات موردا محققا للاستثمار ، اذ كانت اجور المساكن في ارتفاع مستمر ، وأثمان البنايات في ازدياد مطرد . . . وكانت البلدية في توسعها قد أسرفت حتى رزحت تحت الديون لترضى نزوات الامبراطور ، ولتملاّ بالذهب جيوب فريق من الناس . . . ووقعها هذا تحت نفوذ « سكار » الذي كان قد أنشأ مع « توتان لاروش » شركة للقروض العقارية ، فأصبح الشريكان يحظيان بحماية البلدية والحكومة ، ليمضيا في صفقاتهما غير حافلين بشيء ، وهما يحصلان - وأعاونهما - على امتياز اثر امتياز . . . وأصبح الذهب يتدفق على خزانة « سكار » وينساب منها في غير حساب . . . ففدا الرجل يشيد البيوت على كل طراز ، ويقتنى الأسهم والسندات ، ويسيطر على « البورصة » ! . . . وكانت هذه الأعمال كلها تستغرق وقته وانتباهه ، حتى لقد كانت تمر على زوجته « رينيه » أسابيع بأسرها دون ان تراه ! . . . وكانت في قرارة نفسها قانعة بذلك ، مادام يفتح لها ابواب خزائنه على سعتها . . . فقد كان مظهرها امام باريس ومجتمعها يوحى بمتانة مركزه ، ويزيده عزة . . . كانت شريكته دون ان تظن ! . . . وكان وجودها في غمرة مجتمع الامبراطورية الثانية - بغواياته ، ورذائله ، وفساده - وجودها حرة ، جامحة الخيال ، موفورة المال ، كفيلا بان يقضى على كل مقاومة في نفسها للشر والخطيئة ، ويذكي نيران نزواتها وشهواتها . . . وهكذا اخلت تبدل عشاقها كما تبدل ثيابها ! لكنها كانت لا تلبث اذا علقت بواحد منهم ، ان تفيق من نشوتها يوما وقد هجرها مصدعة القلب والكرامة ، فتروح تقسم انها لن تعرف الحب ثانية ! . . . ولكنها لم تكن تطيق عن الحب بعدا او غنى . . . الى ان فوجئت يوما بتجربة جديدة . . . فقد احست وهي بعد في الثامنة والعشرين بان هذا الاندفاع قد ارهقها واضناها . . . وغشيها سام ، حتى لقد كانت تعتكف في مخدعها ، مغلقة ابوابه دون العالم ، من فرط ما استبد بها من صداد أليم !

ومع ذلك ، فقد كانت تهوى المفامرة . . . حدث يوما ان خرجت تمشي على قدميها ، فلم تلبث ان لاحظت ان شابا يتبعها . . . وكان اليوم دافئا ، يتصوع جوه بعير يفتح القلب للحب . . . وراقت لها المفامرة ، فما تبعها يوما سوى عليّة القوم او فرسانهم . . . اما ان يتبعها راجل ، فقد بدا لها أمرا عجيبا . . . طريفا . . . وتعمدت ان تطيل مسافة سيرها ، فازداد الرجل جرأة وامعانا في السير خلفها ! . . . وعندئذ يمت شطر منزل مدام « سيدوني » ، اذ كانت تعرف ان أخت زوجها تضيف الى أعمالها تمهيد فرص اللقاء للعشاق ! . . . وابتسمت مدام « سيدوني » واخلت لهما المكان . . . وكانت هذه المفامرة من

أطرف ما خبرت « رينيه » . قط ما فكرت فيها الا وغلبها الخجل والاستنكار . .
ولكنها كانت فى الوقت ذاته لا تتمالك ان تبترسم ! . اما مدام « سيدونى »
فقد استغلت هذه الفرصة ، فازدادت منذ ذلك اليوم قربى الى زوجة أخيها . .
كانت مذ دبرت زواج « رينيه » من أخيها ، تصبو الى ان تضم هذا الجمال الفاتن
الى زمرة عميلاتها !

كانت عجيبة تلك المدام « سيدونى » ! . لم تتورع عن ان تسلك « مكسيم »
فى عداد عملاتها ، وكانت تقترض منه ماله . . وكان الفتى قد كبر ، وازداد
جمالا ، ولكنه قط لم يذهب فى استهتاره الى درجة الجرأة على اغواء سيدات
الطبقة الراقية ، رغم انه كان يفتنهن . . فكان يقنع بالمعابثة معهن ، ثم يفشا
حيوانيته فى غراميات رخيصة مع المتبذلات !

★ ★ ★

♦ وكانت الدوامة التى تعيش فيها الاسرة تشتد . . فمع نمو « مكسيم »
كان « سكار » يوسع من نطاق أعماله باستمرار ، و « رينيه » تزداد اندفاعا فى
البحث عن متعة مجهولة . . وانتهت الدوامة بهذه المخلوقات الثلاثة الى حياة
عجيبة من التحرر والطيش : كان الأب وزوجة الأب وابن الزوج يتصرفون
ويتكلمون ويجتمعون ويتوادون وكان كلا منهم يعيش طليقا . . كانا هم
ثلاثة من الزملاء . . او كثلاثة من الطلبة يعيشون فى حجرة واحدة استأجروها
بأثاثها ، وهم فى زمالتهم لا يتورعون عن استخدامها لارضاء نزواتهم ،
وممارسة غرامياتهم ، وصخبهم ، وعبثهم . . عبث الطلبة المراهقين ! . . قط لم
يدخل احدهم شك فى علاقته بالآخرين ، ومع ذلك فقد كان كل منهم ينعم
باستقلاله كاملا . . واستبدلوا بفكرة الاسرة ، نوعا من « الزمالة » التى صاروا
يتقاسمون فوائدها على قدم المساواة . . كل يستأثر بحظه من اللهو لنفسه ،
ولا ينزل عنه الا وفق رغبته وهواه . . بل لقد كان كل منهم يمارس لهوه فى
حضور الآخرين ، دون ان يثير لدهما شيئا من المشاعر ، اللهم الا قدرا من
الحسد والفضول !

وأصبح « مكسيم » - وقد غدا فى العشرين - مدرسا لاستاذته . . كان
اذا خرج مع « رينيه » الى الغابة للنزهة ، راح يروى لها القصص عن كواكب
المجتمع وغوانيه اللائى كن يثرن اهتمامها . كان سجلا مفصلا يضم وصفا دقيقا
لكل غانية ، ولمغامراتها ، وفضائحتها . . وكانت « رينيه » تستعذب صحبته
كما لو كان مجلة مسلية . . وكانت تفتح عينيه - كطفل يشهد تجربة غريبة -
اذا راح يهمس فى أذنيها بفضيحة حديثة لم تتكشف بعد على نطاق واسع . .
ويتولاها الفضول الصبيانى وهى تعثر فى جيبه على صور الممثلات والسيدات
الراقيات ! . . وكانت تتأمل هذه الصور فى استغراق ، وتدرسها فى شغف ،

وتستوعب ادق التجمعات فى جمال كل امرأة من صاحبات تلك الصور !
وابتكرا لعبة جديدة للتسلية .. كان كل منهما يسأل صاحبه : « مع من
أحب ان أقضى ليلة ؟ » .. ويتقدم كل ، فيفتح البوما للصور ، وكم من
مفارقات مضحكة كانت هذه اللعبة تمدهما بها !

واشتدت اللفة بين « رينيه » و « مكسيم » حتى انها غدت تشكو له هموم
قلبها ، فكان يواسيها ويبدل لها المشورة .. وتناسيا أباه كان لا وجود له ! ..
وما لبثا ان تعودا ان يبوح كل لصاحبه بأدق أسرارهم ، فى تهامس الأطفال
المفتونين بالتجارب التى تسبب تهوى عقولهم الصغيرة ومشاعرهم الساذجة ..
وكانا يتماديان فى ذلك حتى لقد افضت « رينيه » الى « مكسيم » بأدق الأسرار
التي كانت تجرى بين فتيات المدرسة الداخلية التى كانت فيها قبل زواجها ! ..
وكان هو يروى لها فضائح ما كان يدور بين الفتيان فى مدرسته الريفية !
كذلك قامت بين الأب والابن ألفة متحررة .. كان « سكار » قد أدرك ان
لا بد للمال الكبير من عشيقات ينفق عليهن بسخاء ليبدو فى مركز عزيز فى
المجتمع .. وكان هو بطبيعته يفضل المال على النساء ، ولكنه كان يفسح فى
برنامج وقتا يتردد فيه على الصالونات وعلب الليل .. واعتاد الأب والابن ان
يلتقيا فى غرف النساء فيتبادلان المجاملات والنكات .. بل كانا فى بعض الأحيان
يتنافسان .. وكم تبادل الاكتاف العارية والنحور والخصور .. وكم روى كل
للاخر اعترافاته ومغامراته !

♦ وكان « مكسيم » فى تلك الاثناء متيما بفتاة تدعى « سيلفيا » ، أضجر
زوجة أبيه بحديثه عنها كلما التقيا .. كان هواه نحوها أهوج ، وكان قد اتخذها
عشيقة له .. وفى ذات امسية كانت عربية « رينيه » عائدة من الغابة تحملها
و « مكسيم » ، حين أوقفها الزحام الى جوار عربية « سيلفيا » .. وأخذت كل من
المرأتين ترمق الاخرى فى اهتمام بالغ ، و « مكسيم » فى نشوة .. واذا افترقت
العربتان ، كل فى طريقها ، قالت « رينيه » فجأة :

- أتعرف الجوهري الذى يصوغ لهذه المخلوقة حليها ؟

فاجاب مبتسما : « اجل ، فانا - للأسف - مدين له .. لماذا ؟ »

- لقد لمحت حول معصمها الأيسر سوارا بديعا ، أحب ان أفحصه ..

وفى مساء اليوم التالى جاءها بالسوار قائلا : « هذا ما تبغين .. ان المرء
ليفقد لصا من أجلك يا امرأة الأب ! » .. فاخذت السوار فى لهفة ومضت
تفحصه الى جوار النافذة ، ثم احاطت به معصمها وراحت تتأمله .. ودخل
« سكار » الحجرة اذ ذاك ، فهتف فى عجب : « وى ! سوار سيلفيا ! »

فقلت وهى اكثر منه دهشة : « او تعرف هذا السوار ؟ »

وتمالك نفسه مشيرا باصبعه خلسة يحذر ابنه .. وما ان غادر الحجرة ، حتى التفتت « رينيه » الى « مكسيم » قائلة وهى تعيد اليه السوار : « يجب ان تذهب الى الجوهري فتطلب واحدا مثله تماما ، على ان يرصعه بأحجار الياقوت بدلا من الزمرد ! »

وصار « سكار » لا يملك ان يبقى شيئا او شخصا قريبا منه دون ان تتملكه الرغبة فى بيعه او استثماره ! ومن ثم بدا يدخل ابنه فى حسابه اذ بلغ العشرين .. كان شابا جميلا ، وابن اخ وزير ، وابن مالى كبير ، فهو بهذا مادة طيبة للاستغلال ، وفى وسعه ان يبحث له عن زوجة ذات صداق « دوة » فيخطبها له ، ثم يرجىء الزواج او يعجل به تبعا لداعى الضرورة فى اقتصادياته الخاصة ! .. وحالفه الحظ اذ هداه الى مسيو « ماروى » ، وكان صاحب مصنع للسكر ، اعتزل حياته العملية بعد ان جمع ثروة طائلة ، وبعد ان تزوج من فتاة نبيلة المحتد ، واخذ يبحث عن الاسباب التى تهىء له الظهور ، والظفر بمنصب سياسى رفيع ، رغم ان عقله كان اتفه عقل صادفه « سكار » .. وكانت اطماعه التى لا تقف عند حد سببا فى ان اسلم نفسه لسكار املا فى ان يفيد من نفوذ اخيه الوزير ، ورأى فى زواج ابنته « لويز » من شاب من أسرة الوزير حظا يبشر بفرص واسعة ..

وجعل « ماروى » صداق ابنته مليونا من الفرنكات .. وكانت شوهاء الجسم ، ينخر السل كيائها ويسير بها الى القبر ، مما كان يدفعها الى ان تعب من المرح واللهو فى اسراف .. ويسر لها السبيل انها اوتيت خـلاعة النور (الفجر) ، وخفة روح ملحوظة طفت على قبحها .. وقيل ان امها ماتت فى غمرة الفجور الصارخ ، وان العبث كان يفرى جسمها كما تاكل القرحة الجلد ! .. وكانت « لويز » - بشهور غريزى - تتهافت على « مكسيم » فى خبث ، اذ اوتيت رغم كونها عذراء دراية المرأة والمأما بكل ما فى حياة النساء من خبايا ، الى جانب مزيج عجيب من الروح الصبيانية والجـرارة .. وهكذا استطاعت فى النهاية ان تجتذبه فتشغله حتى عن فائقته « سيلفيا » !

واتفق الوالدان ، ورأيا ان يمهلا « الصغيرين » حتى « يكبرا » .. وكان من المفهوم ان يكون تعيين « مكسيم » مراجعا فى مجلس الدولة ، من هدايا الزفاف !

★ ★ ★

♦ وفى تلك الاثناء ، كان حظ « سكار » قد بلغ ذروته .. كان حظه يتالى فى وسط باريس ، فى الوقت الذى انطلقت فيه كلاب الصيد - صيد الثروات والشهوات - مسعورة ، وغدت فيه عاصمة الامبراطورية الثانية حماة من ذهب ونساء ، وفاضت الرذيلة حتى طفحت بها المجرى فطفت على موارد الماء ،

وانبثقت من نافورات الحدائق ، لتهبط متناثرة على سقوف الدور السماء
الباذخة ..

واجتاح تيار النشاط وتيار المال الذى كان يتدفق بين يدي « سكار » صداق
زوجته .. كانت قد سئمت ، فى نزواتها ، الاشراف بنفسها على ثروتها ، كما ان
ما اصاب زوجها من ثراء جعلها تشمر الى جانبه بانها فقيرة ، فاسلمته مقاليدها ،
.. وكانت نفقاتها قد ارهقتها بالديون ، فاعتادت ان تعتمد عليه ، وان تكل
اليه امورها .. وشيئا فشيئا ، لم يبق لها سوى قطع الاراضى التى منحتها
اياها عمتها « اليزابيث » فى (الشارون) ، والتى ابت ان تفرط فيها حتى
لا تدخل الحزن على قلب عمتها .. ولكن « سكار » لم ينفك يعمل على الوصول
الى هذه الاراضى ، ويدبر خطة لذلك بالتعاون مع زميله القديم « لارسونو » !
وكان « سكار » فى تلك الفترة قد انشا قصرا باذخا فى « بارك مونسو » اسرف
فى زخرفته ورياشه ، وعاش الزوجان فى هذا القصر وقد استقل كل عن الآخر
.. واوغلا فى التحرر - تحت عين الخدم - فقسما القصر الى قسمين ، وعاشا
وكان كلا منهما كان يؤوب الى « فندق » بعد جولاته الحافلة ، ثم لا يكاد يستقر
حتى يتهاى للانطلاق فى المدينة يعب من ملاحيتها .. كان البيت لا يضمهما الا
حين يؤويا الى مخدعيهما فى الليل ، او حين يولما المآدب والحفلات .

وفى تلك الفترة عرضت لرنيه تجربة جديدة تركت فى نفسها اثرا لا يمحي
.. كانت تكاد تموت لهفة الى ان تدعى الى حفلات القصر ، ولكن الوزير
- شقيق زوجها - كان يقاوم هذه الرغبة .. فلما انتقلت الاسرة الى قصر
« بارك مونسو » سنحت له فرصة تحقيق امنيتها ، فى احدى المناسبات . وكان
ثوبها اجمل الاثواب فى الحفلة ، وتالق جمالها كما لم يتالق من قبل ! ..
وعندما ظهر الامبراطور فى القاعة ، ومر بين صفوف المدعوين يتلقى تحيتهم ،
تولت « رنيه » حمى لاهبة ، والامبراطور المهلهل الاعصاب يقترب بخطى
وثيدة واهنة ، وقد علق بصره بها لا يحيد عنها .. واذا صار امامها ، رفع
جفنيه وتاملها ، واحست انه وقف ثانية او ثانيتين ، معتمدا على ذراع احد
قاداته .. ثم سمعته يتمتم للقائد : « انظر يا جنرال .. هاهى ذى زهرة جديدة
بان تقطف ! »

وعندما رفعت « رنيه » راسها ، كان الامبراطور قد اختفى ، وكان القوم
يتكاثرون عند الابواب ..

وكان هذا الاطراء الامبراطورى لديها من ابهى آيات النصر التى توالى فى
حياتها !

الفصل الرابع

♦ لم تكده « رينيه » تأوى الى مخدعها عقب تلك السهرة التي رأت فيها « مكسيم » و « لويز » يتضاحكان ويتداعبان ، حتى تبخر من نفسها ذلك الحنين الذي تولاهما ، مخلفا وراءه مرارة موجعة ! .. ولم تنم فى تلك الليلة الا لماما ، حتى اذا استيقظت ، خيل اليها انها مريضة ، فلزمت مخدعها يومين .. وكان « مكسيم » يقيم فى مسكن خارج القصر ، رغبة فى الاحتفاظ بحريته . وتردد على البيت خلال اليومين يطرق باب مخدعها ، ولكنه لم يتلق منها جوابا ! .. وفى اليوم الثالث ، ألفاها فى حجرة الجلوس الصغيرة ، موردة الوجه ، ضاحكة ، راضية .. واستأنفا حياتهما اللاهية ، الى ان كانا عائدين من نزھتهما فى الغابة ساعة الغروب فى أحد الأيام ، فاذا « رينيه » تفضى الى « مكسيم » بأنها تكاد تموت لهفة الى ان تحضر حفلة راقصة كانت تقيمها ممثلة كبيرة من بين ملكات السهرات فى باريس .. واستنكر منها « مكسيم » هذه الرغبة ، فقد عرفت حفلات « بلانش مولر » بمبازلها وفضائحتها ، ولكنها ما زالت به حتى صدع لرغبتها . وأتاح لها حضور الحفلة وقد اسدلت على وجهها قناعا .. وكانت بادية القلق .. وهالتها المبازل التي رأتها ، رغم انها لم تكن جديدة على المجتمع الباريسى ، فما لبث السام ان اشتد بها ، وطلبت الى « مكسيم » ان ينصرف بها من المكان . وما ان احتـوتـهما العربـة حتى تمتـمت فى حـسرة : « اذن ، فسنعود الى البيت ! »

واقترح ان يجوسا خلال المدينة فى العربـة ، فوافقت .. كانت كارهة للعودة الى البيت ! وكان يشيع فى الليل دفء غريب على شهر أكتوبر ، تزيده بهجة نفحات باردة تسرى من آن لآخر .. وظلت « رينيه » صامتة ، تائهة فى اطواء ألوان مبهمـة من الحنين والرغبات .. وأخذ « مكسيم » يحاول ان

يسرى عنها بقصص ماجنة .. وفجأة قالت له في حيرة :
 « لشد ما أنا جائعة ! » .. وما ان مرت العربية أمام « كافييه
 ريش » حتى بادر الشاب يستوقفها ودعا « رينيه » الى العشاء
 فى المطعم .. وابتسمت وهى تهبط فى حذر ، كطائر يخشى
 ان تبتل قدماء .. وخيل اليها ان السهرة تحولت الى مفامرة
 وهى تتبع الشاب الى سلم فى باب جانبي للمطعم ، ثم وهو
 يصعد السلم وكأنه يلج داره ! .. وما ان بلغا الطابق الاول
 حتى استقبلهما خادم أنيق ، بادره مكسيم قائلا : « أرجو ان
 تتولى بنفسك خدمتنا يا شارل .. اعطنا الغرفة البيضاء »

وانحنى الخادم ، وتقدمهما ففتح باب غرفة خاصة ، بدا
 الضوء الخافت فيها كأنه شفق .. وخلعت « رينيه » غطاء الرأس
 السابغ الذى كانت تستر تحته شخصيتها ، وأخذت تسوى
 شعرها ، وقد أمضتها النظرات التى كان « شارل » يختلسها
 نحوها .. ونظر الخادم الى الشاب فى ألفة وقال : « هل راقك
 عشاء الاربعاء ؟ » .. فتمتم « مكسيم » : « عشاء الاربعاء ..
 أجل ، ايتنا بعشاء الاربعاء » .

واذ انصرف الخادم ، سارت « رينيه » فى الغرفة تتأملها .
 كانت معدة للقاء العشاق ، فالى جانب المائدة كانت ثمة أريكة ،
 وسرير بين النافذة والمدفأة ، وساعة من طراز لويس السادس
 عشر ، وشمعدانات تزين رفا من الرخام .. وكان أعجب ما راق
 لها مرآة طويلة ، حفل اطارها بكلمات حفرتها ماسات النساء
 .. أسماء ، وأشعار ، وتواريخ ، وعبارات وله وغرام ! ..
 وسرى فى نفس « رينيه » نوع من القلق ، ولكنه بدا عذبا ..
 وفجأة سألت « مكسيم » عن عشاء الاربعاء ، فقال : « لا شئ
 .. انه رهان خسره أحد أصدقائي .. »

وما كان ليتورع عن ان يخبرها بأنه تناول العشاء فى ليلة
 الاربعاء مع سيدة التقطها من الطريق ، ولكنه مذ ولج هذه
 الغرفة شرع يعاملها كما لو كان يترضاها ويخشى ان يחדش

سمعتها .. وبينما وقفت متوارية خلف النافذة ترقب باريس في ليها ، أخذ شارل يروح ويغدو وهو يعد المائدة .. وانقضت عشرون دقيقة في صمت لا تشوبه سوى الجلبة المتصاعدة من الطريق ، وما لبثت « رينيه » ان سمعت « مكسيم » يصرف الخادم ، فأحست بالدم يتصاعد الى وجهها ، وأومضت عيناها .. وهم الشاب ان يفلق النافذة فمنعته قائلة : « دع أنغام الموسيقى تسرى إلينا .. »

كانت المغامرة قد ردت الى سنى عمرها الثلاثين رونق الشباب .. غرفة خاصة .. وخلوة وعشاء مع شباب .. وضوء الشارع تثير في نفسها انفعالا غريبا .. كل هذا جعلها تشعر كأنها امرأة ماجنة .. غانية !

ولم يكن « مكسيم » جائعا ، فأخذ يرقبها وقد أقبلت على الطعام في نهم .. كان الطعام شهيا .. وكان في الجو عبير من المجون والخلاعة جعل نفس « رينيه » تتفتح .. وحلا لها النبىذ الأبيض .. وسألها « مكسيم » عما جعلها تعجل بمغادرة حفلة الممثلة .. وعقب قائلا انه لاحظ ان مسيو « سافريه » كان يحوم حولها ، فهل كان هذا مبعث انصرافها ؟ .. فأجابت : « انه رجل مأفون ! .. قط ما خطر لى ان رجلا ذا مكانة مثله - ألف ان يبدى كل ذلك الأدب الذى يبديه فى بيتى - يسرف فى حفلة كتلك فيوجه الى كلمات نابية .. على اننى اغفر له .. انما النسوة هن اللاتى ضايقننى بتبذلهن وفحش حديثهن .. لست افهمكم معشر الرجال .. لقد تصورت اننى سأشهد أبهى الحفلات ، فاذا بى أشهد نسوة قذرات ، غبيات ، ينطقن ببذى القول كالعاهرات ! »

وكأنما أثار اقبالها على الطعام شهيته ، فتحول يشاركها .. وتذوقا كل لون منه ، وأفرغا زجاجة « الشمبانيا » وهما فى حديث لا ينقطع ، وكأنهما صديقان راحا يفرغان ما فى قلوبيهما مع الشراب .. واقترح الشاب أخيرا ان يدعو الخادم ليحضر

بعض الحلوى ، فنهضت « رينيه » وسوت من أطراف ثوبها وهي تقول : « تستطيع ان تشعل الآن سيجارك ! »
 وأحست بدوار خفيف من اثر الشراب ، فسعت الى النافذة .. كانت أضواء المدينة قد خفتت عن ذى قبل ، وخفت حركة المرور ، وأخذت بعض فتيات الليل يتنقلن من مشرب الى آخر . وأقبل الخادم فحمل بقايا الطعام ، وهي تطل من النافذة وظهرها اليه .. وعاد يتسكع في الحجرة ، فلما أحس « مكسيم » بضيقها لوجوده ، صرفه ، ثم قال وكأنما تذكر أمرا : « آه .. اننى أعرف طريقة تعفينا من وجوده » ، ودفع مزلاجا أوصد به الباب ..

وعادا الى أحاديثهما الودية المألوفة ، و « مكسيم » يدخن سيجاره ، و « رينيه » تحتسى القهوة .. وازداد جو الغرفة دفئا .. وبدأ وجه المرأة أبهى ما يكون ، فأخذ مكسيم يتأمله خلال دخان سيجاره .. وفجأة ، نهضت فسارت الى المرأة ، وأخذت تقرأ ما كتب على اطارها متفكها ، والشاب يرى وجهها معكوسا على صفحة المرأة ، وقد راح يزداد تضرجا ، وتألقا .. وداخله شيء من الاضطراب والقلق .. وفجأة هتفت : « آه .. هذا اسمك يا مكسيم ! » وأسرع اليها ، فأمسك بيدها وجذبها ليحول دون مضيقها في القراءة .. لكنها قاومته ، وقد شاع في عينيها بريق غريب .. وفي نضالها ، سقطت على الاركة .. وسقط الى جوارها .. وأحاطتها ذراعا ، فهتفت مبهورة : « دعنى ! » .. ثم ساد الحجرة صمت .. وعندما أفاقا الى نفسيهما ، جلسا جنبا الى جنب واجميين ، ثم قال متلعثما : « كان لا بد من هذه النهاية ، طال الوقت أم قصر »

وكانما أفاقت أخيرا ، فقالت وقد تجعد وجهها ، كما لو كان قد دهمها الكبر فجأة : « ماذا ترانا فعلنا ؟ » .. وأحست بأنها تختنق ، فسارت الى النافذة .. وكان الهدوء قد ساد الشارع ، واقفلت المشارب أبوابها .. وخيل اليها ان حرارة

ضجة السهرة ومخازيها كانت تتصاعد من الأرضفة الخالية ،
وكأنما قد علقت في الهواء بقايا الفراميات والمبازل التي
ارتكبت في المدينة !

♦ وفي الصباح التالي استيقظت « رينيه » متأخرة ، فلاذت
بحجرتها ، وقضت الضحى جالسة الى جوار المدفأة . وحوالى
الظهيرة ، أقبل زوجها ، يحمل قائمة بحساب محل « ويرمس »
للأزياء ، قائلا : « لقد وجدت هذه على مكتبى . . . وكم يؤسفنى
ان ليس بوسعى ان اسدها ! »

وتأمل من طرف خفى ما تولاهما من دهشة ، فابتسم وقال :
« انك تعرفين يا عزيزتى اننى قط لم احاسبك على انفاق ، وان
كان بعض اسرافك قد أدهشنى . ان هذا الحساب يصل الى
مائة وستة وثلاثين ألفا من الفرنكات ، وشد ما يؤسفنى اننى
فى ضائقة . . »

- حسنا . . هات القائمة ، وسأدبر الأمر . .

- كأنى بك لاتصدقيننى . . دعينى أشرح لك الأمر . . ان
لك عندى حسابا على كل حال ، فقد عهدت لى بصداقك
أستثمره . .

وأمسك بمحرك النار وراح يعبث فى وقود المدفأة . كان
العبث بالوقود كلما جاءها يحدثها بشأن المال قد غدا عادة
تلازمه ، ويحرص عليها أيضا ، كيما يظل وجهه نحو النار ،
ويخفت صوته بعض الشيء . . ويستلقتك اهتمامه بترتيب
قطع الوقود فتشغل بتأمله عن الحديث ، ثم يسرى اليك الملل
فلا تعود تلقى بالا الى ما يقول ، وتنتهى الى التسليم بأرائه
لتتخلص من الضجر !

ومضى يشرح لها كيف ان جزءا من مالها انفق فى اعداد
القصر الذى يقيمان فيه ، فى حين ان الجزء الآخر كان مستثمرا
فى شركة ناجحة لم يلبث القدر ان تنكر لها فأفلست . .

ولكنه أبى يومئذ ان يحزنها ، فأخذ يدفع لها من ماله الخاص ، رغم ان ثروتها لم يعد لها وجود !
وقالت أخيرا : « لست أسألك حسابا ، فأنا ادرك اننى مدينة لك » . . . فصاح يقاطعها وهو ممسك بيدها : « ما أقسى ما تقولين يا عزيزتى ! . . . الواقع ان النحاس صادفنى فى « البورصة » ، كما ان « توتان لاروش » دفع بأعمالنا فى ورطة عصبية . . . ومن ثم تدركين عذرى فى عجزى عن دفع قائمة الحساب هذه . . . فهلا غفرت لى ؟ »

واثرت لهجته فى نفسها ، وتذكرت ما كان يبدو عليه من قلق خلال الفترة الاخيرة . . . والواقع انه لم يكن كاذبا ! . . . كان الحظ قد بدأ يتنكر له ، وهو لا يقوى على ان يكف عن حياة البذخ التى اعتاد ان يبدو فيها ، اذ كانت ستارا يصـون سمعته ومركزه فى الأوساط المالية والاجتماعية . . . وزاد من حرج مركزه انه كان قد تورط فى صفقات لا يستطيع عنها رجوعا دون ان يقضى على مكانته ، ومن ثم أخذ يقترض بفوائد قاحشة كانت تلتهم الأرباح التى تتأتى عن تلك الصفقات . . . وكان توسعه فى مشروعاته الجريئة سببا آخر زاد من قسوة الضائقة والخطر الذى راح يتهده . . . ثم منى بخسارات متوالية فى « البورصة » كادت تقصم ظهره . . .

وقالت « رينيه » فى ارتياب : « اذا كنت فى ضائقة يا سيدى ، فلم ابتعت لى تينك القلادة والرصيعة اللتين كلفتاك خمسة وستين ألفا من الفرنكات ؟ . . . لم تكن لى حاجة بهما . . . واذا اذنت لى بعتهما لأسدد حساب ويرمس » . . . لكنه أجابها صائحا فى قلق : « حذار . . . اذا لم تظهرى بهما فى حفلة الوزير غدا ، أثرت أقاويل الناس . . . اننى أرجوك ان تستبقيهما ! »

ولم يقل لها أنه ابتاعهما لينقذ « لور دورينى » من فضيحة محققة ، اذ اشتد ضغط الدائنين عليها ! . . . وقالت زوجته وقد

هم بالخروج : « لعل » « لارسونو » يستطيع ان يقرضني مائة وستة وثلاثين ألف فرنك على أراضى الشارون ؟! »
وتحمس للفكرة ، فقد رأى زوجته تنساق من تلقاء نفسها الى ما كان يتمنى ! . . . لقد ظل عامين يرسم الخطط ليستولى على تلك الأراضى . كان قد أقنعها بأن تعقد شركة مع « لارسونو » ، تقدم بمقتضاها الأراضى وما عليها من مبان - على ان تقدر قيمتها بخمسمائة ألف فرنك ، فى حين انها لم تكن تساوى ثلاثمائة ألف ! - مقابل ان ينفق « لارسونو » مبلغا يعادل ذلك فى انشاء ملهى موسيقى ، وحديقة للالعاب والملاهى على تلك الأراضى . . . وما كان اختياره « لارسونو » عبثا ، وانما كانت فى يد الرجل وثيقة يهدده بها من آن لآخر ، فأمل فى ان يستدرجه حتى ينتزعها منه !

وقال « سكار » وقد عاد الى العيث بنار المدفأة : « كنت قد توقعت ان تبدى هذا الاقتراح حين رأيت قائمة الحساب ، فذهبت بنفسى الى « لارسونو » . . . وأظهر الرجل شعورا طيبا ، ولكن موارده الآن محدودة . وكل ما يستطيع ان يقدمه هو . . . خمسون ألفا من الفرنكات . . . انه مبلغ يكفى كدفعة من الحساب . . . على ان « لارسونو » لم يشأ ان يخلط بين هذا الأمر وشركتكم . . . اعنى انه عرض ان يقترض لك المبلغ من مراب أصر على ان يأخذ فى مقابله كمبيالة بثمانين ألف فرنك تستحق الدفع بعد ستة أشهر »

وشهقت مأخوذة . . . ولكن رأسها المدلل لم يكن يحتمل التفكير فى الأرقام طويلا ، فانتهدت الى كتابة « الكمبيالة » . . . وجلس يرقبها وهي تكتب ، وحرك جمالها عواطفه - وكأنما كان غائبا عنه طيلة ذلك الزمن ! - فلم يتمالك وهو يتناول الوثيقة منها ان انحنى فطبع على عنقها قبلة ، وهو يقول : « انك لفاتنة ! » . . . وندت منها صرخة خافتة . . . ونهضت ترتجف ، وتحاول ان تضحك ، وهي لا تتمالك ان تقارن بين

هذه القبة ، وقبلات الليلة السالفة !

وقضت بقية نهارها أمام النار ، وألفت نفسها تفكر في « مكسيم » كشعلة من المتعة يحرقها لهبها ! .. وحلمت وهي مغفية بنزوات غريبة تستمتع بها بين كتل من اللهب على فراش ابيض لفرط حرارته !

♦ وعندما هبط المساء أقبلت مدام « سيدونى » تزورها ، فألفتها تجلس وقد عكس عليها لهب المدفأة دائرة من الوهج .. وعند حافة هذه الدائرة ، وفي الجانب المعتم خارجها ، جلست مدام « سيدونى » فى ثوبها الأسود ، وقد عقدت يديها .. وانساب صوتها الخافت من الظلام : « لعلك فى ضائقة مالية أخرى ! .. آه ، لو انصت لى أخى .. ان بوسـعنا ان نغدو أثرياء .. ولكنهم جميعا يهزون أكتافهم كلما حدثتهم عن ذلك القرض الذى تدين به انجلترا لنا .. لقد حسبت مجموعه وفوائده فاذا به يصل الى بليونين ، وتسعمائة وثلاثة وأربعين مليوناً ، ومائتين وعشرة آلاف من الفرنكات ! » فقالت « رينيه » ساخرة : « ليتك تجددين شخصاً يقرضنى مائة ألف فرنك ريثما يأتى هذا الكنز .. »

— من السهل العثور على المبلغ .. انما المهم هو ما الذى تقدمينه فى مقابله ؟! .. انك تأبين ان تكونى عاقلة يا عزيزتى .. كلما رأيت « ميشلين » لم أملك نفسى من التفكير فىك . هل تعرفين ان مسيو « سافريه » مدله فى هواها الى درجة انه قدم لها هدايا بعشرة آلاف من الفرنكات ؟ .. ان معى الآن رسالة من امرأة مسكينة ، لا يحفل بها زوجها ، فى حين انها تورطت فى ديون ، وكاد دائنها ان يقاضيه لولا انها لجأت الى فأنقذتها !

— أو تعرفين أحدا يقرضنى ذاك المبلغ ؟
— عشرات .. ان زوجك وان كان أخى ، الا اننى لا أتمس

له عذرا في الجرى وراء الغانيات اللاتي لا يساوين قلامة من ظفرك .. مثل « نور دوريني » ! .. أوقفني ان يعطيك المبلغ ؟ ياله من تعس !

وفي براعة ودهاء ، راحت مدام « سيدوني » تضرب على كل وتر ، حتى استخلصت من « رينيه » وعدا بأن تزورها في مسكنها ..

ولم تدر « رينيه » كيف قضت السهرة في الحفلة التي أقامها الوزير في الليلة التالية ، رغم انها كانت قبلة الانظار فيها .. وكان « مكسيم » طيلة السهرة مع « لويز دوماروي » ، فلما شئت « رينيه » ان تنصرف ، سعت اليه وقدمت له ذراعها .. واذ ضمتها العربة تولتها رعدة من فرح ونشوة ، وان لم تشر بكلمة الى ما حدث بينهما اطلاقا .. فلما بلغا البيت ، سألته : « الا تصعد معي ؟ »

وكان الجناح الخاص برينيه أشبه بعش من الحرير و « الدانتيل » تمثلت فيه أروع مظاهر الترف والانوثة المدللة .. كان حديث باريس بأسرها ، وكأنه كان معبدا للحب والطيش !

ولم يبارح « مكسيم » هذا الجناح قبل الساعة السادسة من الصباح التالي . ودفعت اليه « رينيه » مفتاحا لباب خلفي ، ولم تدعه حتى أقسم ان يعود كل ليلة ! .. وما ان خرج الى ضوء الحياة ، حتى ألقى نفسه في حيرة من أمر هذه المغامرة .. على انه لم يلبث ان تقبلها في انصياع ، محدثا نفسه : « انها هي التي ترغب في التماهى على كل حال ! »

♦ واعتادا منذ ذلك اليوم ان يتمرغا في الوحل ، وان يطلقا للحيوانية الكامنة في نفسيهما العنان .. وأقبلت « رينيه » على خطيئتها بقلب جامع ، وعواطف متقدة متأججة . وأدركت سر الملل الذي كان قد اعتورها في المدة الأخيرة ، وذلك الحنين المبهم

الذى برح بها ليلة ان رأت « مكسيم » و « لويز » يتداعيان .. كانت تتوق الى خطيئة من نوع لم يرتكبه أحد .. خطيئة قملاء وجودها الفارغ الخاوى ، وتحملها أخيرا الى ذلك الجحيم المستقر الذى كانت لا تزال تخشاه ، كما كانت تفعل حين كانت فتاة فى طور المراهقة ! .. جحيم الشهوة المتأججة الضرام .. وصار « مكسيم » يوافيها كل ليلة .. وكانا يجدان لذة فى ان يتسلل هو من الباب الخلفى ، ليجدها قابضة تنتظره فى الردهة المفضية الى جناحها ، وقد صرفت الخدم عن هذا الجانب من القصر .. وكانت تفتن فى ابتكار أسباب المتعة ، حتى لقد كان النزق يزين لها فى بعض الليالى ان تهىء لقاءهما الاثم فى البيت الزجاجى المعد للزهور النادرة فى الحديقة ! وكانت تستبد بها أحيانا نزوة مشبوبة ، حتى ليتصورها « مكسيم » وحشا طاغيا أوتى رأس امرأة .. فكان ينصاع لها مستسلما !

وتوالت الليالى وهما لا يقويان على مقاومة التيار .. بل لا يرغبان فى مقاومته ، فقد كان للاستسلام لهذة لاتعدلها فى نظرهما لذة !

الفصل الخامس

♦ راحت القبلة التى طبعها « سكار » على عنق زوجته تلاحق خواطره ! .. كان قد اغفل حقوقه على شخصها كزوج منذ أمد طويل ، ولم يحفل أى منهما بوصل ما انقطع فى هذه الناحية ..

وكان مشروع ملاهى (الشارون) فى الواقع يبشر بالخير ، ومع ذلك فقد كان « سكار » لا يفتأ يرسم الخطط ليضع له نهاية ، فقد كان يوجس خيفة من « لارسونو » بسبب تلك الوثيقة التى تحت يده ، فلم يكن يسايره الا لينتزعها منه ! .. وكان « لارسونو » من ناحيته يبادل التوجس . ولكن كان يربطهما ، من ناحية أخرى ، أمل فى أن تمس مشروعات التخطيط أراضى (الشارون) ، فيعملان بحيلهما على رفع التعويض الذى يدفع عنها الى مليونى فرنك ، يصيب « لارسونو » منها عشرة فى المائة .. أما الباقى فكان « سكار » يرجو أن يفتنمه

لنفسه .. وفى سبيل ذلك حرم على « لارسونو » أن يقرض زوجته ، متطوعا لأن يعفيه من أن يربك حساب شركتهما بالديون التى لا تكف عن طلبها .. وكان يقدم لها القروض من ماله الخاص ، زاعما أنه جاءها بها من بعض المراهبين بوساطة « لارسونو » . فإذا ما حررت سندا للارسونو ، حوله هذا إليه .. وهكذا جمع تحت يده سندات بمائتى ألف فرنك ، لم تنل « رينيه » منها سوى مائة ألف .. وما كان ليستطيع فى ضائقته المالية أن يمضى فى اقراض زوجته، لولا أنه باع بعض قطع من الأراضى المعدة للبناء ، فى وسط المدينة ..

أما « رينيه » ، فكان ذلك الشتاء بالنسبة لها نشوة طويلة من الابتهاج والمتعة .. ولم يكن يعكر عليها هناءها سوى حاجتها التى لا تنقطع الى المال . كان « مكسيم » باهظ التكاليف .. وكان شعورها بالحرية ، واطمئنانها الى انصراف « سكار » عنهما ، يزيدهما جراحة واسرافا .. وجاء الربيع ، فراحا يظهران فى المجتمع ، لا يكادان يفترقان .. ولكن احدا لم يكن ليخطر له ببال أن يتصور - مجرد تصور - حقيقة العلاقة بينهما ! .. على أن الربيع اذكى ضرام العواطف التى كانت قد بدأت تتفتح فى أعماق « سكار » ، ولم يهده خياله المسمم الى طريقة يستأنف بها علاقاته الجنسية مع زوجته ، سوى تلك التى اعتاد أن يبلغ بها مآربه من الغانيات والعاهرات : أن يمدّها بالمال فى الوقت الذى كانت حاجتها اليه فى ازدياد مطرد !



♦ على أن القدر كان يدخر لرينيه ومكسيم عددا من المآزق القاسية . كان الدين الذى لصانع الازياء « ويرمس » قد بلغ مائتى ألف فرنك ، اصر الرجل على أن تدفعها فى الحال ، والا رفع الأمر الى القضاء .. فراحت ترتجف فرقا من الفضيحة . وفى الوقت ذاته ، كان الجوهري الذى صنع لسيلفيا الهدايا التى قدمها اليها « مكسيم » يطالب الشاب بمبلغ ضخيم ، والا .. فلن يهدأ حتى يزوج به فى السجن ! .. وأعلن « سكار » أن ليس لديه ما يساعدهما به ، فجن جنون « رينيه » خشية على « فتاها المدلل » من السجن .. واقسمت أن تحصل على المال مهما يكن الثمن .. والحيلة لا يمكن أن تعيى امرأة ، سيما مع رجل يحترق اشتهاؤها كزوجها ، المحروم من حقه عليها .. وهكذا أقنعت « سكار » بأن يسعى لموافاتها بخمسين ألفا من الفرنكات تسد منها دين الجوهري ، وجزءا من حساب صانع الازياء ..

ولكنها لم تشأ أن تعتمد على وعد زوجها ، فلجأت الى مدام « سيدونى » .. وكانت المرأة تدخر لها نصيحة : ان مسيو « سافريه » يموت وجدا وشفقا بها ! .. ودار فى أعماق « رينيه » صراع قاس ، محتدم ، أدهق عواطفها

واعصابها .. وفي النهاية نهضت واتجهت الى الباب ، قائلة لمدام « سيدونى » المبهوتة ، المستنكرة : « لا .. لست سلعة تباع وتشترى ! » .. لقد كرهت ان تخون مكسيم مع مسيو « سافريه » .. فلئن لم يكن بد من خيانتة ، فلتخنه مع .. ابيه !! .. ومنذ ذلك اليوم اجرت تعديلا فى مواعيد تردد « مكسيم » عليها ، ولم يعجب الشاب لهذا التغير طويلا ، اذ شغله عن التفكير فى أى شىء آخر ، انها دفعت اليه بالمبلغ الذى يقيه شر السجن !

وكتمت سر الخيانة فى نفسها .. كانت تؤثر الموت على ان تفضى لمكسيم بالحقيقة ، خشية ان يثور عليها ويهجرها .. لم تعد تقوى عنه بعدا .. بل انها - اذ راته ليلة منسجما مع خطيبته « لويز ماروى » - احست بغضب بارد ، كاللهب الابيض ، يستعر فى جوفها .. وعقدت عزمها على ان لا تمكن تلك الحدياء من ان تنتزع منها فتاها ! .. والواقع انها وجدت من الظروف ما اقلقها على « مكسيم » ، اذ كان « سكار » فى اشد الحاجة الى ما قرره « ماروى » صداقا لابنته - وهو مبلغ مليون فرنك - ومن ثم رأى ان الاوان قد آن لعقد الزواج ! .. وفى الوقت ذاته كان « ماروى » قد اشترى نجاحه فى الانتخابات بثمان غال ، ولم يكد يطمئن الى مقعده فى الجمعية التشريعية حتى قبلت الجمعية طعنا فى صحة انتخابه ! .. ومن ثم رأى ان يسعى لتعجيل زواج « مكسيم » من ابنته ، كى يستعين بنفوذ عمه الوزير على استعادة مقعده !



♦ واحس « مكسيم » بالخيرة حين فوجئ فى الموضوع .. على ان « لويز » كانت تعجبه ، وكان صداقها مغريا ، فوافق على الموعد الذى حدده ابوه للزواج .. ولكنه ارتاب فى ان تسير الامور وفق ما يشتهى ، فقد كان يدرك ان « رينيه » لن توافق ، ولن تتورع عن ان تثير فضيحة تذهل لها باريس ، معمل الفضائح ! .. كانت المرأة ترقبه فى غيرة جنونية ، حتى لتكاد تتراى له ذئبة ضارية ، وحتى ليكاد يحس بمخالبها مفروسة فى لحمه ! .. وكانت نزواتها تزداد طغيانا ، وتجعله يخشى ان تجن يوما وهى فى احضانه .. فراح يتمنى اليوم الذى يستطيع ان يتخلص فيه من هذه العاشقة الضارية !

وذات ليلة ، وجد قدميه تحملانه الى الباب الخلفى فى غير الموعد الذى حددته له .. وارسل من بين شفثيه صغيرا خافتا ، اعتاد ان يناديها به قبل ان يلج جناحها .. وكانت - للمصادفة - ترتقب اباه فى مخدعها فى ذلك المساء ، فما ان سمعت الصغير حتى جن جنونها ، وهبطت الى الحديقة لا تسترها سوى غلالة رقيقة ، ووقفت حافية على الارض الرطبة ، وتحت البرد القارس ، تهمس فى غضب : « ما اغباك ! .. ألم اقل لك ان لا تاتى فى هذا الموعد ؟ ! »

ورابه امرها .. وكان ابوه فى تلك الاثناء قد ولج المخدع ، ولمح « مكسيم » خياله وراء مصراعى النافذة ، فهتف فجأة : « ان فى مخدعك رجلا ؟! » .. ووقفا لحظة وجها لوجه . كانت اسنان « رينيه » تصطك لفرط البرد والجزع .. واحس « مكسيم » بغضب فوق ما كان يظن نفسه قادرا عليه .. وتملكه شر طاغ حجب اليه ايلامها ، فقال : « كان يجب ان تصارحينى ! .. كم من اناس خبا حبههم ومات .. ولكنى لن ادعك حتى تذكرى لى اسم العشيق الجديد ! »

وكان الصراع قاسيا . تضرعت اليه .. بكت .. ثم خطر لها فى هزيمتها وانكسارها ان تزعم انه مسيو « سافريه » .. واذا ذاك تحول عنها الشاب فى ازدراء ، فتشبثت باطراف ثيابه ، ولكنه دفعها عنه فى عنف ، وانصرف !

★ ★ ★

♦ وفى اليوم التالى احس « سكار » ان الوقت قد حان كى يضرب ضربته القاضية فى مصير اراضى (الشارون) ، فقد سنحت له فرصة كى يبتاع الوثيقة التى تحت يد « لارسونو » بالسندات التى تحت يده من « رينيه » وكانت الطريقة سهلة : لسوف يطالبها « لارسونو » بالمبالغ التى تضمنتها السندات .. ولسوف يعمل « سكار » على اقناعها بان تنزل عن الاراضى فى مقابل الديون ، على ان تتقاضى فوق ذلك مائة الف فرنك نقدا .. ثم يسمى بنفوذه لدى لجنة التعويضات لتقدر مليونين وخمسمائة الف فرنك تعويضا عن استيلاء البلدية على تلك الاراضى للمرافق العامة .. ثم يقسمان الغنيمة معا !

وفى تلك الليلة اقنع « سكار » ابنه بان يعلننا موعد زفافه الى « لويز » للملا ، فى حفلة كانت ستقام فى القصر بعد ايام . وارتاح « مكسيم » الى ذلك . كان قد نفذ يديه من « رينيه » واسلم قياده لاييه ، كما اعتاد ان يسلمه لامراة ابيه .. ولكنه من ناحيته اقنع اياه بان يبقى النبا مكتوما حتى عن « رينيه » لتكون المفاجأة اروع ! .. وانسجم الاب والابن فى تلك الليلة كما لم ينسجما من قبل ، ووجد « سكار » نفسه يحدث ابنه عن الزواج ، ويحذره من ان يهمل زوجته كما أهمل هو « رينيه » ، والا حرم نفسه من متع لم يفتن اليها الا اخيرا ! .. وفى غمرة الثقة والزمالة اللتين شملتاها ، صارحه بعودة العلاقات الزوجية بينه وبين « رينيه » ، ومضى يروى له مفامراته معها ! .. وشد ما بهت « مكسيم » حين تبين من كلام ابيه انه كان الفريم الذى لمح خياله فى مخدع « رينيه » ليلة الامس .. وما ان افترقا ، حتى وجد قدميه تقودانه الى الباب الخلفى ، فدخل الى الحديقة ، وارسل صفيحه الخافت المعهود .. ولم يطل به الانتظار ، اذ سرعان ما وجدها تفتح له الباب وتتقدمه صاعدة السلم

الصغير المفضى الى مخدعها .. حتى اذا استقرا فيه ، خفق قلب « مكسيم »
اشفاقا اذ تبين شحوب وجهها ، والوجوم الذى اعتراها ، والدبول الذى دب
فى جمالها !

واخذ « مكسيم » يسير فى الغرفة برهة وهو صامت ، يتأمل « رينيه » وقد
جلست الى المدفأة لا تتمالك نفسها من الارتجاف رغم وهج النار .. ووقف
امامها اخيرا ، ثم قال فجأة : « لماذا لم تنبئينى بان أبى هو الذى كان فى
مخدعك فى تلك الليلة ؟ »

- ليس هذا بصحيح .. من الذى انباك ؟

- أبى نفسه .. اننى لا افهمك .. انك امرأة غريبة ! .. كان الذنب ذنبك
اذ جعلتنى اقسو عليك .. لو قلت انه كان أبى لانصرفت بهدوء ..
وانخرطت فى البكاء ، فرجع امامها .. بينما اردفت هى فى صوت خافت :
« لقد خشيت ان تهجرنى لو قلت انه أبوك »

- ما اعجبك من امرأة ! .. ولكن ، لماذا اخترت اسم « سافريه » بالذات ؟
- لانه يلاحقنى بهواه ..

وكبح « مكسيم » لسانه عن تعليق وقح .. وتحول يكلمها فى رزاة ، معربا
عن انها يخلق بهما ان يظلا صديقين حميمين .. وكانت تنظر اليه بعينين
احتقنتا لفرط البكاء .. كانت لا تزال تحبه .. وما لبث ان تهيا للانصراف ،
ولكنها استبقت لحظة لتشيد بما وجدته من عطف أبىه ومن حرصه على ان يدبر
لها المال الذى مست حاجتها اليه .. ثم اخذت تفضى اليه بقصة اراضى
(الشارون) . وهم « مكسيم » ان يصارحها بما اشتبه من اطماع أبىه ، وما
قدرت له المصادفة ان يسمعه عن تحالفه مع « لارسونو » ، ولكنه عقل لسانه .
بيد انها احست بغريزتها بما يخفيه ، فما زالت به حتى تكلم .. وانصتت
مبهوتة ، صامتة ، شاحبة .. حتى اذا هم بالانصراف ، صاحت فى لهجة
آمرة : « امكث ! » .. وجذبه اليها ، والصقت شفيتها بشفتيه مغممة :
- الا ترى من حماقة ان نفترق بعد هذا ؟ .. اننى شبه مخبولة .. اننى
لم اعد اقوى على الحياة بدونك !

وانطلقت ضاحكة وقد اومضت عيناها ببريق الجنون .. وضمته قائلة :
- اوترانا نرتكب خطيئة ؟ .. اننا على حب ، نستمع بنفسينا كما يحلو لنا
.. كما يحب أبوك المال ويقتنصه كلما استطاع اليه سبيلا !

★ ★ ★

♦ وفى اليوم التالى ، دلف « سكار » الى مخدع زوجته ليحملها على توقيع
عقد النزول عن اراضى (الشارون) ، ولكنها ابت ان توقع ، فى اصرار كاد

يفقده السيطرة على اعصابه ! .. فانه كان قد عقد كل آماله على هذه الصفقة ، وكانت كل موارده قد نصبت ! .. على أنه تمالك نفسه ، واذا هدا غيظه ، بدأ يرتاب في التطور الذي اصاب مسلك زوجته ، فقد كانت بالامس على استعداد للتوقيع .. ولأول مرة فطن الى أنه بات يرتاب في أن لها عشيقا أشار عليها بذلك ! وقادته قدماء الى أخته ليستشيرها في الامر .. وكانت المرأة قد احنقها على « رينيه » أنها ابتدأت أن تنصاع لاغرائها فتكون عشيقة لمسيو « سافريه » .. وفي تظاهر بالوفاء ، تعهدت لأخيها بأن تكشف سر زوجته !

الفصل السادس

♦ كانت الحفلة التي أقيمت في قصر « سكار » في مساء الخميس ، حفلة مبتكرة .. وتنازل الوزير شقيق رب البيت فشرف الحفلة لنصف ساعة ، كانت كافية لأن تحوطه بهالة من تملق عليه القوم وريائهم !

وكانت مدام « سيدوني » هناك ، وكلها آذان وعيون .. وانصرف الوزير قبل أن تهبط « رينيه » ، متعللا بأن « جلائل الأعمال » ترتقبه كي يصرفها .. وخلا الجو لمجون القوم ، والتفت حول « مكسيم » حلقة أخذت تزداد ، مرسله في المكان ضجيجا صاخبا ضاحكا .. على أن « رينيه » لم تكده تشرق على القوم أخيرا ، حتى أمسكوا أنفاسهم .. كانت في ثوب جديد ، وقد تألق بهاؤها كما لم يتألق من قبل . وكانت وجنتاها متوردتين ، ويدها تشعان حرارة ، وعيناها تتوهجان بحمي خفية .. وابتسمت ، وأخذت ترد التحيات والمجاملات في اقتضاب ..

وبدأ الرقص ، ودار الشراب .. ثم دعى القوم الى مقصف ، أقبلوا على أصنافه في نهم ، وهم يعبون الخمر في غير حساب .. وعادوا بعد ذلك الى الرقص .. رقص ماجن شاعت فيه خلاعة مجمومة .. وانسحب « سكار » مع بعض الرجال الى غرفة أخرى ، ولكن مدام « سيدوني » ما لبثت أن تبعتهم

وأشارت الى أخيها ، ثم انتحت به جانبا ، وهمست : « انها لا ترقص .. وتبدو قلقة ، مستغرقة في أفكار مبهومة .. ولكنى لم أكتشف الرجل بعد ! »

واشتدت بالراقصين حمى الهرج والمجون .. وأبت « رينيه » ان تشاركهم . كانت طيلة الحفلة قلقة ، لا تكاد تستقر .. وفيما هى تجوس فى المكان على غير هدى ، صادفت زوجها وقد وقف يودع مسيو « توتان لاروش » . وتقدم الأخير يحييها ويهنئها ، فابتسمت فى دهشة .. واذا ذاك قال زوجها : « ان زوجتى لم تعلم بعد .. لقد حددنا الليلة فقط موعد زفاف الآنسة « ماروى » ومكسيم »

وظلت وحيدة لحظة بعد انصرافهما ، وقد خبت ابتسامتها ، وأحست برعدة عنيفة تستبد بها .. وكان صخب الراقصين قد بلغ أشده ، حين وقفت بباب القاعة ، وعضبت شفيتها وهى ترى فى هرجهم لونا من السخف لم يرق لها .. ثم سارت بخطى سريعة تبحث عن « مكسيم » و « لويز » .. لكنها لم تجد لهما اثرا ، فزادها هذا جدا فى البحث عنهما ! .. وبعث صخب الراقصين فى أعصابها اضطرابا ما بعده اضطراب .. وأخيرا .. عثرت على ضالتيها فى قاعة الطعام بين أكوام الزجاجات والصحاف ، وقد راحا يأكلان ويشربان ويضحكان ، وكأنهما بمعزل عن العالم !

وسارت « رينيه » الى المائدة ، وهى تجاهد فى غناء كى لا تنقض على الحذاء التى استأثرت دونها بحبيبتها .. وقالت له فى صوت أجش : « أريد ان أتحدث اليك .. على انفراد .. وفى الحال ! »

وبدا خائفا ، لكنه لم يملك سوى ان يستأذن من « لويز » .. وسار خلف « رينيه » صاعدا الى مخدعها . وفى اللحظة التى بلغا فيها قمة السلم ، لمحت مدام « سيدونى » طرف

ثوب « رينيه » - وان لم تلمح من الرجل سوى ساقيه ! -
فأسرعت الى أخيها ..

♦ **وكانت الفوضى** تسود مخدع « رينيه » .. وما ان
جلس الشاب ، حتى وقفت المرأة أمامه وقالت فى صوت
خافت : « اذن .. فستتزوج من تلك الحدياء ؟ ! »
وازعجته لهجتها ، فاستمد من نفسه جرأة ليحسم نهاية
علاقتهم ، وقال : « وماذا فى ذلك ؟ .. ألسنت سيد نفسى ؟ »
.. فازدادت منه اقترابا ، وأمسكت برسغيه قائلة : « سيد
نفسك ؟ .. انك تعرف من السيد ! .. أنا صاحبة السلطان
عليك .. بوسعى ان اكسر ذراعيك ، فاننى أقوى منك ! »
وحاول ان يتملص ، لكنها شددت على ذراعه ، فأرسل
صرخة خافتة .. واذا ذاك افلتت يديه .. فتولاه شحوب وهو
يتحسس رسغيه ، بينما استطردت هى : « لسوف أحبسك
هنا ، وما ان يشرق الصباح ، حتى نشرع فى الرحيل الى
انجلترا ! »

فازداد الفتى شحوبا ، وصرخ : « هذا جنون ! »
- ربما .. لكنك أنت وأباك اللذين قد تمانى اليه ! ..
اننى اريدك ، وسوف أستأثر بك لنفسى .. والا فماذا عساه
يصيبنى اذا تزوجت من تلك الفتاة ؟ .. ان الناس اذا فعلوا
ما فعلته واياك ، ظلوا دائما على هذا الوضع !

- **لا تكونى حمقاء يا رينيه .. فكرى فى الفضيحة !**
- وما الذى يهمنى ؟ .. اذا رفضت اقتراحى فسأهبط
الى القاعة وأصرخ فى القوم معلنة انك عشيقى ، وان النذالة
قد سولت لك ان لا تتورع عن الزواج من تلك الحدياء !
ورضخ لها ، فمضت تقول : « سنفر الى انجلترا ، فاذا
لم يكف هذا ، فسنرحل الى أمريكا ! »

واشتد بمكسيم الذعر .. ان من الجنون ان يخلف باريس ويذهب مع هذه المرأة الى الخارج، تاركين الفضيحة وراءهما !!
فقال محاولا ان يهدئها : « ولكننا لا نملك مالا ! »
- لدى .. مائة ألف فرنك ..

وأخرجت من احد أدراجها العقد الذي أرادها زوجها على ان توقعه متنازلة عن أراضى (الشارون) ، وبادرت تذييله بتوقيعها قائلة : « اذا كان لا بد من ان ينهبنى ، فلينهبنى بمزاجى وارادتى !! لسوف نمر بلارسونو فى طريقنا الى المحطة فنعطيه هذا العقد ونحصل على المبلغ ! »
وعاودها ابتهاجها ، وكأنما أطربتها هذه الفكرة الجنونية .. فأقبلت عليه تحتضنه : « يا حبيبى المسكين .. هل آلتك ؟ ! »
وصدرت من جهة الباب اذ ذاك حركة ، فالتفتا .. واذا « سكار » على عتبة الغرفة !! وساد المكان صمت رهيب ، وقد حملت المرأة فى زوجها بعينين جامدتين .. بينما ترنح الشاب .. وسمر الأب الزوج فى مكانه مشدوها ، مضطجع الحواس ، يرمقهما بنظرات من لهب .. ثم انفجر غيظه فتقدم وكأنه يوشك ان ينقض عليهما ويبطش بهما .. فتمتم مكسيم متلعثما : « انها .. هي .. »

كان يهم بأن يلقي التبعة عليها ، كطفل جبان .. وفجأة ، وقعت عينا « سكار » على عقد التنازل حيث تركته « رينيه » فوق المنضدة .. فتأمله ، وتطلع الى الخاطئين .. ثم انحنى وتحقق من التوقيع .. وبدا كأن الصمت قد اشتدت وطأته ، واستطال لهب الشموع .. وما لبث « سكار » ان هز كتفيه فى عدم اكتراث ، وتناول العقد فطواه ودسه فى جيبه ، وقال بهدوء :

- أحسنت اذ وقعت التنازل يا عزيزتى .. سأعطيك الليلة المائة ألف فرنك
وعلى الرغم من شحوبه فانه حاول ان يبتسم .. وقال :

« ان الدفء هنا يكاد يزهق الانفاس ! » .. ثم التفت الى مكسيم الذى كان مذهولا للتبدل الذى طرأ على أبيه ، واستطرد : « هيا بنا .. لقد جئت أبحت عنك لتودع مسيو ماروى وابنته .. »

♦ وهبط الرجلان ، وكأن لم يكن بينهما شيء ! .. وظلت « رينيه » ترقبهما حتى اختفيا فى هدوء وود .. لم يقتل أحدهما الآخر .. وأسدل الستار على المسرحية .. على الجريمة ! .. ان هذا الغرام اللعين الذى ظل يكويها شهورا قد انتهى ازرى وأخس نهاية ! .. لقد عرف زوجها كل شيء ، ولم يصرعها ! .. وأحسنت بخوف من السكون الوادع الذى كان يحيط بها .. ووقفت تتأمل شكلها فى المراة .. كأنما هبط على جمالها ستار من الجهامة والكآبة .. وأحسنت بعار وخجل من نفسها ، وأفعم مشاعرها غضب انبعث عن كراهية واحتقار لجسدها .. وتذكرت فكرة الجنون .. وراحت تستعرض - فى حنين مفاجئ - طفولتها ، وصبابها .. فأخذت مناظر حياتها تترى أمام عينيها : شهدت ذلك الشعر الذهبى ، وذاك الجسد اللدن البض ، ينموان شيئا فشيئا .. وفى جوفهما بذور مسمومة كانت تنمو معهما ، وتسمم دمها ! .. ثم رأت « نفسها » تتعري .. فمن الذى عراها ؟ .. وتصورت فى المراة على الضوء الخافت انها ترى شبحين ينبعثان كالضباب : « سكار » و « مكسيم » .. « سكار » يبتسم فى سخرية وقسوة ، وكأنه حداد ! لقد ظلت تراه عشر سنوات أمام السندان ، يطرق ، ويطرق .. غير حافل بأن يحطم نفسه، فى سبيل الوصول الى ثروة هائلة ، سريعة التكديس ! .. وتذكرت كيف قفز فوق العقبات ، وتمرغ فى الوحل ، ليصل الى غايته فى الموعد المناسب ..

ثم ، « مكسيم » .. الرأس الصغير الجميل ، يحمل تلك

الابتسامة الخلية ، الماجنة .. وتصورته يضحك من أبيه
الذى يضنى نفسه فى جمع المال ، لينفقه هو فى خلاعته
الماجنة ! .. ان كل ما فيه ينضح بالرديلة . وخيل اليها انها
ترى « سكار » يلقي بها وكأنها قطعة نقود يقامر بها ..
ورأت « مكسيم » ينحنى فيلتقط قطعة النقود هذه .. لقد
ظلت دائما « رصيда » فى حافظة نقود زوجها ! كان يصهرها
فى نار اطماعه ليكسو بها الحديد الذى يطرقه حتى يبدو
كالذهب ! .. وهكذا ساقها الأب الى الجنون الذى جعلها
تشتهى قبلات الابن .. لقد تبينت الآن انهما جرداها من
ثيابها ، وكشفافها عارية ! .. ولم يقولوا انها عارية ، وانما
ارتجف الابن فرقا وقد جبن ازاء فكرة المضى فى جريمته حتى
نهايتها .. وتركها الأب بدلا من أن يقتلها .. ثم .. غاب
الشبحان من المرأة وغاصا فى الظلام .. لم يخلقا قطرة دم ،
ولا صرخة ، ولا أنينا !

وأَمْضى أن تخال نفسها عارية ، فأغمضت عينيها .. وخيل
اليها أنها تحلم بتمزيق هذا الفراش الذى ضمها ومكسيم ،
وشهد زلتها وعارها .. وعندما فتحت عينيها ، تقدمت من
المرأة تتفرس فى صورتها ، فرأت كأنها تنظر الى ميتة ! .. كل
جارحة كانت تنبئها بأن انهيار عقلها قد أوشك .. لقد استل
« مكسيم » آخر قطرة من حواسها ، وأنهك بدنها .. لم تبق
لها متع تتذوقها ، ولا أمل فى بعث جديد ! .. واتفق فى
أعماقها سخط أهوج .. وفى صحوة شهواتها ، خيل اليها انها
تستعيد فريستها ، فطرحت على جسدها معطفا من الفراء
يستر عريها الموهوم ، وهبطت السلم الى حيث كان المدعوون
ما يزالون يصخبون ..

والتقت بمدام « سيدونى » فى قاعة الجلوس الصغرى ،
فصفعتها قائلة فى غضب : « أتجسسين على ؟ » .. ولم تحفل
بسماع ما انطلقت تجيب به ، بل ولجت قاعة الجلوس الكبرى ،

وسارت بين أجساد الراقصين المتعانقة ، حتى بلغت البهو
 فرأت « لويز » وأباها ، وقد وقف « سكار » و « مكسيم »
 يودعانهما .. ورأت « مكسيم » يحكم ربط وشاح حول رأس
 « لويز » .. وتريث الأب وابنته اذ رأياها ليحيياها .. وبينما
 كان « ماروى » يصافح الرجلين ، انحنى « رينيه » على اذن
 « لويز » هامسة : « ما أراك ستتزوجين منه ! .. هذا مستحيل
 .. انك تعلمين .. »

فقاطعتها الفتاة هامسة : « لا عليك .. سنذهب الى
 ايطاليا .. حيث ينسى »

واذ انصرفت مع أبيها ، نظرت « رينيه » الى زوجها ، ثم الى
 « مكسيم » ، بعينين مرتاعتين .. فلما رأت هدوءهما
 واطمئنانهما ، دفنت وجهها فى راحتها ، وهرعت تلوذ بالحديقة
 المظلمة ..

الفصل السابع

♦ افلحت خطة « سكار » واستطاع ان ينتزع من اراضى « الشارون » ثروة
 جديدة .. اما « رينيه » ، فكانت تعاني فيضا متلاحقا من الاحزان .. فلقد ماتت
 عمته ، وتزوجت أختها وغادرت قصر « بىرو » ، وظل أبوها وحيدا فى القصر
 المعتم القديم .. ولقد تعلمت المقامرة ، وجربت ادمان الخمر ، ولكنها احست
 نحوها بتقرز لا قبل لها به ! .. غير انها كانت وحيدة ، فاخذت تجرب كل
 حيلة لقتل الوحدة والسام .. لقد تذوقت كل شيء ، ولكن شيئا لم يقو على
 انتزاعها من همومها !

وانحدرت صحتها ، حتى غدت كالمكتهله .. واحاطت بعينها هالات زرقاء ،
 أصبحت .. حطام امرأة ! .. ولم تعد تفكر فى عشيقها مذ رحل مع عروسه الى
 ايطاليا ، بل خيل اليها انها نسيته تماما .. حتى اذا عاد بعد ستة شهور وقد
 دفن عروسه فى مقبرة احدى مدن « لومباردى » الصغيرة ، شعرت نحوه بكراهية
 مفاجئة ! .. ولكى تتفادى اى لقاء به فى دارها فى المستقبل ، راحت توغر صدر
 أبيه عليه ، حتى اقنعتة بأنه الذى كان يطاردها ويحاول اغتصابها ليلة فاجأها
 فى مخدعها .. فتشاجر الاب مع ابنه وقاطعه ! واحست « رينيه » بارتياح اذ
 انتقمت من الوجهين اللذين لاحا لها فى المرأة فى تلك الليلة المشؤومة ، وفرقت
 بينهما ، فلن يعودا يجتمعان ليسخرا منها !

ولكنها ظلت وحيدة ! .. وذات يوم خرجت الى الغابة تحاول ان تسرى عن نفسها كما اعتادت فيما مضى .. كان عليه القوم هناك ، على صهوات جيادهم او راجلين .. وكانت السيدات فى عرباتهن .. الكل يتبادلون التحيات ، والا'حاديث ، والضحكات .. وهى وحيدة ، منزوية فى ركن عربتها ! .. وحانت منها التفاتة ، فاذا برجلين يتنزهان : «اسكار» و «مكسيم» ، وقد تأبط كل ذراع صاحبه .. وسمعت الاب يقول لابنه الذى ورث صداق زوجته :
 - ان رجلا مثلك لايبقى على مال اوتيه ، والاستثمار هو اسلم سبيل للاحتفاظ بثروتك .. هاتها استثمرها لك فى الاعمال المربحة ..
 ودست وجهها فى ركن العربة اذ رأتها يقفان ليشعلا سيجاريهما ، ثم عاد الاب يقول : «اتفقنا ؟ .. احضر لى غدا مائة الف فرنك » .. فقال «مكسيم» :
 « ولكنك تعرف اننى لم اعد الج دارك ! »
 - هراء ! .. لقد آن ان نضع حدا لذلك ..

وظلت منكمشة حتى ابتعدا ، ثم مالت نحو الحوضى وامرته ان يمضى بها الى قصر ابيها .. وهناك راحت تجوس خلال الحديقة ، وقد ارسلت رطوبة الجو فى نفسها انتعاشا .. ومضت تتذكر ايام الصبا .. ثم صعدت السلم فى صمت فرات اباها فى الطرف الاقصى من القاعة الفسيحة ، يسير فى عتمة البيت الكبير ، وتلك العزلة الابية التى اعتصم بها منذ موت اخته .. وتحولت رينيه الى سلم الخدم ، فصعدت الى حجرة الاطفال .. الحجرة التى كانت لها ولاختها .. لشد ما بدت لها حزينة ! .. واحست بالهم يعتصر قلبها اذ رأتها مهجورة ، مغبرة ، ساكنة .. واغلقت الباب خلفها وقد خيل اليها انه المنفذ الذى انسابت منه افراح الطفولة ومباهجها ، الى غير رجعة ! .. وفى احد الاركان ، وجدت دمية من دماها القديمة ، وقد تآكلت لفرط القدم ، وان ظلت على شفيتها الجامدتين ابتسامة ! .. واحست بانها تختنق ، ففتحت النافذة ، واطلت على الخلاء الفسيح .. ووجدت فيه ثانية المباحج الخالدة .. وجدت فيه الفضاء ذا الشباب السرمدى ! .. واثلج صدرها ان تراءى لها وسط المنظر الفاتن ، نهر «السين» الجبار ينحدر من وراء حافة الافق .. وتذكرت شغفها بالنهر ، ووسوسة مياهه .. ورفعت عينيها فرأت قبة السماء الشاسعة ، تنزوى رويلا فى اكناف الظلام الزاحف .. وعادت تنظر الى الافق .. افق طفولتها الوادع .. فهفت نفسها الى الدعة ، والطمانينة، والسلام .. وضمت راحتيها الى صدرها .. وبكت !

وفى الشتاء التالى .. ماتت «رينيه» !

عزيزى القارىء :

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد
الماضية المسرحيات العالمية الآتية :
♦ خطايا الحب : لأوسكار وايلد
♦ نزاهة الحكم : جوجول ♦ سلاح
المرأة : اريستوفان ♦ فولبون : بن
جونسون ♦ جيوكندا : دانونزيو
♦ كلام الناس : جوزيه اشيجاراي
♦ مدرسة الفضائح : شيريدان
♦ سيرانو دى برجراك : رويستان
♦ لعبة الحب والموت : رومان رولان
♦ مروحة اللىدى وندرمير : وايلد
♦ فاوست : جيته ♦ اوديب الملك :
سوفوكل ♦ فى سبيل الحب : جون
درايدن ♦ وليم تل : شيلر ♦ الام :
مكسيم جوركى ♦ الملك يلهو : فيكتور
هوجو ♦ الجنس الآلى : كاريل كابيك
♦ الابن الاكبر : جالزورثى ♦ هرنانى :
فيكتور هوجو ♦ ترويض النمرة :
شكسبير ♦ الحياة نفاق : لويجى بيراندللو
♦ اغلال الحب : ستيف باسير ♦ المنافق
(طرطوف) : مولير ♦ بيت الليل :
تيرى مونيه ♦ علموهم الحب : روجيه
فردينان ♦ زوج مثالى : اوسكار وايلد
♦ سالومى : اوسكار وايلد ♦ مدرسة
الارامل : جان كوكتو ♦ برهان الحب :
جان انوى ♦ لوسيد : بير كورنى ♦
كيف تقع فى حبائلهن : بروفانس ♦
احزان هان

واليوم ، تقرا هذه المسرحية الخالدة
للاديب البلجيكى « موريس مترلينك »

عندما ترفع
الستار...



روائع
المسرح
العالمى
(التمثيل...والخنايا)



قصہ تمثیلیہ کبریٰ

”پلیاس و میلیراند“

دُرُوب البایحی کی از شہر ”مورس مٹرلینک“

« شكسبير » بلجيكا !

♦ منذ كتب شكسبير مأساته الشعرية الخالدة : « روميو وجولييت » ، لم يوفق أديب في تصوير سمو الحب العذري ، وروعة الهوى الطاهر ، الذي لا يهبط الى مستوى الدنس ، مثلما وفق أديب بلجيكا الكبير المعاصر « موريس مترلينك » في هذه المأساة الشعرية التي كتبها منذ ثلاثة وستين عاما ، فدخلت من فورها في عداد الروائع الكلاسيكية .. ومثلت على أكبر مسارح العالم بنجاح كبير .. ثم اقتبست منها « أوبرا » مشهورة وضع ألحانها الموسيقي الفرنسي « ديبوسي » وقد ولد الشاعر ، والكاتب المسرحي ، والفيلسوف البلجيكي « موريس مترلينك » في بلدة (جنت) في عام ١٨٦٢ .. ثم تلقى علومه في مدارس اليسوعيين - « الجزويت » - وفي عام ١٨٨٧ قيد اسمه في جدول المحامين .. لكنه لم يلبث أن تحول عن القانون الى الادب ، فكتب عدة دواوين من الشعر الرقيق ، وعدة مجلدات من النثر البليغ .. ثم « كهرب » العالم ذات يوم بمذهبه الجديد في التأليف للمسرح ، المذهب الذي يجعل حوادث المأساة التمثيلية تدور في داخل « النفس » أكثر مما تدور خارجها .. والمذهب الذي يؤمن بأن العنصر المفجع في الحياة يبدأ حيث تختفي منها المفامرات ، والأحزان ، والمخاطر !

فماسى « مترلينك » انما تعتمد على « حركات » النفس أكثر من اعتمادها على حركات الجسم ! .. وهذه النزعة تتمثل كأجمل ما تكون في الكثير من مسرحياته ، وعلى الاخص : الاعمى ، موت « تنتاجيل » ، الاخت « بياتريس » ، « أجلافين » و « سيليست » ، قوة الموتى ، « مونا فانا » ، المصفور الازرق ، ثم « بلياس » و « ميليزاند » .. اما كتاباته النثرية ، التي يرى البعض انها تفوق في الروعة مسرحياته الشعرية ، فمن أشهرها : كنز المتواضع ، الحكمة والقدر ، حياة النمل ، ذكاء الازهار ، الضيف المجهول ..

مسرحية غير عادية !

♦ والمسرحية التي اقدمها اليك فيما يلي تتميز بطابع غير مألوف : فاشخاصها يروحون ويجيئون كالمخلوقات التي نراها في الاحلام ! .. عباراتهم غامضة ، مترددة ، رمزية ، ناقصة .. وقد نسج المؤلف نقابا من الخفاء والغموض بين شخصياته وبين جمهور النظارة . ومن خلال هذا النقاب نرى كآبة أحداث القصة ، لكننا لا نحس بأشجانها ! .. ونشهد آلام أبطالها كما لو كانت آلاما مجردة تصيب عرائس ودمى جامدة خرساء ، لا يدب فيها ديب الحياة ! .. او



موريس مترلينك

بعبارة أخرى ، نشهد مأساة عالم آخر
يختلف عن عالمنا .. وهكذا نستطيع ان
ننظر الى مأساة «بلياس» و «ميليزاند»
بنفس الطريقة التي يقال ان آلهة
الاغريق القدماء كانوا ينظرون بها الى
مأساة الحياة البشرية : باعتبارها شيئاً
ينطوى على جمال «فلسفى» ، وعواطف
زائلة ! .. ونحن نستمتع بهذا الجمال
الفلسفى منذ المنظر الاول لهذه
المسرحية ، وهو منظر رمزى ، مثل جميع
مناظرها وفصولها ..
فتعال نحضرها ونعيش فى جوها ،
فى الصفحات التالية :

- ١ -

♦ ترفع الستار ، فاذا نحن فى قصر خيالى ، فى بلاد خيالية
.. واذا الخادومات منهنمكات فى غسل درجات السلم العريض ،
وبوابة القصر ، وعتبته .. لكن حارس الباب يسخر منهن
هامسا : « اغسلن ، واصببن الماء .. أصببن كل مياه الفيضان
.. لكنكن لن تستطعن غسل قاذورات هذا القصر ! »
ونعرف أن القصر المذكور يخص ملك البلاد ، المدعو «آر كل»
.. ونشهد حفيد الملك ، الامير «جولو» ، يخرج ليتنزه فى
الغابة .. وهناك ، عند حافة نبع ، يلمح حسناء تدعى «ميليزاند»
فلا يكاد يقترب منها حتى توقفه صائحة :

ميليزاند : لا تلمسنى ! .. والا ألقىت بنفسى الى الماء !
جولو : لن ألمسك .. لا تخافى .. هل ألحق بك أحد أذى
من قبل ؟

ميليزاند : نعم !
 جولو : من الذى أصابك بأذى ؟
 ميليزاند : الجميع ! كل انسان !
 جولو : من أين جئت ؟
 ميليزاند : جئت من مكان بعيد .. ضللت طريقى
 جولو : وهل غادرت بيتك منذ أمد بعيد ؟
 ميليزاند : نعم .. نعم .. ولكن من أنت ؟
 جولو : انى الأمير «جولو»
 ميليزاند : ان لك شعرا أشيب ، فى عارضيك ولحيتك !
 جولو : وأنت شابة ، وحسناء .. ما اسمك ؟
 ميليزاند : ميليزاند
 جولو : تعالى معى ، ياميليزاند
 ميليزاند : الى أين ؟
 جولو : لست أدرى ! .. فأنا أيضا .. ضللت طريقى !

- ٢ -

♦ ويصطحبها « جولو » الى القصر الموحش ، قصر جده الملك « آر كل » ، حيث تخيم عتمة الفسق بين جدرانها ، وحيث يعيش قاطنوه حياة كئيبة ، بقلوب مثقلة - أو على حد تعبير الملك المسن : « اننا لا نرى البتة غير خيبة أقدارنا ، ولا نحصل قط على ما نشتهى .. ومع ذلك ، فان أى شىء يحدث قد يكون صوابا فى النهاية ! »

ونعلم أن لجولو ابنا صغيرا ، من زوجة سابقة ، يدعى « اينبولد » .. ثم نرى الاب يتزوج - للمرة الثانية - من ميليزاند ، رغم جهله التام بكل شىء يتصل بماضيها ! .. فهو يصارح أخاه الاصغر « بلياس » الذى يقطن معه فى القصر : « لست أعرف سنّها ، ولا من تكون ، أو من أين جاءت ! .. ولا أجروا على استجوابها ، فان ذلك كفىل بأن يدخل الرعب الى قلبها ! »

ولا يجرو « بلياس » بدوره على استجواب زوجة أخيه ، رغم أن رباطا من الود والتفاهم قد بدأ ينسجه بين قلبيهما شبابهما المشترك ! .. ولا يلبث هذا التفاهم المتبادل أن ينضج ، ويتطور الى حب ! .. فيفكر الفتى في أن ينأى بنفسه عن الفتنة فيغادر القصر ، سيما وهو قد تلقى رسالة من صديقه « مارسيللاس » ينبئه فيها بأنه يحتضر ، وأنه يريد أن يراه قبل أن يموت .. لكن الجد - الملك آر كل - يذكره بالاعتبارات العديدة التي تستوجب بقاءه :

الملك آر كل : ينبغي أن تنتظر بعض الوقت ، فإن أباك الذي يرقد في الحجرة العليا يعاني بدوره سكرات الموت .. فهل تؤثر صديقك على أبيك ؟

وبينما الفتى في غمرة الصراع مع نفسه ، يخرج ليمشى في الغابة التي تحف بشاطئ البحر ، بالقرب من القصر ، وقد ران الضباب على سطح المياه .. وهناك يلتقى بميليزاند :

ميليزاند : ما أشد كآبة الجو هنا ..

بلياس : نعم ، سوف تهب عاصفة الليلة ، فمنذ أيام ونحز نعاني وطأة العواصف كل ليلة !

ميليزاند : لعل الضباب أن ينحسر بعد قليل ..

بلياس : دعيني أتأبط ذراعك .. ان الطريق منحدر وخطر .. انى راحل من هنا ، ربما غدا !

ميليزاند : أوه ! .. ولم ترحل ؟

ويسفر أساها على وجهها ، فيفضح خبيثة قلبها !

- ٣ -

♦ لكن صلتها « البريئة » تستمر في الايام التالية ، فيلتقيان مرة أخرى عند حافة نبع مهجور في الحديقة :

بلياس : هذا النبع أعجوبة .. يقال ان ماءه يرد البصر الى



العميان ، ولذلك أطلقوا عليه
« بئر الاعمى » !

ميليزاند : أو لم يعد يشفى
أعين العميان ؟

بلياس : لم يعد يحضر الى
هنا أحد ..

وهنا تمضي ميليزاند الى حافة
البئر ، وتبدأ في العبث بخاتم
زواجها :

بلياس : حذار ! .. سوف
يسقط منك ؟!

ميليزاند : لا تخف .. اني
واثقة من اتزان يدي ..

لكنها تفقد الخاتم بالفعل .. يسقط منها في البئر ، ويغوص
الى الاعماق !

ميليزاند : لقد ألقيت به الى أعلى ، بكل قوتي ، نحو
الشمس ..

بلياس : وماذا عسانا ان نقول لجولو حين يسأل عنه ؟!

ميليزاند : نذكر له الحقيقة !

ولكن حين يسأل « جولو » زوجته عن الخاتم ، تخشى أن
تصارحه بالحقيقة ، فتجيبه كاذبة :

ميليزاند : لقد سقط مني على شاطئ البحر .. لكنني
أعرف مكانه

جولو : ينبغي اذن أن تذهبي فتعثرى عليه ، قبل أن يطفى
المد !

ميليزاند : لست أجروء على الذهاب بمفردي

جولو : اسألي « بلياس » أن يذهب معك . .
ميليزاند : بلياس ؟ مع بلياس ؟ . . أوه ، لكم أنا شقية ،
 لكم أنا شقية !

- ٤ -

♦ **ويموت** صديق « بلياس » المدعو « مارسيللاس » فيود
 الاول أن يزور قبره ، لكن جده « آر كل » ما يزال يلح عليه
 بالبقاء :

آر كل : ان أباك ما يزال مريضا . . فلتنتظر على الاقل حتى
 نعرف ما ستمخض عنه الايام

بلياس : كم من الزمن يجب أن أنتظر ؟
آر كل : بضعة أسابيع ، وربما بضعة أيام فقط !
بلياس : سأنتظر . .

وهكذا تفشل - مرة أخرى - محاولة بلياس أن ينجو بنفسه
 من الفتنة ! . . وذات يوم ، تقف ميليزاند امام نافذة احد أبراج
 القصر ، تمشط شعرها الطويل الفاتن وتغنى : « شعري
 يتساقط كالزبد ، من البرج . . انه ينتظر قدومك ، هذه
 الساعة الطويلة ، التي لا تنتهي ! »

ويدخل بلياس ، ويلمحها عند النافذة :

بلياس : ماذا تفعلين هنا يا ميليزاند ؟ تغنين في ضراوة ،
 كعصفور من بلاد غريبة ؟ !

ميليزاند : اني أصف شعري لسهرة الليلة . . لقد فتحت
 النافذة . . ان الطقس بارد في الخارج . . بارد وجميل !

بلياس : اني لم أر قط مثل هذا العدد من النجوم ! اتكثي
 الى الامام ياميليزاند ، كي انظر الى شعرك المرسل . . أطلي الى
 الخارج ودعيني ألمس يدك ، فاني راحل في الغد !
ميليزاند : لئن ذهبت . . فلن أعطيك يدي . . هلا بقيت ؟
بلياس : سأبقى !

وتطل ميليزاند من النافذة ، وفيما هما يحاولان ان يتلامسا
بالأيدي ، يسقط شعر الفتاة الطويل عليه ، كالشلال ! ..
فيغمغم : « خصلاتك كلها يا ميليزاند قد سقطت على . انى
أمسك بها فى يدي ، ووجهي يستحم فى أمواجها ! .. انها
عذبة ، عذبة كما لو كانت سقطت هكذا من السماء .. انك
اسيرتى الليلة يا ميليزاند ، طول الليل .. طول الليل ! »
ميليزاند : دعنى اذهب يا بلياس .. انى أسمع خطوات
تقترب .. دعنى أرفع رأسى .. أخشى ان يكون القادم
« جولو » !

ويدخل جولو ، فيقربهما لحظات .. ثم يحدث نفسه وهو
يهز رأسه فى حزن : « انكما ما تزالان طفلين .. كلاكما طفل
.. ولكن حذار ان تلعبا فى الظلام .. يا لكما من طفلين ..
طفلين غريبى الاطوار ! »

- ٥ -

♦ **فاذا** كان المشهد التالى رأينا « جولو » و « بلياس »
يسيران فى اقبية القصر السفلى الواقعة تحت مستوى الارض
.. لقد سأل جولو أخاه الأصغر أن يحضر كى يريه « بركة »
خفية تتصاعد منها أبخرة سامة مميتة ، ثم نسمعه يناشده :
« كن حذرا يا بلياس .. لا تقترب من البركة أكثر مما ينبغى ،
فان خطوة واحدة أخرى قد تفقدك حياتك ! »
ثم يعودان ، سالمين ! .. فاذا كان المشهد التالى رأينا
جولو يتحدث الى ابنه الصغير « اينبولد » تحت الجدار الخارجى
للقصر :

جولو : أصغ الى يا اينبولد ، نحن نجلس تحت نافذة أمك
الجديدة مباشرة .. قل لى يا اينبولد ، هل تراها كثيرا مع عمك
« بلياس » ؟

اينيولد : نعم ، نعم يا أبى .. انها دائما معه ، حين لا تكون أنت موجودا ..

جولو : وهل يتشاجران ؟

اينيولد : ليس كثيرا .. لكنهما يبكيان .. انهما يبدوان خائفين

جولو : خائفين ؟ مم ؟

اينيولد : لا أعرف يا أبى

جولو : قل لى يا اينيولد ، وهل يتبادلان القبل ؟

اينيولد : القبل ؟ كلا .. اوه ، نعم يا أبى ، حدث ذلك مرة .. حين كانت السماء تمطر

جولو : كيف كانا يفعلان ؟

اينيولد : هكذا يا أبى (يقبل — أباه ، ثم يضحك) ..

لحيتك يا أبى ، انها تخزننى .. ما أقطع ما تؤلمنى !

جولو : هل تود ان ترى أمك الصغيرة يا اينيولد ؟

اينيولد : نعم ، نعم ، أود ان أراها !

جولو : حسنا ، سأرفعك على ذراعى الى النافذة ، وعندئذ

تستطيع أن ترى كل شيء .. ان النافذة عالية بالنسبة لى ،

رغم طول قامتى .. (يرفع الطفل) .. انظر يا اينيولد ،

واخبرنى بما ترى .. ولكن لا تحدث أى ضجيج .. لاتزعج

أماه

اينيولد : هاهى أمى فى الحجرة .. وعمى بلياس

جولو : هل هما بجوار الفراش ؟

اينيولد : الفراش ؟ .. لست أرى الفراش

جولو : ماذا يفعلان ؟

اينيولد : انهما واقفان ينظر كلاهما للآخر .. انى خائف

يا أبى .. انهما لا يغمضان أعينهما أبدا ! .. انزلنى يا أبتاه

.. لشد ما أنا خائف !

- ٦ -

♦ **فاذا** كان المشهد التالى فنحن فى جناح الملك بالقصر ، ونسمع الملك « آر كل » يقول لميليزاند ان ابنه - والد زوجها وبلياس - قد عوفى من مرضه :

الملك آر كل : الآن نستطيع أن نستمع بشيء من المرح فى القصر .. تعالى يا ميليزاند ، دعينى أقبلك .. لكم كنت أرثى لحالك طيلة الشهور الماضية !

ويدخل « جولو » ، فاذا جبهته مخضبة بالدم .. ويوضح الأمر لهم : « انه مجرد خدش » من الاشجار الشائكة .. ويستبد الجزع بزوجته فتعرض أن تغسل الجرح وتربطه ، لكنه يزيحها عنه فى خشونة .. واذا يحاول « آر كل » التدخل لصالحها تشور ثائرة الزوج فيجذبها من شعرها ويدفعها نحو الارض : « اركعى على ركبتيك ! ان شعرك الطويل قد بات يصلح لشيء ، آخر الامر .. الى اليمين ! .. الى الشمال ! .. الى الشمال ! .. الى اليمين ! .. الى الارض ! .. قلت لك اركعى على ركبتيك ! »

آر كل : ماذا يغضبه ؟

ميليزاند : لقد كف عن حبى .. انى تعسة .. تعسة للغاية !

آر كل : لو كنت الها ، لأدركتنى الشفقة على القلب البشرى !

♦ **وأخيرا** استقر رأى بلياس نهائيا على الرحيل .. وضرب لميليزاند موعدا للوداع بجوار النبع فى الغابة . وهنا ، للمرة الاولى ، يتكاشفان صراحة بحبهما المتبادل ! .. وتنسيهما النشوة مرور الوقت فيظلان يتسكعان حول النبع حتى يتنبها فاذا أوان العودة الى القصر قد فات ، فانهما يسمعان صليل سلاسل بوابات القصر تغلق دونهما !

بلياس : لن نستطيع العودة الآن !

ميليزاند : هذا أفضل !
 بلياس : فقدنا كل شيء ! .. بل غنمنا كل شيء !
 ويتعانقان .. وانهما لفي احضان احدهما الآخر ،
 اذا بهما يسمعان تكسرا لاوراق الجافة تحت أقدام شخص يقترب ..
 انه « جولو » ، الذي كان يراقبهما ويتجسس عليهما !
 بلياس : لقد رأى كل شيء ! .. انه سوف يقتلنا !
 ميليزاند : هذا أفضل !
 بلياس : انه قادم ! .. اسرعى ، شفتيك !
 ميليزاند : نعم ! .. نعم !
 بلياس : النجوم تتساقط !
 ميليزاند : على أنا أيضا ! على أنا أيضا !
 ويندفع جولو نحوهما ، ويغمد سيفه في شقيقه .. فيسقط
 بلياس على حافة النبع ، بينما تلوذ ميليزاند بالفرار خلال
 الغابة .. و « جولو » في اثرها !

- ٧ -

♦ فاذا كان الفصل التالى ، رأينا خدم القصر يتحدثون
 عن المأساة :
 - لقد وجدا كلاهما طريحين على الارض أمام بوابة القصر ،
 « جولو » و « ميليزاند »
 - كانت الاميرة شبه ميتة ، وجولو مضطجعا وجنبه مطعون
 بسيفه الخاص !
 - عجبا ! .. لكنه يتماثل للشفاء ، أما هي فتحتضر ..
 مع أنه هو المصاب بجرح بالغ ، فى حين أن ميليزاند لا يكاد
 يوجد بها غير اثر لحدهش بسيط !
 - ليس معقولا ان « جولو » قد طعن نفسه .. انه أكبر
 من ذلك !
 - الأمر الذى يدعو للحسرة انها قد وضعت طفلتها منذ

ثلاثة أيام فقط !

— وبلياس ؟ ماذا جرى لبلياس ؟

— لا أحد يجرؤ على التحدث عنه ! .. لكنى أعلم ماجرى

له .. لقد وجدوه فى قاع « بئر الاعمى » !

♦ ويحضر الطبيب لاسعاف ميليزاند .. « أن جرحها لا يمكن

أن يقتل عصفورا ، ومع ذلك فانها تحتضر .. تموت لغير

ما سبب ! .. كما ولدت لغير ماغرض ! »

جولو (وهو مايزال ضعيفا واهنا من أثر جرحه) : لقد

قتلتها دون داع ! .. انهما كانا يتبادلان قبلة بريئة ، كالأطفال

.. مجرد قبلة ! .. كانا بمثابة أخ وأخت .. ومع ذلك فانى،

بالرغم من نفسى ، قتلتهما !

الطبيب : صه ! .. انها تتنبه !

ميليزاند : هل نحن فى وقت الغروب ؟

آركل : نعم ، ان الشمس تغرب فوق البحر

جولو (يجر نفسه الى فراشها) : اغفرى لى ياميليزاند !

ميليزاند : ما الذى أغفره لك ؟

جولو : لقد جلبت عليك شرا كبيرا ياميليزاند .. انى أرى كل

شئ بوضوح الآن ، بعد فوات الأوان ! .. والآن ، ها نحن

على شفا الموت ، وبودى أن أقف على الحقيقة .. فلا تضنى

بها على رجل يحتضر يا ميليزاند : هل أحببته ، حبا محرما ؟

.. هل .. هل أثمرما ؟

ميليزاند : كلا .. لم نأثم ! .. هذه هى الحقيقة .. ولكن لماذا

أحس بهذا البرد ؟ .. الشمس قد غربت .. لشد ما أنا خائفة

من البرد العظيم ..

ويجلبون لها طفلتها الوليدة ، لكنها أضعف من أن تحملها

على ذراعيها .. كل ما تستطيعه أن تنظر اليها فى أسى ،

وتغمغم : « انها صغيرة .. انها تبكى .. لكم أرثى لها ! »
 آركل : لقد اغمضت ميليزاند عينيها .. انها ستنام
 جولو : ميليزاند ! .. ميليزاند ! اصغى الى .. لم يكن
 الخطأ خطئي ! .. وانما هي قوة لا قبل لي بها ، تلك التي كانت
 تدفعني !

آركل : صه ! .. ينبغي أن لا يزعجها أحد .. فان الروح
 البشرية تحب ان ترحل في هدوء .. وحدها !



شركة مصر للطيران

تستخدم طائرات فايبكونت



دالزاديس

أسرع وأهدأ طائرات في العالم
 انتاج شركة

الإسكندرية . بورسعيد . مرسى مطروح . الأقصر . أسوان . الخرطوم .
 بورسوان . جده . أمّره . عدن . بغداد . الكويت . دمشق .
 بيروت . القدس . قبرص . بنغازي . طرابلس . تونس .

عزيزى القارىء . . .

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد
سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة
التالية :

♦ آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف
الانجليزى المعاصر « جود »

♦ آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد
شو

♦ كيف نجحوا فى الحياة : دليل
كارنيجى

♦ الحياة فى موسكو : هارولد
ليكووك

♦ مراهق : البرتو مورافيا

♦ آلهة ومقابر وعلماء : سيرام

♦ الالمان ، شعبا وعباقره :

اميل لودفيج

♦ مستقبل زوجك فى يدك :

مسز ديل كارنيجى

♦ التاريخ السرى للاحتلال

البريطانى : ويلفريد بلنت

♦ أقنعة الحب السبعة : أندريه

موروا

♦ فى داخل أفريقيا : جون

جنتر

واليوم ، اقدم لك كتابا جديدا عن

تاريخ مصر ، للمؤرخ الانجليزى المعاصر

ه . وود جارفيس . .

وفى الاعداد القادمة ازمع ان اقدم

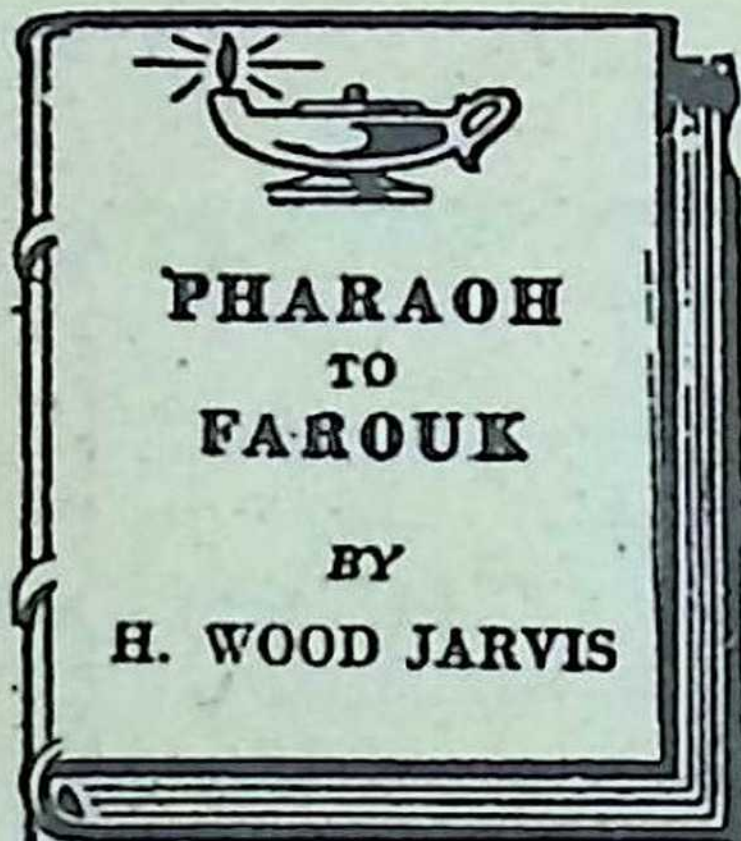
لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب

المتعة . .

اقرأ معى :



كتاب
المتنهر



مصر من منظور العالم !

من فرعون.. الى فاروق !

الكتاب الذي يقرأه العالم
عن مصر هذا الشهر

للمؤرخ الانجليزي المعاصر
« ه. وود جارفيس »



العالم كله يقرأ تاريخ مصر !

♦ مصر اليوم على كل لسان .. وملتقى انظار العالم ! .. فبعد قرون من الخمول ، استضعفتها خلالها قوى الاستعمار الفاشم ، نفضت عن كاهلها التخاذل والخنوع ، وقامت بثورتها العاتية ضد الاستعمار ، بوجهيه : الاستعمار المقنع الذى استخفى وراء ملك اجنبى من سلالة اجنبية ! .. والاستعمار السافر الذى كانت تمثله قوات الانجليز فى القنال .. فلما تخلصت البلاد من الاثنين ، راحت تشق طريقها نحو المجد ، متخطية شتى الاحابيل والشباك التى وضعت فى طريقها .. والعالم يدرك انه لكى يعرف مستقبل شعب ، يجب ان يعرف ماضيه .. ولهذا ظهرت اخيرا عدة كتب ، بعدة لغات ، تروى تاريخ مصر ، بالتفصيل المستفيض .. واحداث هذه الكتب واهمها هو هذا الكتاب الذى اقدمه لك فيما يلى - ولو كنت ملما من قبل بتاريخ مصر - كى تستعيد هذا التاريخ المجيد بالاسلوب وطريقة السرد والتعليق اللذين يقرأ بهما العالم اجمع فى هذا الشهر ! .. ثم لتعرف من اية زاوية يكتب مؤرخو العالم عن مصر ، ويطالع قراء دول العالم تاريخ مصر ! .. (فضلا عن ان الكتاب يورد فى الواقع كثيرا من المعلومات التاريخية «الجديدة» التى لم تكن معروفة الا للمؤرخين المنقبين !) ولعلك تتساءل معنى : لماذا اختار المؤلف فى عنوان الكتاب ان ينهيه بمصر فاروق ، فى حين انه - فى الفصل الاخير منه - تجاوز عهد فاروق الى عهد الثورة الحالى ، فتناول اهم احداث مصر حتى الشهر الماضى ؟ .. والجواب الذى ارجحه انه انما عمد الى ذلك لفرض تجارى بحث ، كى يدخل فى الروع انه تعرض لمباذل فاروق وفصائحه التى تثير فضول القراء !

الفصل الاول

فى ماضى كل امة مفتاح مستقبلها .. فالامة التى تضيع ماضيتها لا مستقبل لها .. فنحن لا نستطيع ان انعيد الماضى ، ولكننا ايضا لا نملك ان نهرب منه !

مصر عاشت مستعبدة ٢٣ قرنا !

♦ قبل بزوغ المسيحية بثلاثة آلاف عام ، عندما كان فرعون يحكم مصر بقبضة من حديد ، عمل مائة ألف رجل

دائبين تحت الشمس الحامية ، فى رفع صروح لا مثيل لها ،
 هى اهرامات الجيزة التى قدر لها ان تكون بين عجائب الدنيا
 السبع ! .. ثم مر خمسة وعشرون قرنا ، توالى خلالها
 الفراعنة ، حتى وقع الغزو الفارسى ، وانهار حكم آخر ملك من
 أبناء مصر .. قبل مولد المسيح بثلاثمائة وخمسين سنة !
 ثم ظلت مصر خلال القرون الثلاثة والعشرين التى أعقبت
 ذلك ، تقبع فى خمول تحت امرة حكام غرباء أجانب .. حتى
 انتهت هذه الفترة حين قررت الحكومة البريطانية فى سنة
 ١٩٤٦ (١) ان تسحب كل قواتها من وادى النيل ، وان تجلو
 عن القاعدة البحرية فى الاسكندرية . وقدر لمصر أخيرا ان
 تعود مرة أخرى دولة ذات سيادة واستقلال ، لا تقيدها سوى
 معاهدة بها من الالتزامات مثل ما يحد حرية أية دولة متمدنة
 أخرى

عندما كان فرعون الها متجسدا !

♦ ويلقى الهرم الأكبر ظلاله الفرعونية على قصة تاريخ
 مصر بأسرها .. فهو من أبرز المعالم فى الطريق الطويلة التى
 اجتازها الانسان فى سيرة من عهود التأخر الى المدنية .. انه
 يعلن لكل ذى عينين تريان ، وعقل يفهم ، مدى القوة التى
 تفوق كل قوة آدمية ، والتى مكنت سلالة من الحكام من ان
 يحشدوا كل الموارد البشرية والمادية لتحقيق مشروعاتهم
 الهائلة .. فالواقع ان فرعون لم يكن يحكم كأي عاهل آدمى ،

(١) كتابى : يبدو ان المؤلف لم يتحر الدقة فى هذه الفقرة ، فهو يشير الى
 معاهدة لم تتم ولم تعقد ، وهى التى كان مقررا ان تحل محل معاهدة سنة
 ١٩٣٦ قبل الثورة .. ولم يفتن الى ان الثورة ابت ان تقيد مصر باى التزام
 يحد من حريتها . بل لعل النزعة البريطانية غلبته فجعلته يشير الى انسحاب
 القوات البريطانية من « مدن مصر » فى سنة ١٩٤٦ كما لو كانت بريطانيا هى
 التى ارتأتها ، ولم تضطر اليه اضطرارا تحت ضغط الراى العام الذى ثار فى
 سنة ١٩٤٦ لهذا السبب !

وانما كاله معترف به على الارض ! فكان يسيطر ، ويتلقى آيات العبادة ، من شعب متحد يدين له بالولاء .. وبهذه السلطة التى لا حد لها ، استطاع الفراعنة ان يوحّدوا الزعماء المتنافسين ، المتقاتلين ، فى وادى النيل بأسره ، تحت سلطان حكومة قوية ، مركزة ، تخضع لعقل مسيطر واحد ، هو عقل فرعون .. وبهذا برزت من عهد الفوضى السحيقة فى النهاية ، بوادر مجتمع منظم - وكانت تلك هى الخطوة الاولى نحو المدنية - وأخذ فن الحكم يتقدم فى مصر خطوة فخطوة .. فلما أخذ نفوذ الكهنة والنبلاء يتزايد ، أخذت سلطة فرعون الفردية فى الاضمحلال .. وما لبثت ان اعترضت قصة الانسان المتمدين فترة حرجة . كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدن المصرية قد بلغت أوج انتظامها .. فكان رجال الاعمال يسرون على قواعد المحاسبة ومسك الدفاتر ، وكانت الوصايا ، ووثائق الملكية العقارية ، والعقود ، تكتب على أيدي موثقين كالمحاميين .. وكانت المباني أمثلة لرقى فن العمارة ، والمدارس قائمة ، والفنون مزدهرة .. واذا صح ان ماضى كل أمة يوحى بمستقبلها ، فهلا يحق لنا ان نتوقع من هذه الحقبة ان تمضى مصر يومئذ فى رقيها ؟

ولكن الأمر كان على العكس ، اذ لم تلبث مصر ان ولجت أولى عهودها المظلمة ، فاذا الحضارة التى شيدها فى ألف عام تنهار ! .. واذا الفوضى تحل محل حكم فرعون الوطيد ، واذا المجد يغيب عن مصر ، فلا يعود اليها الا بعد قرون من الزمن ، حين بدأت عجلة التاريخ ترتد فى ببطء الى طريقها الاول .. ومن مدينة « طيبة » الصغيرة انبثقت أولى أضواء الفجر الجديد .. اذ صارت هذه المدينة عاصمة أسرة حاكمة نبيلة هى أسرة « انتيف » ، التى أنجبت رجالا ذوى شخصيات فذة ، ونبوغ نادر ، بسطوا نفوذهم وريدا حتى جاء اليوم الذى عاد وادى النيل فيه يخضع لعقل واحد مسيطر ، يدين له الناس بالطاعة

والولاء .. وبعد قرنين من حكم هذه الاسرة ، ظهر من أبنائها حاكم كان توليه العرش - فى سنة ٢٠٠٠ ق م - بداية أعظم عهود مصر الذهبية .. ذلك هو « امنمحت الأول » ، الذى ازدهرت تحت حكمه المدن ، وازداد الانتاج الزراعى ، وفاض الرخاء .. والى جانب فرعون ، والكهنة ، والنبلاء ، ظهرت طبقة جديدة فى مصر : طبقة متوسطة غنية ، فارتفع قدر « الرجل العادى » وأصبح له فى المجتمع مكانة .. وانتعش فن العمارة ، والأدب ، والحرف اليدوية ، والفنون عامة .. !

الملكة التى كانت تضع « حية » مستعارة !

♦ على ان عجلة التاريخ كانت قد اتمت دورتها فى سنة ١٧٠٠ ق م . فدخلت مصر ثانى عهودها المظلمة ، وساداتها فوضى طويلة الأجل ، اسلمتها الى ربة حكم أجنبى ، هو حكم « الهكسوس » الذين كانوا رعاة أقبلوا من الشرق . ومن المحتمل ان النبى « يوسف » ظهر فى نهاية هذه الفترة ، اذ عثر عليه بعض الرحالة فى الصحراء ، فباعوه فى مصر لقائد حرس فرعون ، وكان يدعى « فوتيفار » .. ومرة أخرى ، انبثق الفجر من « طيبة » ، اذ كان حكامها هم الذين دبروا الثورة على « الهكسوس » ، واستطاع « اموزيس » فى النهاية ان يخلص البلاد نهائيا منهم ، وان يطردهم الى فلسطين .. ثم ارتقى عرش الفراعنة فى سنة ١٥٨٠ ق م . ، وأنشأ اسرة حاكمة جديدة كان عهدها من أعظم وأمجد العهود .. وبفضل فتوحها استطاعت مصر ان تضم وتحكم جزءا كبيرا من العالم القديم .. وظهر من أبنائها ملوك مبرزون مثل « تحتمس الأول » ، و « حتشبسوت » التى كانت فريدة فى التاريخ - اذ لم ترق عرش الفراعنة قبلها امرأة ! - وقد أثبتت انها لا تقل عن الرجال ، ولكي تستكمل أسباب الشبه ، أصرت على ان تحذف من اللغة - التى

سجلت بها امجادها - حروف التانيث ! .. بل وذهبت الى حد انها كانت ترتدى حية مستعارة في الحفلات الرسمية ! .. وكان خليفتهما « تحتمس الثالث » منشيء أول امبراطورية حقيقية في الدنيا ..

وظلت عظمة مصر في ازدياد ، حتى بلغت في عهد « امنحتب الثالث » - من ١٤٠٥ الى ١٣٧٠ ق م - أوجا لا يكاد يتصوره العقل

الفصل الثاني : طيبة

♦ كانت طيبة في تلك الاثناء قد أصبحت اعجوبة العالم الكبرى ، تحف بطرقاتها البنايات الشاهقة المؤلفة من عدة طبقات ، وتتناثر في جنباتها المعابد الرائعة البناء ، والمدارس ، والبرك المائية الصناعية ، والحدائق .. الخ
وكان أكبر معبدين في المدينة يتصلان بطريق واسعة تقوم على جانبيها تماثيل أبى الهول - طريق الكباش - ويبلغ طولها ميلا وربع الميل .. وكان أفخم هذين المعبدين وأهمهما هو معبد « الكرنك » الذي كان تحفة من تحف فن العمارة ، والذي كانت أعمدته وأبوابه مكسوة بالذهب ! ولسنا نعرف اليوم عن التعاليم التي كانت تدرس والطقوس التي كانت تمارس بين جدران هذا المعبد ، الا القليل .. ولكن السحر كان ولا بد عنصرا هاما فيها . ولعلنا نذكر كيف ان موسى وهارون حين ذهبا الى فرعون ، دعا سحرته لافحامهما ، فألقى موسى عصاه فاذا هي حية تلقف ما صنعوا !

على ان طيبة كانت في الواقع مدينتين : العاصمة التي ذكرناها ، وكانت تقوم على ضفة النيل الشرقية ، وتضم العمل واللهو ، والفن والفراغ ، والجد والضحك .. اما على الضفة الغربية ، فقامت « طيبة » أخرى : مدينة الموتى التي لم يبق

لها شبيهه فى تاريخ الجنس البشرى ! كانت تشببه مدينة
الاحياء فى طرقها المنظمة ، ومبانيها الانيقة ، ومتاجرها ..
ولكن عيون أهلها كانت تفيض بالحزن ، وشفاههم بعيدة عن
الابتسام ، ومتاجرهم لا تباع سوى لوازم التحنيط والدفن ،
وما يقدم عند زيارة المقابر من سلع .. وكانت القبور تحفر فى
صخور الجبال ، فاذا كان أصحابها أغنياء ، صنعوا فى جوف
الصخر عجبا : أبوابا تفضى الى سراديب وسلالم تهبط رويدا
الى قاعات وابهاء زينت جدرانها برسوم ولوحات ، تنتهى الى
حجرة الدفن ، على بعد مئات الأقدام فى جوف الجبل !

الفصل الثالث : عصر اخناتون ، وموسى

♦ وكان يبدو أن ارتباط شخصية الفرعون بالآلهة ،
لاسيما ارتباط « امنحتب العظيم » باله طيبة « آمون رع » ،
قاعدة لا سبيل الى النيل منها . وهذا مما يزيد الدهشة من
الانقلاب الفجائى الذى يعتبر أول اصلاح دينى عرف فى
التاريخ ، اذ أن « امنحتب الرابع » الذى خلف « امنحتب
الثالث » كان مفكرا متعمقا فى البحث عن المثل العليا ، فما ان
تولى العرش حتى قرر ان يبشر بقصر العبادة على اله واحد
هو « آتون » وان يجعل هذه العقيدة دين الدولة ، ويلغى كل
عقيدة أخرى فى وادى النيل .. وقد رمز الى هذا اله بقرص
الشمس ، ينبعث منه عدد من خيوط الأشعة متجهة نحو
الشرق ، وينتهى كل شعاع بيد تقبض على رمز « الحياة »
المألوف لدى المصريين .. وقد كانت هذه أول دعوة الى
التوحيد ، وتضمنت الترانيم التى وضعها امنحتب أفكارا
ترددت بعد ذلك بأجيال فى المزمور الرابع بعد المائة من
المزامير !
ولقد مضى الملك فى تجرده من آثار العقائد السابقة الى أن

نبد اسمه السابق واتخذ بدلا منه اسم « اخناتون » ، وهجر (طيبة) وشيد عاصمة جديدة على بعد مائة ميل شمالها ، أسماها (اختياتون) - أى أفق آتون - فنقل اليها بلاطه وحكومته . وفى هذه المدينة الجديدة نرى روح التجديد جلية ، حتى لتعتبر أول مدينة اتبعت فى انشائها أصول تخطيط المدن المتبعة فى أيامنا .. فقد كانت الطرق مستقيمة ، متعامدة ، على النسق الذى يرى فى المدن الامريكية اليوم ، أى بعد ثلاثة آلاف عام ! .. وكما أن المدينة أنشئت بوحى الثورة على السلطان الديكتاتورى الذى استحله كهنة (طيبة) لأنفسهم ، فانها أصبحت مهدا لثورة تجديدية ضد العادات القديمة ، يشجعها ويلهمها صاحب السلطان الأعلى : فرعون نفسه . فهو الذى أوحى الى الفنانين أن يتحرروا من قيود القواعد الفنية القديمة ، فاذا البلاد تشهد ازدهار فنون حديثة رائعة ..

على أن « اخناتون » انهمك فى هذا الاتجاه الانشائى ، وفى البحث عن الحقائق الخالدة .. حتى شغل به عن مشكلات الحكم ، سواء فى داخل امبراطوريته أو فى البلاد الاجنبية الخاضعة لها ، مما أدى الى انتشار الاضطرابات فى مصر ، فساعد هذا على اضعاف مكانتها فى الخارج .. وأخذ حكام الاقاليم الخارجية يرسلون التقارير مستحثين فرعون كي يتدارك الامر ، ولكنه لم يحفل بشئ .. ومن ثم أخسأت الامبراطورية العظيمة تتلاشى كالحلم !

الفرعون الذى خرج بنو اسرائيل فى عهده !

♦ وخلف « اخناتون » ملك غلام هو « توت عنخ هاتون » ، فما لبث البلاط والحكومة ان عادا الى (طيبة) ، واسترد الاله « آمون رع » مكانته ، حتى ان الملك غير اسمه الى « توت عنخ آمون » ، وبدأ قلب مصر ينبض من جديد نبضا طبيعيا ، وبدأت

الحياة تعود الى مجاريها ٠٠ ولكن الامبراطورية التى شيدها عشرة فراعنة ، خلال حروب استغرقت قرنين من الزمن ، لم تلبث أن تبددت فى عشرين أو ثلاثين عاما !

وأعقب موت « توت عنخ آمون » - وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره - فترة قصيرة من الفوضى ، ثم برز من وسط الاضطرابات « حو محب » ، الذى مهد لظهور أسرة فرعونية جاكمة جديدة ، هى الأسرة التاسعة عشرة ٠٠

وما أن حلت سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد ، حتى كان الجو مهيا لظهور النبى « موسى » ٠٠ وأغلب الظن أن الفرعون الذى كان يحكم اذ ذاك هو « سيتى الاول » أو « رمسيس الثانى » ٠٠ فان الأدلة على أن خروج بنى اسرائيل من مصر تم فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أقوى من الأدلة التى تبرهن على انه تم فى عهد آخر : فقد كان بنو اسرائيل - وفقا لما جاء فى المزمور الثامن والسبعين - يقيمون فى مصر بأرض (صوعن)، وورد فى سفر الخروج أن أغلبية بنى اسرائيل كانوا يقيمون غير بعيد من بلاط فرعون ، ومعنى هذا أن فرعون كان يتخذ مقره قريبا من « صوعن » ، وهذا ما كان فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، اذ كان (صوعن) هو الاسم العبرى لبلدة (تانيس) التى كانت فى الشمال الشرقى للدلتا ، والتى نقل اليها فراعنة تلك الاسرة عاصمتهم المدنية ٠٠ والتى يكاد يكون من المحقق أن مدينة (رعسيس) - مدينة الكنز فى التوراة - أقيمت عندها ، واستخدم بنو اسرائيل فى بنائها ٠٠

وقد كشف علماء الآثار المصرية عن معلومات ترسم صورة واضحة لموسى ٠ واذا كان ما عرف عن باكورة حياته ضئيلا ، الا أن المعروف انه درس فى رحاب الحكمة المصرية الفريقة ، وتوحى الشواهد بأنه ذهب الى مدينة (اون) أو (هليوبوليس) حيث كانت أعرق وأكبر مدرسة عليا لتعليم

الكهنة والعلمانيين - قبل أن تعرف أوروبا شيئاً عن المدارس العليا !

ولا ريب في أن « موسى » عاد الى البلاط الملكي بعد أن أتم تعليمه .. وفي أكثر من موضع من سفر الخروج نجد ما يؤكد أنه لم ينشأ تنشئة عبرية .. ونستطيع أن نتصور حياته في تلك الحقبة وسط نعيم البلاط وترفه .

فلندع حديث موسى الآن ، ولنعد الى موضوعنا .. فمنذ ذلك الحين أصبحت قصة مصر الفرعونية تكرارا دقيقا لتاريخها السابق : فرعون قوى ، يعقبه خلفاء ضعاف .. واضطرابات وخلافات داخلية تفضي الى فوضى .. والى ضياع هيبة مصر ومكانتها .. والى تبدد الثروة التي جمعت في أجيال .. والى مجاعات ! .. وفي فترات متباعدة ، كان القدر يبعث رجلا يعيد الى أمجاد الماضي بهجتها ، مثل « شيشاك » - اوشيشنق - الذي عاصر سليمان الحكيم ، اذ تولى العرش سنة ٩٥٠ قبل الميلاد ، وغزا اورشليم واستولى على كنوز الملك وبيت الرب ، على ماورد في « سفر الملوك » في التوراة ، وما وجد من نقوش على جدار من جدران الكرنك

وأعقب موت « شيشاك » سنوات انحدار واضمحلال ، تبعها انهيار تام .. اذ تمردت الحبشة بعد أن ظلت ألف عام تحت حكم مصر ، فانفصلت عنها ، ثم غزتها .. وجاء بعدها الفرس .. وبينما كانت مصر تحت وطأتهم ، كان مصيرها ينسج على منسج يوناني على يدى قدر لا يعرف هوادة ولا لينا!

الفصل الرابع : انشاء الاسكندرية

♦ ذلك ان الاسكندر الاكبر لم يلبث أن بلغ بجيشه مدخل مصر في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، فاحتل (غزة) ، ثم عبر الصحراء الى (بلوزيم) ميناء مصر الشرقية ، ومفتاح الطريق

الى الدلتا - (ولا تزال اطلالها ظاهرة على ثمانية عشر ميلا شرقى ميناء بورسعيد !)

واستسلمت (بلوزيم) بدون كفاح ، وكانت الاشاعات قد سبقت الاسكندر ، مرددة الرواية الغامضة التى حفت بمولده ، والتى قيل فيها ان الاله « آمون » اختار أمه لينجبها ابنا له بين البشر !! ومن هنا استقبله المصريون ، الكارهون لربقة الفرس ، كما لو كان قد جاء لتحريرهم !! وانتقلت مصر فى سلام وهدوء الى قبضة الاسكندر ، الذى سار بجيشه حتى (ممفيس) ، فقدم القرابين فى معبد الاله المصرى « بتاح » ، ثم سار بمحاذاة ساحل البحر الابيض المتوسط ، ليختار موقعا لمدينة تحمل اسمه ، وتكون الميناء الرئيسية لامبراطوريته . . . ووقع اختياره على بقعة يلتقى عندها الشرق والغرب ، بحيث تكون جديرة بأن تصبح ملتقى تجارة العالم اذ ذاك . . . ومالبثت (الاسكندرية) أن قامت تحمل الطابع الصحيح لمدينة تنتسب الى الامبراطور . . . وتألف شكلها الاول من طريق فسيح لا يقل عرضه عن مائة قدم ، امتد بمثابة العمود الفقرى لها ، تحف به أقبية - كالبواكى - لتحوى المارة وأصحاب المتاجر من وطأة الشمس ، وبلغ طوله - (من الباب الشرقى للمدينة حتى الباب الغربى ، فى نفس اتجاه شارع فؤاد الحالى تقريبا) - أكثر من ثلاثة أميال . . . وعند نقطة قريبة من موقع مسجد النبى دانيال الراهن ، امتد طريق آخر يقطع الطريق الاول متعامدا عليه ، ويشبهه ، رابطا الطرف الشمالى للمدينة بالطرف الجنوبى . . .

مصرع الاسكندر . . . وتأسيس دولة البطالسة

♦ وفى ربيع سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، لاقى الاسكندر مصرعه فى بابل ، اثر حمى قاسية ، فتعاونت المؤامرات والدسائس والاغتيالات على تمزيق امبراطوريته . . . وفاز بمصر واحد من كبار قادته يدعى « بطليموس » ، لم يلبث أن أعلن نفسه ملكا

عليها .. واعترف المصريون له بالملك وبالصفة الالهية التي كانوا يخلعونها على الفراعنة ، فأنشأ أسرة البطالسة .. وأخذت الاسكندرية تنمو وتزدهر ، حتى غدت أبهى مدن العصر ، لا تفوقها أهمية سوى روما وانطاكية . وكانت منارتها (الفنار) احدى عجائب الدنيا السبع ، وأول منارة من نوعها أنشئت لهداية رواد البحار ! .. أما القصر الملكي - الذى كان تحفة رائعة - فكان يقوم فى الركن الجنوبي الشرقى للميناء الكبيرة .. وبالقرب من وسط المدينة قامت « الموزيون » ، أول مدرسة فى العالم استحدثت اسم « جامعة » ، حيث كان كثير من كبار العلماء الذين خلد التاريخ اسماءهم يلقون المحاضرات .. وحيث كانت المكتبة التى ضمت نصف مليون من المخطوطات ! .. وهناك ، خرج « اريستارخوس » على الدنيا بتظرية دوران الارض حول الشمس ، وحسب « أراتوستينس » محيط الكرة الارضية بدقة تدعو الى العجب ، واخترع « هيرون » آلة لا مغالة اذا قلنا انها أول محاولة للآلات البخارية ! .. وأخيرا ، وليس آخرا ، كان من أمجاد الاسكندرية أن تمت بها ترجمة التوراة من العبرية - لأول مرة - الى اليونانية .. وظلت أسرة البطالسة تحكم مصر حوالى ثلاثة قرون ، حتى انتهت صفحتها بمصرع كليوباترا .. العظيمة !

الفصل الخامس : كليوباترا

أجدادها سفاحون !

♦ لسنا بحاجة الى ان نذكر عن أجداد « كليوباترا » أكثر من ان بطليموس الثانى قتل أخويه ، وبطليموس الثالث اغتاله ابنه ، الذى عزى اليه انه دبر بعد ذلك اغتيال أخيه وعمه وأمه ! .. وخلفه بطليموس الخامس الذى لم يكن يتورع عن قتل من يخالفه ، كما كان بين ملوك الاسرة ملك اغتال ابن أخيه ثم تزوج ام ضحيته ليفوز بالعرش ! .. وهكذا حتى نصل الى بطليموس الثانى عشر الذى تزوج زوجة أبيه ثم اغتالها ، وسرعان ما اغتيل بدوره ، فخلفه بطليموس الثالث عشر ، والد كليوباترا ..

ومع ذلك ، فلا مراء فى ان البطالسة الاولين جلبوا لمصر عهدا من الرخاء والثراء ، بيد ان هؤلاء المقدونيين لم ينسوا دائما انهم السادة ، ومن ثم استأثر اليونانيون فى عهدهم بكل المناصب الرفيعة ، سواء فى الحكومة او فى الحياة العامة ، واقتصر المصريون على ان يكونوا مستخدمين واجراء وفلاحين ، وان يؤلفوا الطبقات الدنيا فى المجتمع .. وكانت الاسكندرية - مقر البلاط الملكى - مدينة غريبة لا تمت لمصر بصلة ..

على ان الاسرة المالكة لم تلبث ان انحدرت مع مرور الزمن وضعف سلطاتها . وهناك أدلة وثيقة على قيام حركة وطنية فى مصر فى ذلك الوقت . وكان بطليموس الثالث عشر - والد كليوباترا - اضعف ملوك الاسرة .. كان سلفه قد ترك وصية يخلع فيها مصر على الجمهورية الرومانية ، ولكن بطليموس الثالث عشر اعتلى العرش ، واستقل افلاس يوليوس قيصر - حين انتخب قنصلا للجمهورية الرومانية - فقدم له نصف دخل حكومة مصر كرشوة ، الامر الذى ادى الى مضاعفة الضرائب ومصادرة ملكيات المصريين ، مما اثار الاضطرابات فى الاسكندرية ، ففر بطليموس الى روما تاركا ابناءه الخمسة : الأميرة « بيرنيس » - فى الثامنة عشرة من عمرها - تليها « ارسينو » ، ثم اميران صبيان ، و « كليوباترا » ، التى كانت فى الحادية عشرة .. واعتلت « بيرنيس » العرش .. والف يوليوس قيصر وبومبى وكراسوس ، فى تلك الاثناء ، حكمهم الثلاثى فى روما ، فاوفدوا رومانيا مفلسا - كان نائبا للقنصل (اى حاكما) على سوريا - فى حملة لرد عرش مصر الى بطليموس .. ودخلت الحملة مصر ، واعادت الملك الهارب الى عرشه بعد ثلاث سنوات من فراره .. وكان بين الجنود الرومان اذ ذاك فارس شاب انيق قيل انه فتن بكليوباترا .. وكان له شأن فيما بعد .. ذلك هو « مارك انتونى »

يوليوس قيصر فى مصر

♦ وظل بطليموس يحكم البلاد كرها اربع سنوات آخر ، حتى مات فى سنة ٥١ ق.م . ، فاذا الدسائس والمؤامرات تحيط بكليوباترا - وكانت قد اصبحت فى الثامنة عشرة - واخيها الاصغر الذى لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره .. وكان ابوهما قد اوصى بالعرش لهما ، واقام الشعب الرومانى وصيا عليهما .. وانتهت المؤامرات بفرار كليوباترا الى سوريا وهى فى الحادية والعشرين ، بينما اغتصب ثلاثة من رجال القصر أزمة الحكم ، مستترين وراء اخيها الصبى . وما لبثت كليوباترا الجريئة ان حشدت جيشا سارت به الى « بلوزيم » . وقبل ان يلتحم مع جيش اخيها فى معركة حاسمة ، وقع حادث غير مجرى الامور ، اذ اقبلت على الميناء سفينة حربية كان « بومبى » وزوجته

قد فرا عليها ، بعد الخلاف الذى دب بين قناصل روما الثلاثة ٠٠ وخشى الملك الصغير ووزراؤه الثلاثة أن يثيروا نقمة « قيصر » إذا هم اتاحوا لبومبى أن يلوذ بمصر ، فدبروا خدعة غادرة لاغتياله ٠٠ ولم يلبث « قيصر » أن جاء فى أثره ، وكانت شكايات « كليوباترا » قد بلغت ، فما أن وصل الى الاسكندرية حتى استولى على القصر الملكى ، ودعا - بوصفه منفذا لوصية بطليموس الثالث عشر - كليوباترا وأخاها لتولى العرش معا ٠٠ ودبر وزراء الملك الصغير مؤامرة لمنع قيصر من مغادرة الاسكندرية ، والحيلولة دون اتصال كليوباترا به ٠٠ ولكن دهاء الفتاة كان قد تفتق ٠٠ وفى ذات مساء ، تسلل الى سلم القصر الملكى المفضى الى البحر قارب صغير ، غادره رجل يحمل حشية وبضع بطانيات ، تسرب بها الى داخل القصر ٠٠ واستطاع بطريقة ما أن يمثل بين يدي قيصر ٠٠ ومن وسط الحشية والبطانيات ، نهضت كليوباترا هادئة ، رابطة الجاش ، أكثر ما تكون فتنة !

الفصل السادس : قيصر

المؤرخون ينصفون كليوباترا أخيرا

♦ ومهما تكن المثل الخلقية لكليوباترا ، فان قطرة من « الوهية » الفراعنة كانت تجرى فى دمانها ، فتهدىها الى خدمة قضية مصر ممثلة فى قضية عرشها ٠٠ وهذه حقيقة سلم بها كبار المؤرخين أخيرا ، حتى لقد وصفها بعضهم بأنها « أعظم خلفاء الاسكندر الاكبر » ، وان روما لم تخش يوما أمة ولا شعبا ، ولكنها كانت تخاف شخصين : هانيبال ٠٠ وكليوباترا !

وانتهى لقاء كليوباترا وقيصر الى أن تحمس الأخير لقضيتها ، فلم يتردد فى أن يقاتل أخاها وجيشه وان يوقع بهما الهزيمة ٠٠ ومات بطليموس غريقا فى البحر وهو يحاول الهرب ٠٠ فأقام قيصر على العرش كليوباترا ، وأصفر اخوتها طرا - وكان غلاما فى الحادية عشرة من عمره اذ ذاك - ثم دعت تطورات الامور فى روما الى الرحيل ٠٠ وفى سنة ٤٧ ق م وضعت كليوباترا اول ابنائها : « قيرون » !

وفى العام التالى ، رحلت كليوباترا الى روما فى أبهى مظاهر الملك والترف ، طامعة فى أن تحمل قيصر على الزواج منها ، فتجمع بين تاج مصر وحكم روما ! ٠٠ ولكن هذه الفكرة الاخيرة راودت الرومانيين قبلها فكرهوها ، وفقدوا ثقتهم فى قيصر ، فاغتالوه ٠٠ وكانت الصدمة القاضية لكليوباترا أن تبينت أنه أوصى بأن يخلفه « أوكتافىوس » - ابن اخته - وأن يكون وريثه الاوحد ٠٠

وكان « مارك انتونى » فى تلك الاثناء قد غدا اقوى رجال روما .. واثار حفيظته ان « اوكتافىوس » ظفر بالحكم ، ثم أعلن نفسه امبراطورا على الدولة ، واتخذ لقب « اوغسطس » الذى عرف به فى التاريخ .. ولم يخفف من حفيظة « انتونى » ان اختير بعد ذلك ليؤلف مع اوغسطس و « لبيدس » مجلسا ثلاثيا لحكم الامبراطورية .. وان اوفد الى آسيا ليعزز سلطان المجلس الثلاثى .. ولا تعنينا شئون روما السياسية هنا .. انما الذى يعنينا ان « انتونى » ارسل الى كليوباترا - فى طريقه - يسألها ان تقابله فى (طرسوس) كى يبحث معها شئون مصر التى كانت تابعة للامبراطورية .. وافتنت الحسنة الداهية فى تدبير هذا اللقاء فى اخراج مسرحى رائع ، بهر « انتونى » .. وبدلا من ان يمضى فى رحلته الى آسيا ، لحق بكليوباترا فى الاسكندرية ! .. وعادت اطماع الملكة الشابة تراودها ، فحرصت على ان تستبقى « انتونى » الى جوارها ، عبدا اسير هواها ، شتاء كاملا ، حتى انتبه من نشوته الى ان الصراع شب فى روما بين انصاره وانصار « اوغسطس » فغادر مصر على عجل .. وبعد ستة شهور ، وضعت كليوباترا توأمين !

زواج سياسى !

♦ وظلت « كليوباترا » تتبّع انباء « انتونى » باهتمام ، حتى علمت بصلحه مع « اوغسطس » ، على اساس ان يكون « انتونى » صاحب السلطان المطلق على الشرق ، و « اوغسطس » صاحب السلطان المطلق على ايطاليا .. ثم فجعت كليوباترا حين نمت اليها ان هذا الاتفاق عزز بزواج « انتونى » من « اوكتافيا » اخت « اوغسطس » ، وانجابه ابنة منها !

على ان العوامل السياسية والعاطفية لم تلبث ان اذكت نار غرام « انتونى » بكليوباترا مرة اخرى .. ولعل ما كان لديها من موارد اوحى اليه بان فى وسعه ان يتعاون معها على التخلص من غريمه « اوغسطس » وان يصبح السيد الاوحد لروما ومصر .. ومن ثم ، انتهز فرصة رحيله الى الشرق ليراس حملة ، فالتقى بكليوباترا فى « انطاكية » ، وتم بينهما نوع من الزواج لم تكن قوانين روما تعترف بصحته ..

واذ عادت كليوباترا الى الاسكندرية ، انجبت ابنا اسمته « بطليموس » ومنى « انتونى » فى حملته بهزيمة شنيعة .. وفى عودته ، وجد « كليوباترا » فى انتظاره فى قرية ساحلية بين (صيدا) وموقع (بيروت) الحال ، وقد حملت الى جيشه المضى ثيابا ومؤنا .. وعادا معا الى الاسكندرية .. وما لبث « انتونى » ان اعد حملة جديدة خرج بها تصحبه كليوباترا ، بيد ان الانباء ترامت اليه بان زوجته « اوكتافيا » كانت بدورها فى طريقها اليه تصحبها نجدة من جنود روما ،

فعل على أن لا تجتمع « الزوجتان » ، ولو اضطر في سبيل ذلك لمحاربة « أوغسطس » ٠٠ وازداد احتمال قيام هذه الحرب حين غزا « انتوني » ارمينيا ، ثم اقام مهرجانات النصر في الاسكندرية بدلا من روما كما كانت تقضى التقاليد !

الفصل السابع : كليوباترا - أوغسطس

الطموح ، لا العواطف الجنسية ، كان حافز كليوباترا !

♦ ووقعت الحرب بين أقوى رجلين كانا يتشبايران ميراث روما . وكانت كليوباترا على رأس أسطولها تحمي مؤخرة أسطول « انتوني » حين دارت المعركة عند خليج (امبراشيا) على الساحل الغربى لليونان ٠٠ وكان جنود « انتوني » يفضلون أن يستدرجوا غرماهم الى البر ، فتدور عليه المعركة ، ولكنه أصر على أن يكون القتال فى البحر ، فمضى بهزيمة ساحقة ، اذ ما لبث جنوده أن سلموا ٠٠ واضطرت كليوباترا أن تبادر بالفرار بأسطولها الى مصر - طبقا للخطة التى كانا متفقين عليها - ولحق هو بها ، فظل طيلة الرحلة حزينا ، يائسا ٠٠ حتى اذا بلغ الاسطول مركزا رومانيا على بعد مائة وستين ميلا غربى الاسكندرية ، هبط « انتوني » بينما واصلت كليوباترا سفرها الى الاسكندرية ، وقد أوحى اليها دهاء المرأة والملكة ان تسبق الانبياء فتدخل عاصمتها دخول الظافرين ، ثم تسرع فتجمع مقاليد الامور فى يديها ، وتوطد قدميها . وعندما تناهت اخبار هزيمة (اكيوم) الى الشعب ، بطشت الملكة بكل من حاولوا ان يثيروا الاضطرابات ٠٠ وما لبث « انتوني » ان لحق بها ، وفى نفسه امل بان يصل الى صلح مع « أوغسطس » ٠٠ ولكن هذا استولى على اليونان ، وآسيا الصغرى ، فتقلصت امبراطورية « انتوني » فى الشرق ٠٠

وانزوى « انتوني » فى عزلة تامة ، حتى انه لم يقابل كليوباترا نفسها الا يوم بلغ ابنها من قيصر « قيصرون » سن الرشد ، فجمعتهم الحفلات التى اقيمت لهذه المناسبة ٠٠ ولعل كليوباترا لم تحب انتوني يوما ٠٠ بل هناك شك فى انها احبت احدا ، اذ ان الطموح - لا العواطف الجنسية - هو الذى كان الباعث على كل تصرفاتها ! ٠٠ على انها كانت زوجة وفية لانتوني ، فلم تشأ ان تتخلي عنه فى محنته ٠٠ كما ان املها فى حكم امبراطورية واسعة ، كان يعتمد على التعاون مع انتوني ٠٠ ومن ثم حرصت على ان تستبقه فى اسر غرامها ٠٠ وفى تلك الفترة اخذت تدرس السموم وتأثيرها ، حتى اكتشفت أن لدغ الحية يمكن الانسان من الانتقال الى الموت خلال غيبوبة ناعمة !

وحاولت كليوباترا ان تصل الى صلح مع اوغسطس ، ولكنه علق كل صلح على شرط واحد : هو ان تقضى كليوباترا على « انتونى » ! فلما ابت ، سار الى مصر .. فاستولى على « بلوزيم » ووصل الى مشارف الاسكندرية ، الامر الذى اذكى روح المحارب فى نفس انتونى من جديد .. فاتخذ مركزا لقيادته على مقربة من الموقع الحالى لمحطة « كامب شيزار » ، يرقب منه القتال فى البر والبحر . ولكن اسطوله ما لبث ان انضم الى الاسطول الفريم ، وسلم المشاة للفزاة دون قتال ! .. فاسرع « انتونى » بالفرار الى القصر معلنا ان كليوباترا قد غدرت به .. والواقع انها لم تغدر ، ولكن رشاوى اوغسطس هى التى غدرت به !

نهاية مطامع .. ونهاية غرام !

♦ واسرعت « كليوباترا » مصطحبة وصيفتيها « ايريس » و « شارميون » ، فلاذت بالضريح الذى كانت قد شيدهته لنفسها ، ثم ارسلت الى انتونى تنبئه بانها ستكون - عندما يتسلم رسالتها - قد انتقلت الى عالم الاموات ! فلم يكده يتلقى الرسالة حتى طعن نفسه بسيفه .. بيد ان كليوباترا لم تكن قد نفذت تهديدها بعد ، فامرت بان تحمل جثته اليها .. ولم يكن قد مات بعد ، فراحت تبكى لما كان يعاني من آلام .. ووصيفتاها تشاطرانها بالبكاء .. حتى لفظ آخر انفاسه بين ذراعيها ..

ولم يقو رسل « اوغسطس » على اقتحام الضريح .. ودارت بينهم وبين كليوباترا اغرب مفاوضات ! كان رسله يحملون الى كل ، اقتراحات الآخر : فطالبت كليوباترا بتاج مصر لائى ابن من ابنائها يختاره غريمها .. واصر « اوغسطس » على ان تنقل كليوباترا الى روما اسيرة ، وتسير فى موكب السبايا فى احتفالات النصر ! .. لكنها ابت ان تكون من السبايا ، وجمعت شجاعتهما اخيرا فقابلت غريمها ، لكن كل منهما تمسك بموقفه .. واذا ذاك طلبت كليوباترا الاذن بان تزور ضريح « انتونى » .. وبينما كانت ترمع لدى القبر تحتضنه وتبكى ، كانت احدى وصيفتيها تدبر امر الحصول على حية لها !

وعادت كليوباترا الى ضريحها ، فتمطرت وتزينت .. وما لبث ان اقبل فلاح يحمل سلة ، اكده للحراس ان بها بعض ثمار التين . وما خطر ببال احد ان حية كانت تترقد تحت التين ! .. ثم حزمت الملكة الباسلة شجاعتهما فوضعت الحية على ثديها تلدغها ، وتنفث سمها فى دمها ! .. فلما نمى النبا الى « اوغسطس » هرع الى الضريح ، فوجدها مسجاة على اريكة ذهبية ، فى ابهى جلال .. وتحت قدميها كانت وصيفتها « ايريس » تترقد ميتة .. بينما كانت الوصيفة الاخرى « شارميون » تستجمع آخر انفاس الحياة ، لتضع التاج على راس مولاتها !

الفصل الثامن : الفجر

♦ وبعد انتصار « أوغسطس » على « أنتوني » و « كليوباترا » بثلاثين عاما ، أصدر قانونا بفرض الجزية على العالم . وبسبب هذه الجزية سافر « يوسف النجار » من الناصرة الى بيت لحم ليقيم اسمه واسم زوجته « مريم » في سجلات عشيرتهما . وكانت « مريم » تحمل في أحشائها الجنين العظيم : المسيح ! . وفي بيت لحم وضعت حملها ، ثم خشيت الاسرة المقدسة على الطفل من بطش الحاكم الروماني هيرودس ، فرحلت به الى مصر ، مجتازة نفس الطريق التي سلكها رمسيس في غزواته للشام ، وسلكها قمبيز والاسكندر الاكبر حين زحفا على مصر . ثم سلكها بونابرت في العصور الحديثة حين حاصر (عكا) . وأخيرا قاد خلالها « النبي » جيشه الى فلسطين !

ووصلت الأسرة المقدسة الى (هليوبوليس) - عين شمس - التي كانت قد هوت من مجدها كمقر لأهم جامعة . ثم تابعت الأسرة سيرها الى (ممفيس) التي كانت تعرف اذذاك باسم (بابيلون) - وتقع قريبا من الضواحي الجنوبية للقاهرة ، أى قرب (الجيزة) ، خلف مستشفى كنيسة الارسالية .

ولا تزال تبدو الى اليوم أطلال حصن (بابيلون) الذي شيده « مارشيو تيربو » في عهد الامبراطور الروماني « تراجان » . وتقوم على حراسة الباب الرئيسي اليوم امرأة . واذا ولجت الباب ، ثم جست خلال البنايات والحارات الضيقة خلف الاسوار الرومانية ، بلغت بابا متواريا ، تنفذ منه الى درب متعرج يفضي الى ساحة في نهايتها باب يقود الى كنيسة مهيبة المنظر ، أقيمت تحتها - للعجب - كنيسة أخرى ، لعلها أصغر كنيسة في العالم . يقال أنها أنشئت في عهد الرسل ، في موقع البيت الذي نزلت به الأسرة المقدسة أثناء مقامها في مصر ! ولا يفوتنا أن نذكر بصدد عصر الرسل ، أن السجلات

المعاصرة لا تحتوى على معلومات عن الكنيسة التى أقامها القديس مرقس بعد ذلك بنحو خمسين عاما ، والتى أصبحت مقر البطركية الارثوذكسية فى الاسكندرية . ويقال ان القديس مرقس كان ينتمى الى أسرة يهودية ثرية تقيم فى مصر ، وأن أبويه هاجرا به الى فلسطين وهو طفل . وفى سنة ٤٥ بعد الميلاد ، أقبل يزور موطن أهله ، فاعتنق المسيحية على يدى اسكافى فى الاسكندرية . . . وتبع ذلك دخول كثير من الوثنيين فى المسيحية ، فشيدوا كنيسة فى ضاحية « بولكلى » (١) . . . وعلم أهل الاسكندرية فى عهد « نيرون » أن القديس « مرقس » يحول الناس عن آلهتهم ، فتربصوا له ، وأوثقوا حبلا حول عنقه ، وجروه الى السجن ، ثم ساقوه فى اليوم التالى خلال الشوارع ، وأوقدوا نارا ألقوه فيها . . . ويقال ان رماد أشلائه دفن فى كنيسته

وكانت الاسكندرية فى ذلك العهد ، كما كانت منذ قرون ، قبلة القلب النابض بالعلم والثقافة فى الدنيا القديمة . . . فما لبث الصراع بين ثقافة وتقاليد العهد الوثنى وبين تعاليم المسيحية الناشئة أن نشب . . . صراع الحياة والموت ! . . . وشيئا فشيئا ، أخذ أساتذة جامعة الاسكندرية يتحولون الى المسيحية ، فبدأت سلسلة الاضطهادات ، وفترة الاستشهاد . . . وكانت معجزة أن استطاعت الكنيسة المصرية أن تعيش . . . ومالبثت المسيحية أن انقسمت الى مذاهب راحت على مرور الاجيال تتنافس وتتناحر ، غير شاعرة بخطر كان ينمو سريعا فى بلاد العرب . . . فقد ظهر فى مكة الوثنية « محمد » برسالة تصدعت لها أصنام قبيلته

(١) يبدو أن اسم الموقع التبس على المؤلف . . . فالكنيسة المرقسية بالاسكندرية تقع بالقرب من « محطة الرمل » ، وليست فى محطة بولكلى بالرمل

الفصل التاسع : الغزو العربى

♦ كانت الفرقة والخلافات تستفحل فى مصر ، فى الوقت الذى استوى فيه الاسلام على قدميه فى بلاد العرب ، وأخذ يقوى وينتشر ٠٠ كان الاقباط والسوريون يكرهون الرومان بقدر ما يكره كل فريق منهما الآخر ٠٠ وكان اليهود يكرهون المسيحيين ٠٠ وهؤلاء يبادلونهم الكراهية !

لذلك وقعت مصر بسهولة فى أيدي الفرس حين أعلنوا الحرب ضد روما وزحفوا فاحتلوا دمشق ، ثم بيت المقدس ، وانحدروا الى مصر فى سنة ٦١٦ ميلادية . على أن الرومان لم يلبثوا أن هبطوا آسيا الصغرى فى سنة ٦٢٢ ٠٠ وفى سنة ٦٢٩ سار « هرقل » - امبراطور روما - الى بيت المقدس ليرد الصليب المقدس الذى كان الفرس قد اغتصبوه ٠٠ وفى ذلك الوقت بالذات ، سارت أول حملة اسلامية الى سوريا ، فكانت بدء صراع مروع بين الاسلام والمسيحية دام حتى سقطت القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ !

على أن تلك الحملة الاسلامية الاولى أوجت الى « هرقل » أن يوحد بين الشيع المسيحية فى وجه العدو الجديد ٠٠ ثم حاول أن يهدىء الخلافات عامة فى أنحاء الامبراطورية الرومانية ، ولكن المصريين لم ينصاعوا لذلك ، بل هاج المسيحيون منهم ضد الوثنيين وهدموا معبد الاله « سيرايس » ، كما وقعت فى عهد هرقل القطيعة بين الكنيسة القبطية والعالم المسيحي الكاثوليكي ٠٠ وحاول نائب هرقل أن يفرض سياسته قسرا ، فاحتدم بين المصريين والرومان صراع لم ينبع من عاطفة وطنية ، وانما انبعث عن عاطفة دينية ٠٠ وشن الحاكم ، وكان يدعى « سيرس » (١) ، سلسلة من الاضطهادات ضد المسيحيين الارثوذكس ٠٠

(١) المعروف فى كتب التاريخ العربية هو اسم « المقوقس »

معركة (العباسية) !

♦ وفى تلك الاثناء كان الاسلام ينتشر ويقوى حتى ساد بلاد العرب . . وفى عهد الخليفة « عمر » ، أوفد هذا جيشا يتراوح عدده بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف فارس عربى بقيادة « عمرو بن العاص » ، فى شتاء ٦٣٩ - ٦٤٠ ، فاستولى على « بلوزيم » - ميناء مصر الشرقية - وانحدر الى القنطرة ، ومنها الى عين شمس ، متغلبا على كل مقاومة . . واذذاك أدرك الرومان أنهم ازاء غزو حقيقى ! ودارت المعركة الفاصلة فى الموقع الذى يقوم فيه الآن حى (العباسية) ، فأوقع العرب الذعر والهزيمة بالرومان ، ولأذ منهم من بقى على قيد الحياة بحصن نابليون مع حاكمهم « سيرس » - وكانت تلك لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة ! - ثم شرع « عمرو » فى مفاوضات « سيرس » ، الذى خيل اليه أن يوسعه الخلاص عن طريق « رشوة » الاعداء ! ولكن رسله عادوا اليه قائلين : « وأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب الى

أحدهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، لا يعرف رفيقهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يفسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون فى صلاتهم »

واستدعى « سيرس » وفدا من العرب ، راح يعرض عليه



الحاكم الرومانى « سيرس »

وقومه المال ، ويهدد بقوة الرومان ، فأجابه رئيس الوفد (١) :
 « يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك .. أما ما تخوفنا به من
 جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، فذلك والله أرغب ما يكون في
 قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا
 قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا .. وما منا رجل الا ويدعو ربه
 صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وأن لا يرده الى بلده ولا الى
 أرضه ولا الى أهله وولده ، وليس لاحد منا هم فيما خلفه ،
 وقد استودع كل منا ربه أهله وولده » .
 وأصبحت مصر ولاية عربية ..

وعلى مر الزمن وتعاقب الخلفاء ، دخل كثير من المصريين
 الاسلام ، وأخذ عدد المسلمين يتزايد باضطراد .. ومرت مصر
 بفترة عابرة استقلت فيها عن خلافة بغداد .. ولا يهم القارىء
 العربى أن يعرف ما دار من أحداث حتى سنة ٩٦٩ ، حين
 أنشئت العاصمة الحاضرة : (القاهرة) . وكانت مصر قد آلت
 الى حكم الفاطميين ، اذ أوفد الخليفة « المعز » جيشا من مائة
 ألف رجل ، بقيادة عبد صقلى يدعى « جوهر » فتح البلاد ..
 وليست بنا حاجة الى ذكر أحد من خلفاء « المعز » اللهم الا
 « الحاكم بأمر الله » الذى أنشأ مذهب « الدروز » ، وقد تولى
 الخلافة فى سنة ٩٩٦ ، وكان مصابا بنوع من الخبل والتهوس ..
 وقد أوسع المسيحيين اضطهادا ودمر كنائسهم (٢) .

(١) عبادة بن الصامت . ومما يذكر انه كان أسود ، وكان معه وفد من
 عشرة من البيض ، فسألهم المقوقس كيف قبلوا أن يكون الاسود مقدما عليهم
 فأجابوه : « انه وان كان أسود ، الا انه أفضلنا » !

(٢) ذكر « جورجى زيدان » فى « تاريخ مصر الحديث » ، ان ما اوغر صدر
 الحاكم بأمر الله ضد المسيحيين هو ما أقدم عليه الروم - فى حرب لهم مع
 المسلمين - من تدمير مساجد القسطنطينية .

الفصل العاشر : المماليك

♦ ما لبثت دولة الفاطميين أن أعوزتها الزعامة الصالحة ، وإن اشاع الترف فيها فسادا وانحلالا .. وقد بلغت أقصى درجات الضعف فى الوقت الذى اشتد فيه نفوذ زعيم اسلامى جديد ، هو نور الدين - سلطان الشام - الذى اشتهر كمحارب وحاكم صالح . وكان كل من نور الدين و « أمالريك » - ملك القدس الصليبي - يرمق مصر مدركا أهمية موقعها الاستراتيجى .. الى أن استنجد به « العاضد » - آخر خلفاء الفاطميين - حين اشتد ضغط الصليبيين عليه ، فارسل حملة من لدنه ، أمسكت بمقاليد الامور .. وعلا نجم « صلاح الدين » فى هذه الفترة حتى خلع عليه الخليفة « العاضد » وزارة مصر .. وما أن مات الخليفة بعد ذلك بشهرين حتى تولى صلاح الدين مكانه ، فعقد عزمه على أن ينشئ دولة قوية تستطيع أن تطرد الصليبيين وأن تسترد بيت المقدس .

وكانما كان القدر يناصره ، فما لبث « نور الدين » وغريمه « أمالريك » أن ماتا .. فوطد صلاح الدين فى الاعوام التالية سلطانه على مصر ، واستولى على بعض اجزاء الشام .. ثم استسلمت له القدس ، فأبدى لأهلها الامان والعفو .. واستقرت الحرب ضد الصليبيين الشطر الاكبر من عهد صلاح الدين ، فلم يقض فى مصر سوى أعوام قليلة .. ولكن « القلعة » التى لا تزال تطل على القاهرة ، صورة مما استطاع أن يؤديه من اعمال ، قبل أن يموت فى سنة



صلاح الدين الايوبى

١١٩٣ . وظلت أسرته « الايوبية » تحكم البلاد حتى سنة ١٢٥٠ . وكان المغول فى تلك الاثناء يزحفون من آسيا الشرقية بقيادة « جنكيز خان » وخلفائه .. حتى استطاع حفيده أن يستولى على بغداد - مركز الخلافة - فى سنة ١٢٥٨ .. ولكن « بيبرس » - وكان قائدا يعمل تحت امرة سلطان مصر يومئذ - هزم المغول وأجلاهم عن سوريا ، ثم اغتال مولاه السلطان وتولى الملك مكانه ، وأنشأ حكم المماليك فى مصر ، فظل هذا الحكم قائما - بمحاسنه ومساوئه - طيلة الخمسمائة والخمسين عاما التالية ! .. وكان سلاطنة المماليك يعملون على تعزيز

مراكزهم بخلع ملكية الاراضى على الامراء من انصارهم ، مما ضاعف من نفوذ هؤلاء الامراء ، واغرى كلا منهم على أن يحيط نفسه بجيش من الممالك والعبيد فهاثوا فى البلاد فسادا ، واصبحت مصر مسرحا للفتن ٠٠ واخذ الامراء - بالرشوة والفدر - يفتالون سلطانا ، لينصبوا من بينهم آخر ، لا يلبث فريق من الحاسدين أن يفتاله بدوره ، ويقيم سواه ٠٠ الخ واعقب الممالك البرجيون الممالك البحرين ، وكانوا جميعا من الشراكسة ، فيما عدا اثنين من اصل يونانى ٠٠ وعلى الرغم من كل ما جرى من قلاقل وحروب ، فان تلك الحقبة من تاريخ مصر شهدت ازدهار الفنون الاسلامى ، وبلغ فن العمارة فيها اقصى درجات الكمال ٠٠ كما ازدهرت الفلسفة والآداب . ويقال ان العالم مدين بالصيغة النهائية لقصص « الف ليلة وليلة » لهذا العهد ، اذ كان اطار هذه القصص - التى قيل ان بغداد كانت مسرحها - مقتبسا من المجتمع الذى عاش فى القاهرة فى زمن الممالك ٠٠

غزو الاتراك لمصر

♦ 'توفى سنة ١٥١٧ احتل السلطان سليم العثمانى مصر ، ونقل الخلافة الى القسطنطينية - (وقد بقيت مصر ولاية عثمانية حتى حررها (١) الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الاولى) ولم يكن عهد العثمانيين عهد خير باى حال من الاحوال ، فساءت احوال مصر ، وسادتها الفوضى ، الى ان علا نجم بونابرت فى سنة ١٧٩٧ ، ورأى ان لا سبيل للتغلب على بريطانيا الا بغزو مصر ، ليقطع طريق اتصال البريطانيين بالهند !

١١ - نابليون بوناپرت

♦ اقترب اليوم الثامن والعشرون من يونيو سنة ١٧٩٨ من نهايته ، وليس ثمة ما يوحى الى اهل القاهرة بان الحياة التى عاشتها مصر قرونا ، كانت موشكة على تطور مفاجئ عنيف ٠٠ ولكن ليل ذلك اليوم كان يناقض نهاره ٠٠ فقد انتشرت الانباء بان الاسطول البريطانى فى مياه الاسكندرية ! وفى الصباح التالى ، اقبل رسول من الاسطول فسعى الى محافظ الاسكندرية السيد كريم ، لينبئه بان الاميرال البريطانى انما جاء يطارد جيشا فرنسيا كان يمخر عباب البحر الابيض المتوسط تحت قيادة من يدعى « بونابرت » ، وانه يرجو

السماح للأسطول البريطانى بالمكث فى انتظار تلك الحملة الفرنسية التى يعتقد أنها تدبر غزوا مفاجئا لمصر !

وخشى المحافظ المصرى أن يكون فى الامر خدعة ، فقال للرسول : « ولماذا تريدون أن تحاربوا الفرنسيين فى مياه مصر ، وامامكم البحر الابيض المتوسط بأكمله لتسبوا فيه منازعاتكم ؟ .. عد فانبيء قائدك بأن مصر تابعة لسلطان تركيا ، وليس للانجليز ولا للفرنسيين شأن بها »

ولم يتوان « نلسون » عن الرحيل ، فقد كان همه الأكبر أن يعثر على نابليون ، وقد اطمأن الى أنه لم يدخل المياه المصرية .. ولكن الأسطول الفرنسى لم يلبث أن وصل فى فجر أول يولية .. وهبط منه الجنود ، فوقفوا أمام أسوار الاسكندرية - التى كانت قد فقدت روائها وعظمتها ، وتحولت الى بلدة صغيرة ، فقيرة ، لا تملك قوة للدفاع عن نفسها !

ومن الاسكندرية زحف الفرنسيون الى القاهرة .. وعند الأهرام واجهوا أول مقاومة ، ثم دارت معركة (امبابه) .. وعلى أثر الهزيمة ، أوفد أهل القاهرة شيخين لمفاوضة نابليون ، فبادرهم قائلا : « اننى ما جئت لمحاربة المصريين ، بل جئت لتحريرهم من الطغيان »

ونجح الفرنسيون فى اظهار روح الود والاخلاص .. كما ان مصر كانت فى حال من السوء لا تملك معها الا قبول الامر الواقع ..

خسوف جزئى لنجم بونا بورت

♦ ما ان بلغت انباء معركة الأهرام أسطول الفرنسيين ، الذى كان قد القى مراسيه فى خليج أبى قير ، حتى اطمأن ضباطه وشرعوا يعدون العدة للاحتفال بالنصر .. ولكن سفن الاستطلاع التى كان نلسون قد أوفدها فى عرض البحر ، اكتشفت مربض الأسطول الفرنسى فى أول اغسطس .. فما لبث غريمه البريطانى أن أقبل متسللا ، ثم انقض عليه بفتة .. وأبلى الفرنسيون بلاء حسنا ، ولكن نلسون انتزع منهم الظفر فى النهاية ، وبدد فى ليلة واحدة الخطط والاحلام التى كان يبنها نابليون للسيطرة على الشرق ! كما أيقظ أوربا وجدد آمالها فى الخلاص من المخاوف التى كانت تبثها أطماع نابليون ..

خسوف كلى لنجم بونا بورت

♦ وكان نابليون قد شرع يعمل على فرض الثقافة الفرنسية على مصر ، ولم يدر بنكبة أسطوله الا بعد أسبوع من معركة أبى قير .. ولكنه بعد الصدمة الأولى سرعان ما تمالك نفسه . كان رغم انقطاع الاتصال بينه وبين فرنسا لا يزال يملك جيشا قويا يطمئن الى ولائه ، ويركن اليه ، ومن ثم تحول يسمى

لكسب ود المصريين على اختلاف طبقاتهم .. وتحجب الى مشايخ الازهر حتى لقد كان يصدر بياناته بعبارة : « لا اله الا الله محمد رسول عليه » ! ثم شرع يرسم نظاما لحكم مصر على هدى آرائه ومبادئه .. وشرع يفرض الاصلاحات فرضا ، غير عابىء بالتقاليد والعادات - اذ لم يكن يعبا باستشارة احد - فما لبث المسلمون من الاهالى ان شرعوا فى اخراج اسلحتهم من مخابئها ، رغم ما كان يعوزهم من قيادة وخطط . ثم انفجرت شرارة التمرد فى احد ايام الاتحاد من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٨ .. وبادت القيادة الفرنسية بارسال قوة لاجماد الحركة ، ولكن مصرع قائد هذه القوة ، وتشتت افرادها ، اذكى جذوة حماس الاهالى .. فتوالت حوادث الشغب والهيّاج بشكل يشبه ما حدث فى سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ ضد انجلترا ، الى درجة تدعو الى الدهشة .. وسرعان ما تقاطر الفلاحون على القاهرة يشدون ازر الثائرين ، فاقامت المتاريس فى الشوارع لعرقلة الجنود الفرنسيين ، وخربت بيوت الضباط والموظفين منهم وعلقت رؤوس سكانها .. والف فى الازهر مجلس لتوجيه الثورة .. ولم يسترد بونابرت زمام الامور الا بعد ان صوب مدافعه من فوق المقطم نحو صحن الازهر ، فما لبث المعقل الحصين ان رفع راية بيضاء يفلن الهدنة .. وبينما خرج وفد من المشايخ يسمعون الى قيادة الفرنسيين ، دخل الجنود حرم المسجد باحدىتهم وخيلهم ..

واحمد بونابرت الثورة ، ولكن سلطان تركيا - صاحب السيادة على مصر - اعلن الحرب على فرنسا . فلم ينتظر بونابرت حتى يفاجئه العدو الجديد ، بل بادىء بالزحف على بلاد الشام .. ولم يفسد عليه خطته سوى « سير سيدنى سميث » - الذى كان قائدا للاسطول البريطانى فى البحر الابيض - اذ سبقه الى (عكا) ، مستوليا فى طريقه على بعض سفن فرنسية تحمل مدافع الحصار والمؤن والذخائر !

وكان امل بونابرت ان يثير اهالى لبنان وارمينيا المسيحيين ليسقط الدولة العثمانية ، ثم يزحف برا الى الهند .. لذلك استمات فى حصار (عكا) واحدا وخمسين يوما ، دون ان يقوى على اقتحامها ، فاضطر للعودة الى القاهرة وقد تضعفت سمعته كقائد لم يكن يعرف الهزيمة ! .. وكانت قوة كبيرة من الاتراك قد نزلت بابى قير ، فعول على ان يحقق ضدها نصرا يمحو خزي النكبة التى منى بها اسطوله .. وهزم الاتراك فعلا ، فلاذوا بالفرار ، حتى لقد حفلت صفحة الماء بالمئات منهم يسمعون الى الاسطول البريطانى كى يحتموا به .. وكان بينهم شاب البانى فى حوالى الثلاثين من عمره يدعى .. محمد على !

وما لبثت انباء الاضطرابات التى نشبت فى فرنسا ، ان حملت بونابرت على

أن يتسلل عائدا اليها من مصر خفية - بمفرده - تاركا زمام الحملة فى يد القائد « كليبر »

سير سيدنى سميث

♦ واذا ساء مركز الفرنسيين فى مصر ، دارت اتصالات بين « كليبر » وبين سير سيدنى سميث ، حول تمكين الفرنسيين من الانسحاب دون اراقة دماء . . . فحبذ سميث الفكرة ، اذ كان ثمة جيش تركى كبير مقبلا تحت قيادة الوزير الاكبر ، وخشى سميث أن يلاقى ما لاقاه الجيش الذى سبقه ، ومن ثم تجاهل اوامر نلسون وحمل مندوبين من قبل كليبر على احدى سفنه الى العريش ، حيث اتصلا بقائد الجيش التركى . . . وقام سميث بدور الوسيط الذى كان يعالج الموقف كلما تازم ، حتى تم الاتفاق على اتاحة الفرصة للفرنسيين كي ينسحبوا فى مدى ثلاثة اشهر . ووقع المندوبان الفرنسيان ومندوبان تركيان ما عرف باسم « اتفاقية العريش » . . . وفى تلك الاثناء وردت اوامر حازمة لسميث من حكومته بان يمنع انسحاب الفرنسيين ، الا كاسرى حرب !

ولكن القائد التركى لم يعلم بهذا ، فصار بقواته حتى اجتمع بكليبر فى (الصالحية) فوقعا معا الاتفاقية التى وقعها مندوبوهما من قبل . . . ودخلت فرق من الاتراك بعد ذلك القاهرة ، فترك لهم الفرنسيون القلعة والحصون ، ولكنهم رفضوا احتلالها ، وآثروا أن ينصرفوا الى اللهو فى المدينة . . . واقام الفرنسيون لانفسهم معسكرا مؤقتا بالقرب من موقع فندق « شبرد » القديم . . . وفى خلال ذلك اخذ المماليك يخرجون من مخابئهم ، وسارت مظاهرات تلاميذ المدارس . . . وفى هذا الجو المضطرب ، تلقى كليبر من سميث نبا الاوامر البريطانية . كما استقبل القائد التركى ضابطا انجليزيا حمل رسالة من الحكومة العثمانية تضمنت مثل تلك الاوامر . . .

وبادر الفرنسيون الى احتلال القلعة والحصون التى ابى الاتراك احتلالها ، ثم اخطر كليبر القائد التركى بوجوب الانسحاب الى (الصالحية) ، فلما ابى ، التقى الجيشان عند المطرية ، وهزم الاتراك . . . واغتيل كليبر بعد ذلك . كما وصلت حملة بريطانية انضم لها الاتراك فاستسلمت لهم الاسكندرية والقاهرة ، بشرط تمكين الفرنسيين من العودة لبلادهم

وهكذا انتهت مغامرة بوناپرت . . . وكان من اهم نتائجها ان نبهت الانجليز الى ما لمصر من اهمية عسكرية . . . وان جلبت الى مصر جد فاروق . . . محمد على !

١٢ - فرعون مصر الحديثة !

مطامع محمد علي

♦ استغل محمد علي النزاع الذي دب بين المماليك والاتراك والالبيين - الذين كانوا في الجيش التركي - فجمع الاخيرين حوله .. كما انتهز الفوضى التي سادت البلاد فتوودد الى الشيوخ والاعيان حتى نصبوه واليا ، وحملوا الباب العالي على الموافقة .

وكان أول ما فعل أن دبر مذبحة القلعة للخلاص من المماليك، وبذلك استتبت له السيطرة على البلاد ، فعمل على النهوض بها ، لا لمصلحة أهلها ، وانما لان أطماعه كانت تتطلب جيشا قويا ، وأسطولا شديدا البأس ، وخزانة مفعمة بالمال ! ولعله استمد من تجاربه في تجارة التبغ في (قوله) خبرة بنى عليها اقتصاديات مصر .. اذ بدأ بابتياح محصول القمح من البلاد وباعه للأسطول البريطاني .. وألقى الملكية الفردية للأراضي ، وركز الموارد الزراعية للبلاد في يده ، وأخذ يفرض على الفلاحين زراعة المحصولات التي تدر عليه ربحا ..

وفي سبيل انشاء الجيش الذي كان يصبو اليه ، أوفد بعثة الى السودان للبحث عن الذهب والرجال .. وأنشأ كلية حربية .. وانتزع الفلاحين من دورهم وحقولهم وأرسلهم مصفدين بالآغال الى الثكنات ليجنّدوا .. وبدأت مصر جديدة تظهر وتنمو تدريجا ، وفي بطن .. وأخذ مركزها يزداد توطدا وأحوالها تزداد استقرارا ، فتطمئن محمد علي الى اقتراب الفرصة التي كان يرجوها كي ينفرد بالسلطان ، ويفصل مصر عن الدولة العثمانية !

وسنحت له أول فرصة لتجربة جيشه في سنة ١٨٢٢ حين ثار اليونانيون على الحكم العثماني ، فاستعان به السلطان علي

اخماد الثورة ، فى مقابل أن يمنحه جزيرة كريت . . وأفلح . . وشجعه ذلك على سلسلة الحروب التى انتهت به الى أن بسط سلطانه من أفريقيا الاستوائية حتى جبال طرسوس ، ورأى أن الوقت قد حان ليضرب ضربته ، ويقيم الامبراطورية المصرية التى كان يحلم بها . . وأثار هذا حربا بينه وبين الباب العالى ، وصلت قواته فيها الى أبواب القسطنطينية . . فبهتت أوروبا ، وخشيت الدول الكبرى على ميزان القوى . . فاضطر الى الانسحاب فى مقابل أن يكون حكم مصر وراثيا فى أسرته ، وأن يملك الجزء الجنوبى من بلاد الشام مابقى على قيد الحياة . . وبعث هذا التراجع الذى بدد أحلامه ، حسرة فى نفسه اعتلت بسببها صحته ، فقضى مابقى من سنى عمره فى قصر شبرا . . ومات فى الاسكندرية فى سنة ١٨٤٩

١٣ - قناة السويس

♦ بعد خمس سنوات من وفاة محمد على ، وصل « دليسيبس » الى مصر ليعمل على تيسير المواصلات بين أوروبا والشرق بحفر قناة عبر برزخ السويس . وكان « دليسيبس » على معرفة طيبة بمصر ، اذ شغل مراكز قنصلية فى القاهرة والاسكندرية بين سنتى ١٨٣٢ و ١٨٣٧ ، كما كان وثيق الصلة بالامير سعيد ، نجل محمد على . وقد قدر له أن يطلع على تقرير كان أحد مهندسى نابليون - ويدعى « ليبير » - قد أعده أثناء الحملة الفرنسية ، عن قناة تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض ، فأخذ يحلم بالفكرة ويدرسها ، حتى اذا تبوأ صديقه - سعيد - الحكم فى سنة ١٨٥٤ ، قدم لزيارته ، وزين له فكرة المشروع . . ولكن الباب العالى وقف فى وجهه ، لما كان يسود القسطنطينية من عدم الثقة بالاجانب ، كما عارضت الحكومة البريطانية المشروع خشية أن يثير ما اسمته « مسألة مصر » .

على أن المهندس الفرنسى - الذى كان قد بلغ الخمسين من عمره - لم ييأس ، بل ذهب الى بريطانيا بعد عامين ، وعمل - رغم معارضة البرلمان والصحافة - على الترويج للفكرة فى جميع الاوساط . واذ قنط من الحصول على عون من أية حكومة أجنبية ، اتفق مع بيت « روتشيلد » المالى ، وأغرى سعيد على الاذن له بتكوين شركة رأس مالها مليوناً فرنكاً . ولكى يحمل كافة الدول الغربية الكبرى على المساهمة فيها ، خصص حصصاً من الاسهم لكل دولة . . . لكنه لم يتلق اكتتابات كبيرة من أية دولة فيما عدا مصر وفرنسا . . . ولم تكتب الحكومة البريطانية ولا المليون البريطانيون بسهم واحد !

وسار العمل فى المشروع . . . وفى سنة ١٨٦٣ مات سعيد ، فخلفه اسماعيل ، الذى كان لا يقل عن « محمد على » عزماً على جعل مصر دولة كبرى . . . والذى صادفت مناسبة افتتاح القناة هوى من نفسه ، فدعا لحضورها ملوكاً وأمراء ، وأنشأ قصر عابدين ، وشجع على بناء حى حديث حوله . . . كما شيد مدينة الاسماعيلية ، فى منتصف الطريق بين السويس وبور سعيد ، لكى يبهر ضيوفه بمظاهر العظمة .

وافتحت القناة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، بعد يوم وليلة حفلاً بالماآدب والمهرجانات والحفلات الباذخة . . . وفى الوقت ذاته ، ولدت « المسألة المصرية » ، فان اندفاع اسماعيل واسرافه وبذخه - لاسيما فى سبيل الحصول على موافقة الباب العالى على أن يكون حكم مصر وراثياً لابنائه - كانت سبباً فى تراكم الديون على مصر . . . حتى أشرفت الدولة فى نوفمبر سنة ١٨٧٥ على الافلاس . . . وتوالى الفضائح - وأهمها فضيحة بيع أسهم مصر فى قناة السويس للحكومة البريطانية ، وفضيحة « لجنة الدين » التى مكنت للاجانب من أن يمدوا أصابعهم ، ثم أيديهم ، الى شئون البلاد !

خلع اسماعيل !

♦ ثم جاءت الضربة القاصمة فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ ، حين تلقى قصر عابدين برقية ، باللغة التركية موجهة الى « الخديو السابق اسماعيل باشا » .. وخشى رجال القصر والحاشية أن يقدموها لمولاهم ، ولكن شريف باشا - رئيس الوزراء - استجمع جرأته وحملها الى الخديو .. وبأعصاب صامدة ، وجأش رابط ، قرأ اسماعيل البرقية .. ثم أرسل يستدعى ابنه « توفيق » !

وأعلن تعيين « الخديو توفيق » فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ .. وكانت الغيوم تدلهم فى سماء مصر ، وكل الطبقات تثن تحت ما ترزح به من أعباء الضرائب ، والفلاحون يضيقون باستغلال المرابين والاتراك والشراكسة لهم .. والضباط المصريون فى الجيش ساخطون لما يلقاه الاتراك والشراكسة من محاباة ، دونهم ! .. الخ

واشتد فى مصر الشـمـور بأن كل المصائب التى يعانيتها الشعب مردها الى الاجانب . وفى سبتمبر سنة ١٨٨١ ، قاد عرابى قوة من ألفين وخمسمائة رجل وثمانية عشر مدفعا الى ساحة قصر عابدين .. فكانت أول خطوة فى الحملة ضد النفوذ الأجنبى . وما أن حانت أواخر سنة ١٨٨١ حتى كان عرابى - لا الخديوى - هو الذى يمسك بمقاليد الامور ! .. وزادت الامور تخرجاً حين أصر مجلس الاعيان على حقه فى أن يناقش الميزانية دون تقيد بسياسة المراقبين الاوروبيين .. وأعقب ذلك وصول الاسطول البريطانى والفرنسى الى مياه الاسكندرية ..

♦ (وتغلب النعرة البريطانية على المؤلف فى تصوير الوقائع التى أعقبت ذلك ، حتى أدت الى ضرب الاسكندرية ، ثم الى موقعة التل الكبير .. فقد تجنب ذكر الاطماع البريطانية والدسائس التى حاكها قومه ، والذم التى اشتروها بالرشاوى ليصلوا الى النصر الحسى الذى مكنهم من احتلال مصر ! .. ثم يفضى فى تصوير الحملات التى سارت الى

السودان ، بالصورة التي تظهر بريطانيا ملاكا ، بريثا ، يضحي براحته في سبيل الغير ! .. ومن ثم رأيت اهمال تلخيص هذه الفصول غير الامينة ، مؤثرا أن أعود فالتقط الحيط في الفصل التالي)

١٤ - مصر الجديدة في المخاض !

♦ ليس بوسع أى قلم أن يصف الوضع السياسى لمصر فى تلك الفترة . فمع انها كانت ولاية عثمانية معترفا بها ، الا انها كانت محتلة بجيوش دولة اخرى .. ومع انها - من الوجهة النظرية - كانت تحت حكم الخديو ، الذى كان يحكم باسم سلطان تركيا ، الا أن قوات الاحتلال لم تكن تملك تفادى المسئولية الكاملة عن استقرار الدولة وأمنها .. لذلك ظل « لورد كرومر » الحاكم الفعلى لمصر ! ومع ذلك فلم يكن بوسعه أن يجد عددا كافيا من المصريين المتعلمين الاكفاء لتولى المناصب الهامة ، فاضطر الى أن ينشئ الاداة الحكومية من « رؤساء انجليز ، واعوان مصريين ! » . واخذ يضع الاسس لحكومة دستورية ، مع انه لم يكن يملك من السلطة شرعا أكثر مما يملك أى قنصل عام لدولة اخرى . والآنكى من ذلك ، انه كان لابد من استشارة كل دولة أوروبية قبل اتخاذ أية خطوة هامة .. ثم كانت هناك الامتيازات الاجنبية

ولكن الصعاب لم تكن كرومر .. وكانت البلاد فى تلك الاثناء قد أصبحت تدر دخلا ، وأصاب الضرائب تخفيض كبير ، وخفت قبضة الدائنين ، وتوفرت الاعتمادات للمشروعات التى تستلزمها حاجة البلاد .. وأصلح نظام السجون .. وأخذت رؤوس الاموال الاجنبية تتدفق على مصر ، وانتعشت التجارة .. وفى السودان لم تكن مهمة كيتشنر - كحاكم عام - بأقل من مهمة كرومر فى مصر (كذا !)

فى تلك الظروف لقي الزعيم « مصطفى كامل » التشجيع الذى اوحى اليه بخطبه المثيرة الاولى ، فى الاوساط المعادية لبريطانيا فى باريس .. وكان يدين بالفضل فى دوره السياسى الى سيدة باريسية هى مدام « جوليت آدم » .. وعندما عاد الى مصر ، انشأ الحزب الوطنى ، وصحيفة تثير الخواطر ضد بريطانيا ! واخذ ينشر آراءه بين الشبان المصريين المتعلمين وانصاف المتعلمين .. وكان تقدم البلاد تحت ارشاد كرومر سريعا ، حتى غدا واضحا أن من الممكن أن تتحول مصر بعد امد غير طويل الى دولة مستقلة ، تحت حكومة دستورية امينة ، بغير ما عون من بريطانيا .. وكان الراى فى انجلترا - فى عهد حكومة الاحرار - يصر على أن ادخال النظم الديموقراطية أمر ضرورى يتطلب التعجيل بتحقيقه ، ولكن كرومر كان يرى أن طابع البلاد يتطلب التمهّل

والتدرج فى ذلك . . فلما اعتزل منصبه فى سنة ١٩٠٧ ، استطاعت حكومة الاحرار أن توجه خليفته « سير الدون غورست » الى أن يعمل على تخفيف الرقابة والارشاد البريطانيين فى شئون الحكم ، الى أقل ما يمكن ، وتشجيع الوزراء المصريين على أن يصرفوا الشئون بأنفسهم وأن يتحملوا المسئوليات (١) . . وكانت النتيجة أن الاستقرار لم يلبث أن تعرض للخطر ، وأن أبدى الفلاحون امارات فقدان الاحترام للسلطات ، وعاد سوء استقلال النفوذ (!!)

عهد كيتشنر

• ومات « غورست » فى سنة ١٩١١ ، فوقع الاختيار على لورد كيتشنر ليخلفه . ولم يكن من دعاة ادخال النظم السياسية الغربية فى الشرق ، ومن ثم قرر أن يعمل وفقا لما تمليه آراؤه . وقد قال مرة : « ان الروح الحزبية لشعوب الشرق كالحمر القوية لاهالى افريقيا غير المتمدنين » . . ومن ثم انقرد بالحكم ، على الرغم من نمو نفوذ الحزب الوطنى تحت زعامة سعد زغلول باشا (!!!)

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى ، وكان مركزنا فى مصر دقيقا ، وثمة خطوة واحدة لا غنى عنها لتنظيمه . . وضعت مصر تحت الحماية البريطانية . واذ كان الخديو عباس الثانى فى تركيا ، فقد أعلن السلطان حسين خليفة له . . فلما مات سنة ١٩١٧ ، خلفه فؤاد . .

وعندما وقعت الهدنة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، تذكر كثير من المصريين ما قيل عند بداية الحرب من أنها صراع فى سبيل « حقوق الامم الصغيرة » . . وتجمعت الغيوم فى سماء مصر . . ونفى سعد زغلول الى مالطة ، وسارت المظاهرات فى كل مكان . . ثم انفجرت الثورة . . وأخذت تشتد عنفا وحدة . وأوفدت الحكومة البريطانية بعثة ملنر للتحقيق ، فقبولت بالمقاطعة !

١٥ - الاستقلال

• وأخذت الحركة الوطنية فى مصر تتطور وتطرد . . حتى انتهت حكومة لويد جورج الى اعلان رفع الحماية عن مصر فى سنة ١٩٢٢ ، واعتبار مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، مع الاحتفاظ بأربع نقاط ، هى التى عرفت بالتحفظات الاربعة : سلامة مواصلات الامبراطورية ، والدفاع عن مصر ضد أى عدوان ، وحماية الاقليات ، والسودان . .

(١) وهكذا يغالط المؤلف الحقائق ويتجاهل الكفاح الذى كان بين الوزراء والتدخل البريطانى .

وصدر الدستور اخيرا فى ابريل سنة ١٩٢٣ ، واجريت الانتخابات لأول برلمان فى يناير سنة ١٩٢٤ ، ففاز حزب الوفد بأغلبية ساحقة .. وفى الوقت ذاته - تقريبا - قامت حكومة العمال فى انجلترا ، فانتعشت فى نفوس الوطنيين المصريين آمال جسام .. لكن المفاوضات بين زغلول ومكدونلده لم تصب نجاحا .. وأعقب ذلك تجدد الاضطرابات ، واغتيال السردار « لى ستاك » .. الخ

ثم توالى المفاوضات والاضطرابات ، بالتناوب .. وفى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ وقعت معاهدة التحالف التى أنهت الاحتلال ، ووفرت لمصر شبه استقلال ، لأول مرة منذ الفتح العربى تقريبا ، واعترفت بقناة السويس كوسيلة لا غنى عنها للمواصلات بين ارجاء الامبراطورية البريطانية .. وأباحت بقاء قوة بريطانية محدودة فى منطقة القنال ، كما اعترفت باستمرار مبدأ الحكم الثنائى فى السودان ..

وكان الملك فؤاد قد مات اثناء المفاوضات ، وخلفه ابنه فاروق .. وفى مايو سنة ١٩٣٧ تمت الخطوة الثانية فى سبيل استكمال مصر استقلالها وسيادتها ، فألغيت الامتيازات الاجنبية بموجب « اتفاقية مونثرو » ..

وقبل ان تنسحب القوات البريطانية من داخل البلاد الى منطقة القنال ، قامت الحرب العالمية الثانية .. ومرة أخرى حرصت بريطانيا - وعاونتها الولايات المتحدة بعد فترة من بداية الحرب - على ان تحول دون اية دولة اجنبية وغزو مصر .. واخذ البارومتر السياسى فى البلاد يعلو وينخفض تبعا لموقف الفريقين المتحاربين - كما حدث عندما تقهقرت القوات البريطانية امام روميل فى سنة ١٩٤٢ - اذ اجتاحت البلاد موجة من العداء لبريطانيا ، ورات السلطات البريطانية ما جعلها تعتقد بان فاروق اعترم اسناد الوزارة الى على ماهر الذى كان يميل للمحور ، فعمدت السلطات العسكرية البريطانية الى الحيلولة دون ذلك .. ومن ثم حاصرت قصر عابدين فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، ووجهت انذارا الى فاروق بان يعين النحاس باشا رئيسا للوزارة او يغادر البلاد .. وانصاع فاروق ، فأجريت انتخابات فاز فيها النحاس وحزبه ..

وفى سنة ١٩٤٥ ، كان شعور المصريين بالعداء نحو بقاء قوات اجنبية فى مدنها قد بلغ اقصاه .. فثار هياج ، اذكى الوفد ضرامه ، وكان يومئذ فى المعارضة .. واذاك أوفدت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٤٦ وفدا لباحث الحكومة المصرية بشأن تعديل المعاهدة .. وأعلن « اتلى » فى مجلس العموم ان حكومته اقترحت سحب القوات البريطانية من الاراضى المصرية ، والمفاوضة لتعيين مراحل الانسحاب وآخر تاريخ له .. فكان ان شن حزب المحافظين معارضة شديدة لهذه الفكرة ..

وكان يوم ٤ يوليو سنة ١٩٤٦ يوما مشهودا - على النقيض تماما من مثيله فى سنة ١٧٧٦ - اذ انزل العلم البريطانى عن القلعة ، وانسحبت القـوات البريطانية من المدن المصرية الى منطقة القنال .. واستمرت المفاوضات بين « بيفن » والحكومة المصرية .. بينما دعا الوفد الشعب الى الجهاد لاستكمال سيادته ، فثارت الاضطرابات فى القاهرة ، واعتقلت الحكومة الكثيرين .. ثم تآلف جيش للتحرير القومى رحل الى منطقة القنال فى اوائل سنة ١٩٥٢ ليجاهد ضد القوات البريطانية (١) .. وازداد الهياج عنفا ، حتى استحال الى فوضى من تدبير شيوعيين اجانب .. وقام حريق القاهرة !

وبعد ذلك بستة شهور ، أمسك فريق من الضباط بزمام الأمور ، واضطر فاروق الى النزول عن عرشه لابنه .. وبعد عام ، أعلن مجلس الثورة انتهاء الملكية وقيام الجمهورية .. ومرت عام آخر ، ثم وصلت بريطانيا ومصر فى سنة ١٩٥٤ الى اتفاق نظم جلاء القوات البريطانية خلال عشرين شهرا .. ووقعت الاتفاقية رسميا فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ فى البهو الفرعوى بمبنى البرلمان بالقاهرة .

واذا كان عام ١٩٤٦ يمثل انبثاق فجر مرحلة جديدة من تاريخ مصر ، فان عام ١٩٥٤ يمثل اليقظة .. يقظة مصر من سباتها .

(١) يبدو ان المؤلف لم يسمع اطلاقا عن الفاء المعاهدة ، اذ لم يورد ذكرا لما سبق ذهاب جيش التحرير الى منطقة القناة .

بنك مصر

أصغر شركات الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد
واستغل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرير
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق الحقل المصرى فى مصمار الحياة العملية

سكك حديد جمهورية مصر

تعمل المصلحة على تيسير توصيل الطرود المتصدرة من أية محطة بقطارات البضائع الى القاهرة والاسكندرية للمنازل أو المتاجر بسياراتها بالقاهرة والاسكندرية وضواحيهما ، مقابل رسم زهيد يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ مليم للطرد الواحد .

ولزيادة الايضاح يمكن الاستعلام من :
ادارة الحركة والبضائع (تعاريف) تليفون رقم ٧٧٣٦٤
محطة القاهرة تليفون رقم ٤٩٦٨٢ و ٧٩١١٢ و ٥٦٦٩٧
محطة الاسكندرية تليفون رقم ٢٦٢٣١ و ٢٠٠١٠ و ٢٣٢٠٧

مجلس بلدى بور سعيد

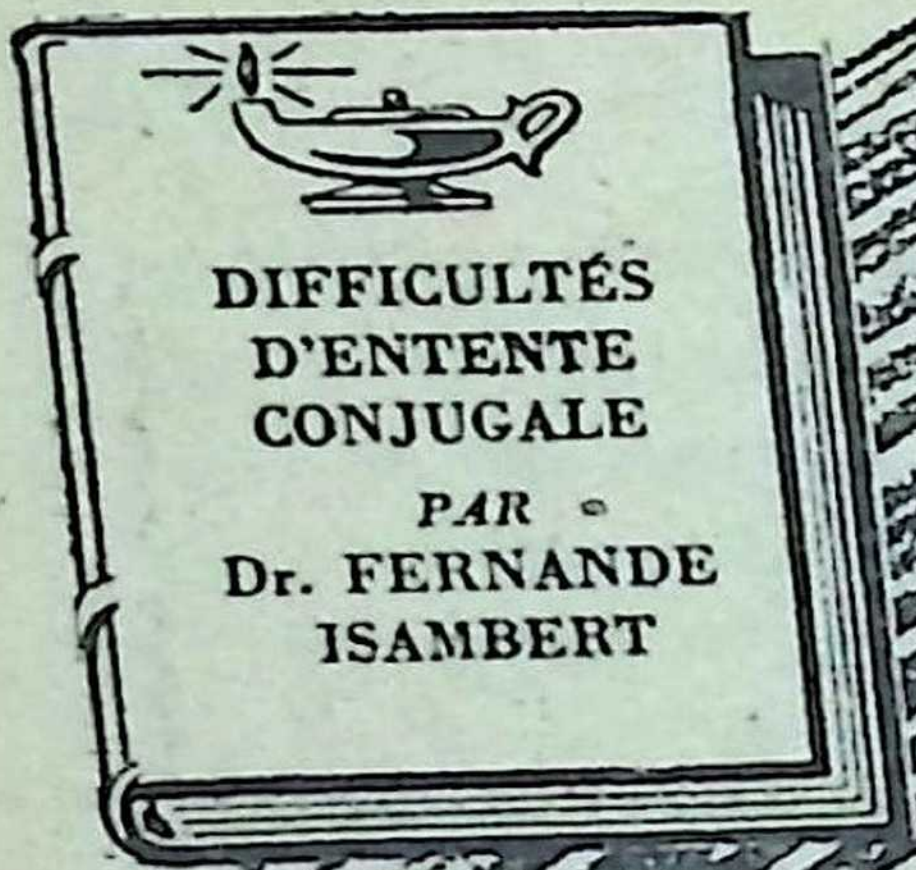
يشهر مجلس بلدى بور سعيد فى المزايدة العامة العلنية عن تأجير مجموعة خلع الملابس بمنطقة الحمامات المتوسطة بالشاطىء ومشمولاتها : خمسة أدشاش وحجرة خلع الملابس للرجال ومثلها للسيدات ، وملحقاتها دورتا مياه وبوفيه وتراس ، وذلك عن مدة موسم الصيف القادم (خمسة أشهر) من أول مايو سنة ١٩٥٦ الى نهاية سبتمبر سنة ١٩٥٦ ، بالشروط الموضوعة لهذه المزايدة والتي يمكن الحصول عليها من توريدات البلدية بعد تسديد ثمنها وقدره ٢٥٠ مليمًا ، خلاف اجرة البريد . وتقدم طلبات صرف هذه الشروط على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليمًا . فمن يرغب الدخول فى هذه المزايدة ، فعليه ان يحاين المنشأة أولا قبل جلسة المزاد التى ستعقد فى ٢٢ يناير سنة ١٩٥٦ بديوان البلدية .

٣٣٥١

بلدية الاسماعيلية

تطرح فى المناقصة توريد ثمانى عربات بكليش . وتطلب الشروط والمواصفات من البلدية على ورقة تمغة فئة خمسين مليمًا نظير مبلغ مائتين وخمسين مليمًا عدا خمسين مليمًا أجور البريد . وتحدد لفتح مظاريف العطاءات بديوان البلدية ظهر يوم الخميس ٢ فبراير سنة ١٩٥٦ . وكل عطاء يرد بعد هذا الميعاد أو غير مرفق به تأمين ابتدائى بواقع ٠/٠٢ من قيمته لا يلتفت اليه .

٣٣٤١



DIFFICULTÉS
D'ENTENTE
CONJUGALE

PAR
Dr. FERNANDE
ISAMBERT



مدرسة الوالدين

صعوبات التفاهم الزوجي!

للباحثة الفرنسية
الدكتورة فرناند ايزانبيير

تلخيص : كلیم أبو سیف

اقرأ هذا البحث .. قبل أن تتزوج !

♦ كل انسان معرض لأن .. يتزوج !!

.. فهل يحتاج الأمر الى التفكير واعمال الذهن ، قبل الاقدام على تلك التجربة « المفروضة » على اولاد آدم وحواء ؟! .. وهل ينبغي على المرء أن يجرى « اختبارا » لمن سيكون له شريكا فى الحياة ، استهدافا للوصول الى فهمه وادراك عناصر شخصيته ، ومن ثم الاستقرار على رأى نهائى : اما المضى فى طريق الزواج الى غايته .. او العدول عنه ؟! .. فاذا ارتأى المرء أن « لامفر من الزواج ! » .. وجاءت الليلة الكبرى .. فعلى أى وجه يكون تصرفه ومسلكه ، ازاء شريك حياته ؟! .. حتى اذا هدأت جذوة الايام الاولى للزواج ، وروت فترة « الاشتياق » ظمأها .. على أى وضع تكون العلاقات بين الزوجين ، وأى شكل تأخذه ، لتحافظ على ذكرى الايام الحلوة الاولى ؟!

تلك الاسئلة الدقيقة ، ذات الحساسية الخاصة ، وكثير غيرها ، يسوق اليك الاجابة عليها ، هذا البحث الذى اقدمه لك اليوم .. فتعال نعى تلك الدروس ، لنكون على بينة من الامر .. قبل أن نخطو خطواتنا الحاسمة .. ونتزوج !

الوقاية .. خير من العلاج .. قبل الزواج !

♦ اذا اردنا لاولادنا تربية صحيحة ، فانه يتعين علينا ان نعيش معهم ، وان لا نغيب عنهم طويلا ، وهذا يوجب علينا بالتالى أن نكون على درجة من الاتزان بحيث لا ندع لمشاكلنا الخاصة - نحن الآباء والامهات - سبيلا الى احداث أى اضطراب فىنا قد يؤثر على اولانا وعلى اشرافنا عليهم .. وبغير هذا فاننا نصبح معرضين لمضاعفات كثيرة ، مبعثها تأثير مشكلاتنا الخاصة فى الاسلوب الذى نتبعه فى تربية اولادنا .. فهذه ام ، تحس بان انعدام عطف زوجها عليها ينقص عليها حياتها ، فاذا بها تتطلب من ابنها ان يتغالى فى حبها والمطف عليها ، ليهوضها بذلك عن عطف زوجها الذى افتقدته ! .. وهذا اب يعجز عن فرض شخصيته على زوجته ، فيحاول ان يشغل كاهل ابنه بالاوامر الصارمة عساه ان يظهر بذلك امام زوجته بمظهر الرجل القوى صاحب السلطة فى منزله ! .. وهذا اب آخر يضيق ذرعا برؤية اطفاله يروحون ويجيئون امامه فى المنزل ، ويضيق بصياحهم وضحكاتهم على السواء ، وذلك بدافع الاحساس بالغيرة ، لان وجودهم يحتكر التفات زوجته ورعايتها ، وهو يريد هذه الرعاية وذلك الالتفات لنفسه !

ومما تقدم نستنتج أنه من الواجب العناية بالبحث في اتفاق امزجة الزوجين وعدم التنافر بين عقليهما وعقلينيهما ، على أن يكون ذلك « قبل مولد الاولاد »
 أى « قبل الزواج » . . . والا تعرضنا لتلك المناقشات والمشاحنات التى كثيرا ما تقع بين الأزواج ، والتى لا تتفق مطلقا مع الجو الذى يجب توفره لتربية الاولاد تربية سليمة صحيحة .

وهذا يقودنا الى أن نعرض الامور الاربعة الآتية :

أولا : فترة الخطبة

ثانيا : ما يجب على الشاب أن يعلمه عند الزواج

ثالثا : ما يجب على الفتاة أن تعلمه عند الزواج

رابعا : مسلك الآباء قبل الاقدام على تزويج أبنائهم

فترة الخطبة

• ان الذى يحدث أثناء فترة الخطبة عادة هو أن لا يهتم الخطيبان بمعرفة أحدهما الآخر المعرفة الدقيقة الواجبة . ومرجع ذلك الى أن أحد الخطيبين لا يرى فى الآخر أثناء تلك الفترة الا الصورة التى طالما تخيلها وتمناها ، وحلم بها ، لا الصورة الحقيقية المجردة من الخيالات والالوهام . وتلك هى المخاطرة الاولى التى يتعرضان فيها معا لمفاجآت وخيبة أمل لم تكن فى الحسبان .
 هذه الصورة الخيالية تجعل كلا من الخطيبين يفسر ما قد يبدو فى تصرفات الآخر من شذوذ وأخطاء خلال تلك الفترة ، بأنه نوع من الغرابة ، أو قل من الطرافة ، فى الامزجة أو التصرفات ، لا أنه خطأ أصيل فى الطبع ، أو شذوذ متمكن من نفس الطرف الآخر . ويستتبع ذلك أن تترجم النزوات والاهتزازات العصبية التى قد تصدر عن الخطيبين بأنها ناجمة عن الموقف غير الطبيعى الذى يوجدان فيه أثناء تلك المرحلة ، وأن موقف « الاشتياق » هذا هو الذى يسبب تلك الفورات ، فاذا ما تم الزواج فإن كل الذى رايناه يحدث أثناء فترة الخطبة سيزول ، وسنوف تعود الاعصاب الى هدوئها ، والامور الى نصابها !
 وقد يكون هذا صحيحا . الا أنه ليس من الحكمة أن نقيم دعائم أسرة على أسس من التخمين ، لان صقل الزوجين عملية دقيقة يجب لتمامها أن يجتازا معا فترة عصبية ، وهو يقتضيها صبرا طويلا ، وتجاوزا من كل منهما عن كثير من حقوقه ، وذلك ليكتمل الانسجام والتوافق بين أخلاقهما . . . وكل هذا لا يتم الا بعد عدة سنوات !

وهناك أنواع كثيرة مختلفة ، متباينة ، متضاربة من الزيجات . فمن الخطأ أن نحاول وضع قواعد عامة ثابتة للزواج ، أو أن نتخذ من حالات معينة قواعد ثابتة نطبقها على سائر الحالات ، فما يطبق على زوج قد لا يصلح تطبيقه على

زوج آخر . فسن الازواج او الزوجات ، والاوساط التي نشأوا فيها ، وآراؤهم السياسية ومعتقداتهم الدينية . . كل هذه أمور تؤثر في الحياة الزوجية ، ولكن من أشق الأمور أن نجعل منها قواعد راسخة لا تتغير ، يصلح تطبيقها على الجميع . فبينما نرى انتلاف زوجين ناتجا في بعض الاحيان من توافق مزاجيهما وعقليتيهما ، اذا بنا نلاحظ أن اختلاف مزاجي زوجين آخرين وتباين عقليتيهما هما سبب هذا الانسجام الذي يخيم على حياتهما الزوجية !

على انه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن عنايتنا لا ينبغي أن توجه الى الاخلاق الشخصية للزوج او الزوجة فحسب ، بل يجب أن تتجه كذلك الى عادات كل منهما ، وذوقه الذي اكتسبه من الوسط المحيط به او الاسرة التي نشأ فيها ، او الصداقات التي يعقدها مع الآخرين . .

فاذا أنت جردت نفسك من تلك الصور الخيالية الزاهية التي تستحوذ على لبك أثناء فترة الخطبة ، فتعميك عن النفاذ ببصيرتك الى جوهر الطرف الآخر الذي سيكون شريك حياتك ، فمن يدرى . . فانك قد تجد نفسك - بعد الزواج - أمام حقائق قد تبدو لك مروعة ومنفرة الى حد بعيد !

زواج الهرب ! LE MARIAGE D'EVASION

• ما معنى هذا التعبير ؟! انه يعنى ذلك الزواج الذي يلجأ اليه الاعزب ، هربا من العزوبة ، وما فيها من متاعب ، ووحدة ، وملل . . أو هربا من الضغط الذي قد يكون واقعا عليه من الاسرة التي يعيش فيها !

هذا النوع من الزواج قل أن يحالفه التوفيق ، بل يكاد الفشل أن يكون

من نصيبه دائما . . اذ لا يمضي طويل وقت حتى تظهر الحقيقة سافرة للزوج ، وهي انه أراد أن يتحرر من أسرة تحد من استقلاله وتسلب حريته ، ليقع في براثن أسرة أخرى ترغمه على الحد من هذا الاستقلال من جديد !

وهناك عدد من الزوجات يزيد كثيرا على ما نتصوره ، يتم على أثر قراءة بعض المجلات ، أو بعد المراسلة الطويلة أو القصيرة ! . . مثل هذا الزواج يعرض صاحبه لملاقاة مخلوقات خيالية ، تأخذ بعد الزواج في التبلور رويدا رويدا ، حتى تظهر آخر الامر وقد اختلفت عن الحقيقة اختلافا عظيما !



وكثيرا ما يتزوج الشاب أو تتزوج الفتاة ، وليس عندهما الرصيد اللازم من العواطف التي هي بمثابة السياج المتين الذي يحمي الحياة الزوجية . فلا يتزوج الشاب ليصبح زوجا بحق ، ولا تتزوج الفتاة لتصبح زوجة بحق . . . فالفتاة تتزوج وهي تحتفظ في تلافيف نفسها بالرغبة في أن تظل - رغم زواجها - الفتاة التي تتطلب من زوجها أن يكون لها بمثابة الأب لا الزوج ، فإذا أحبه فانما تحبه حب الأب الذي عرفته في طفولتها أو الذي لم تسعدها طفولتها بمعرفته ! . . . كذلك يتزوج الشاب وقد احتفظ في ثنايا نفسه بالرغبة في أن يظل - رغم زواجه - الابن الذي يتطلب من زوجته أن تكون له بمثابة الأم ، التي كانت تحميه دائما وترسم له الطريق إلى الحياة ، وتسبغ عليه العطف الذي يحتاجه لطمأنينة نفسه واستقرارها !

وكل هذه أخطاء كبيرة . . . فالرجل يبحث عن امرأة . . . لا عن طفل يصدر إليه أوامره ونواهيها ، أو عن أم تدله وتحميه !
 . . . والمرأة تبحث عن رجل . . . عن رفيق يؤنس وحشتها ويملا حياتها ، لا عن رجل يدافع عنها ضد الآخرين !

إن المخلوقات البشرية تقترب من بعضها بعضا لتستمتع بالحياة مجتمعة . . . فإذا رغب إنسان في الانفراد وحده بالمتعة ، بدأت أولى الخطوات التي تقوده إلى خيبة الأمل وفصم أواصر الحياة الزوجية . ويستتبع ذلك أن تصبح العلاقة الجنسية بين الزوجين علاقة بهيمية تكون ماثارا لماسى عنيفة أو مهازل مخزية . وعندئذ يصاب الحب بنكسة لا شفاء له منها !

فإذا تزوجت وأنت تنوى الاستئثار لنفسك بأكبر قسط من المتعة فأنت على عتبة سوء تفاهم سيرين على حياتك الزوجية حتى نهايتها . . . لأن الزواج الحقيقي إنما هو الرغبة الصادقة في إسعاد الشريك الآخر ، والسعادة الحقيقية هي التي تنعكس عليك أشعتها المنبعثة من سعادة الشريك الآخر ، وليست هي التي تنفرد بها وحدك وتتذوق طعمها بمفردك !

إن الشباب يزول بما فيه من جمال . . . والمزايا المادية التي قد تكون من آثار الزواج تزول أيضا . أما صفات الإنسان الأصيلة ، المتغلغلة في أعماق نفسه ، وما يتحلى به من نشاط وقوة وحيوية وسخاء ، فهي باقية لا تزول لأنها جوهره الحر الذي لا زيف فيه !

كيف يتم الانسجام بين الزوجين ؟

• لا يتم الانسجام بين الزوجين إلا إذا عقدا العزم معا على الأمور الآتية :

١ - أن يسيرا بالحياة الزوجية في طريق النجاح . ولكي يتم لهما ذلك يتعين على كل منهما أن يصمد أمام الفشل الذي قد يلاقيه فيها ، وأن لا تثبط همته أو يدع اليأس يتسرب إلى نفسه ، ولو أصيب بخيبة أمل أو مر بلحظات قاتمة !

٢ - أن يتفهم كل منهما عقلية الآخر ويستعرض آراءه الخاصة . فإذا حاول كل منهما أن يتمم الآخر ، فانه سوف يعثر فيه على ما ينقصه . . ولكن بشرط أن لا تختلط آراؤهما ومبادئهما ووجهات نظرهما اختلاطا يطفى على رصيده كل منهما ، من آراء ومبادئ ووجهات نظر مستقلة ، ومثل عليا خاصة !

٣ - أن يساعد أحدهما الآخر في مهمته في الحياة ، وذلك بأن يجعله سميدا، ويعاونه على أن يتمتع بقسط من الحرية ، وأن يفهم قدر نفسه !

هذا ويعتبر الزوجان مسئولين أمام أولادهما ، عن الاستيثاق من قوة صحتها وسلامتها قبل الزواج ، لان من العسير أن يجد الزوجان ، بعد الزواج ، متسعا من الوقت للعناية بصحتها . . وإذا وجداه فقد يكون ذلك بعد فوات الأوان ! وللزواج التزاماته الكثيرة المرهقة ، التي قد لا تتوفر مع القيام بها ما يحتاجه الزوجان من الراحة التي هي الدعامة الأولى للصحة الجيدة والمزاج الرائق . ومن ثم فعليهما أن لا يثقلا كاهليهما بالأعباء التي لا مسوغ لها ، والا حرما لذة تلك الراحة الضرورية لصيانة صحتها

ولا يسع الخطيبان في تلك الفترة الا التفكير فيما قد ينتج زواجهما من أطفال . وهما يحسان بأنهما أمام مخلوق « مجهول » يحاول أن يشق طريقه الى الحياة . . وهذا « المجهول » المثلث بلثام الغيب ، هو الذي يدفع الفتى والفتاة الى الاقتراب أحدهما من الآخر ، والامتزاج أحدهما بالآخر . وان تصور مولد هذا الطفل ، لهو الاحساس الذي يستشعره الخطيبان دفعة قوية من دفعات الحياة ، تدفع بهما الى الامام ، وتفسيرا قويا يوضح لكل منهما مافى الحياة من جمال ، وحقيقة ما يكمن في حبهما من قوة . . « خالقة » !

ان شعورا بعدم الرضى ، يستبد بالمرأة طالما هي لم تتم رسالة الحب في الحياة . . تلك الرسالة التي لا تتم الا اذا رأت نفسها وبجانبها وليدها الذي تعتبره أجمل مقدمة تمنحها ، لا الى زوجها فحسب ، بل والى الانسانية جمعاء ! وينمو الطفل ، ويتفتح كالزهرة ، اذا جاء الى هذه الدنيا وليد الرغبة فيه والشوق اليه . . ومن الملاحظ أن نمو مثل هذا الطفل يفوق نمو الطفل الذي يأتى الى الحياة نتيجة ظروف قاهرة لا دخل لرغبة الزوجين فيها !

ان قدوم الطفل الى بيت أبويه لا يضيرهما فى شيء ، ولا يؤذى مشاعرهما المتبادلة كزوجين ، بل انه - على النقيض - يعتبر الدعامة القوية التي يقوم عليها حبهما ، وهو المعين الذي يفيض عليهما فيفمرهما بالحب والعطف والحنان !

ما يجب أن تعلمه عند الزواج

♦ للمرأة كيان يختلف ، فى عناصره واتزانها ، عن كيان الرجل كل الاختلاف . فهي تجتاز فى كل شهر فترة « الطمث » - الحيض - التي تكون أثناءها - وقبلها بصفة خاصة - معرضة لانفعالات من الناحيتين العصبية والنفسية ، تجعلها أكثر

شعورا بالحاجة الى عطف الرجل . وسبب ذلك الاختلال العصبى والنفسانى التى تصاب به المرأة ، اثناء تلك الفترة ، هو أن « الطمث » دليل على أن « بويضة » الرجل اللقاحية لم تتقابل مع « بويضة » المرأة ، والا فلو تقابلا لحدث « الحمل » ولما واتاها « الطمث » ! . فالرجل أكثر استقرارا من المرأة من هذه الناحية ، ومن ثم يجب ، والحالة هذه ، أن لا يلقي باله الى ما قد يصدر من زوجته ، وخلال تلك الفترة على الاخص ، من اساءات ليس من السهل عليها أن تتجنبها ! . . . الا انه يخطئ مع ذلك اذا هو اصطنع مع المرأة اسلوب الترفع والاحتقار ، ازاء تلك الهفوات التى قد تصدر منها فى لحظات الضيق أو التعب ، لأن مبعث تلك الاساءات التى تصدر عنها قد لا يكون راجعا الى تلك الظاهرة الجسمانية فحسب ، وانما قائم فى دخيلة نفسها على شعور بعدم الرضاء - نحو زوجها - انطوت عليه نفسها !

لا تعبئ فى وجه زوجتك !

♦ على أن اهم ما يجب أن يفهمه الرجل ، هو أن الحساسية النسائية ، فى انطلاقها وتدفقها ، اقوى واغزر من حساسية الرجل . فكلمة صغيرة تنم عن العطف والتشجيع تستطيع أن تهدئ من ثائرة يوم يبدو فى مظهره أغبر عاصفا . وليس معنى ذلك أن يكتفى الرجل بقول كلمة رقيقة عابرة ، فقد تكون تلك الكلمة غير كافية لتبديد ما يخيم على جو البيت من غيوم !

ويميل بعض الأزواج الى الصلح مع زوجاتهم بعد فترات من العبوس ، لأنهم يستشعرون فيه شيئا من اللذة . . . خاصة وان الصلح ينتهى آخر الامر بالقبلات ثم بالنسيان ! . . . ولكن على الزوج أن يعلم أن فترات العبوس هذه ليست الا تصدعات تهز قوائم بناء الحياة الزوجية ! . . . فالمعاكسات والمشاكسات التى تقع بين الأزواج ، تحدث اثرها المؤلم دائما ، وعلى الاخص اذا اضطرد وقوعها بانتظام . وقد يجد فيها الزوج طرافة ، فيحلو له أن ينتقد تصرفات زوجته أمام أصدقائه فى بعض الأحيان ، دون أن يقصد من انتقاده هذا الى أى مرمى خبيث ، بل كل ما يرمى اليه هو الدعابة ليس غير !

حقيقة أن المرأة قد تأتى أحيانا فى بيتها تصرفات مضحكة أو أفعالا يجافىها التوفيق . ولكن على الرجل أن لا ينسى انها قد بذلت فى تلك الأعمال مجهودا صادقا مخلصا استغرق كل وقتها وجهدها ، بالرغم مما قد يعتورها من خطأ . ومن ثم ينبغى أن لا يجعل هذه الأعمال موضع سخرية ، وأن لا يجعل زوجته بالتالى موضع تندر أمام الآخرين !

ان أعمال المرأة اليومية فى بيتها تسير عادة على وتيرة واحدة . وكثيرا ما لا يقدر الزوج تلك المجهودات التى تبذلها زوجته لاتمام الأعمال المنزلية اليومية ، والمواظبة التى تستلزمها فى اتمامها حتى لا تتراكم ، وذلك بالرغم مما يحسه من أثر تلك الأعمال بالنسبة له ولأولاده . والزوجة من جانبها تتقرب

عودته الى المنزل ، وترى في هذه العودة الترويح الوحيد عن نفسها من مشاق يومها . فهي تنتظر في لهفة رؤية علامات الرضى مرسومة على وجه الرجل الذى تعيش معه ، وتعهد كل شيء لارضائه . فمن القسوة اذن ان يعتبر الرجل تلك الاعمال ، أعمالا طبيعية لا تستحق منه لفتة خاصة !



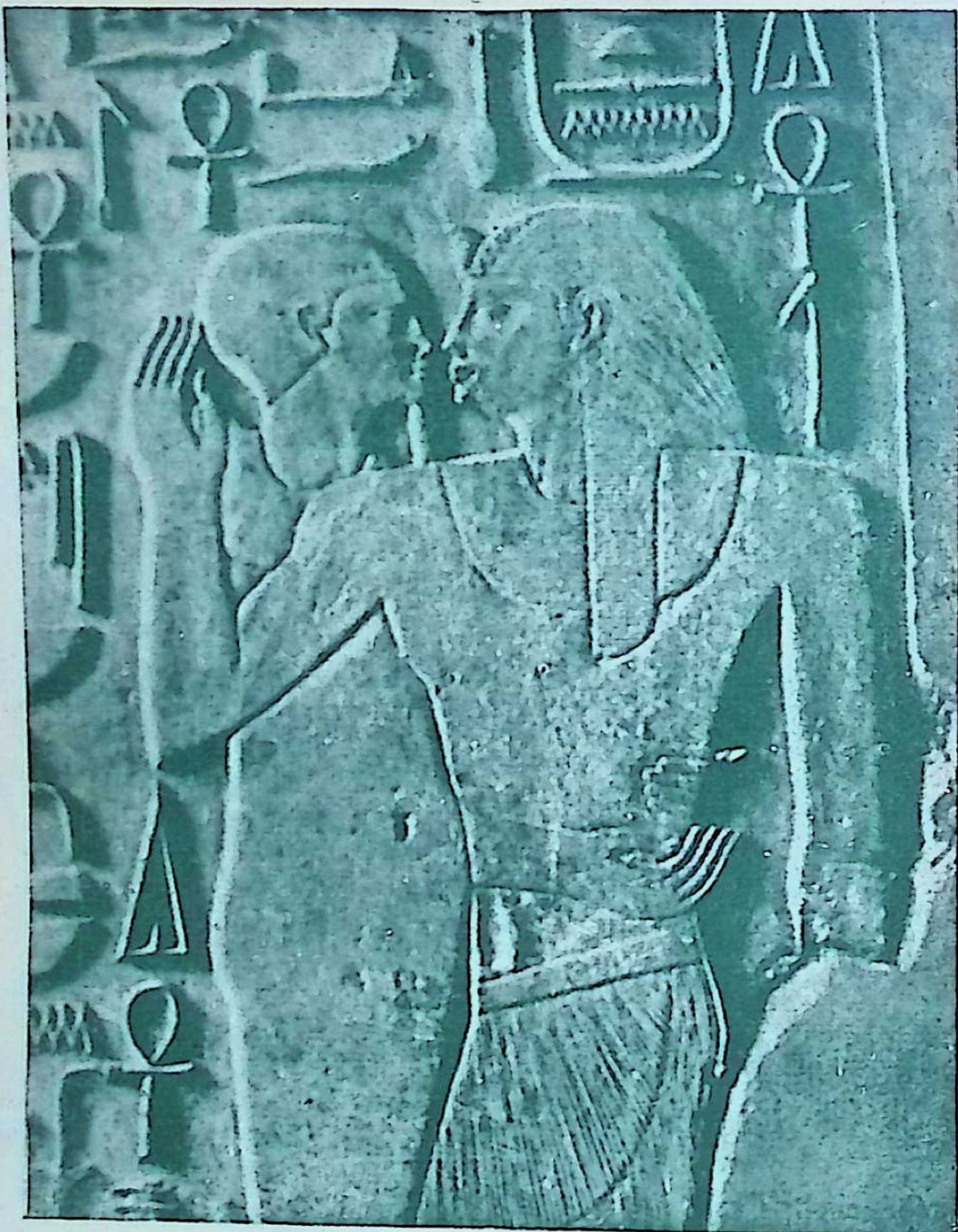
واذا كانت المرأة ، من جانبها ، لا تقدر المتاعب التى يصادفها زوجها في عمله ، فقد يكون مرجع ذلك الى ان زوجها لا يشركها معه في أعماله . اما اذا احاطها علما بظروف عمله اليومى فانها لاشك تزيد من احترامها وتقديرها لمجهوداته ، كما يزيد كذلك تقديرها

لحاجته الى الهدوء والسكون والراحة اذا ما عاد الى بيته . .

ان المرأة وفيه بطبيعتها ، الا اذا استثنينا اولئك اللواتي يتركن زمام قيادهن للفرائز ، او للرغبة فى الحصول على المال . . على ان خيانة المرأة ، كثيرا ما يكون مبعثها خيبة أملها فى زوجها ، ورغبتها فى العثور على شخص آخر تجد فيه مزايا الرجل الذى تصبو اليه ، والذى تظل وفيه له فى أطواء نفسها ! ونحن نعترف بأنه ليس من السهل ان يقتنع الرجل بمنطق المرأة فى هذا الصدد ! اما من ناحية الرجل ، فللوفاء عنده معنى آخر يتلخص فى اكتفائه بعدم خيانة زوجته جسديا مع امرأة أخرى . . وبعد ذلك فهو حر فى أن يبحث خارج منزله عن سائر انواع المتع والمسرات ، حتى اذا عاد الى منزله بالغ - بحسن نية - فى اظهار حبه لزوجته من الناحية الجسدية ، وهو لا يدري أنها تتألم أشد الألم عندما تلاحظ انه يخصها بالوفاء الجسدى ، ويوزع وفاءه الروحى على غيرها !

صعوبة « التأقلم الجنسى » بعد الزواج !

♦ والواقع ان الشاب الذى يكون قد مارس قبل زواجه ، حياة اللهو مع الفتيات غير المحصنات ، يجد صعوبة اذا حاول التغلغل فى عقلية الفتاة المحصنة ! . . وكثيرا ما يخلط الشاب بين الفتاة « الوقور » وبين الفتاة « البكر » فيعتقد ان الصفتين ملتصقتان مع أن هذا ليس صوابا دائما . فقد تكون الفتاة وقورا ومع ذلك فهي ليست « بكرا » ! . . كما أنها قد تكون « بكرا » ولكن ينقصها



« بتاح » اله (ممفيس) مرتديا معطفه الذى تبرز منه ذراعااه ، وهو
يحتضن الملك « سيزوستريس » الاول (الاسرة الثانية عشرة ، حوالى
عام ١٩٣٠ ق م)



رغم فراغ العينين الشاغرتين ، فان عذوبة الابتسامة التي تبدو على قناع
الملك «تحتمس الثالث» تجعل من هذا التمثال تحفة من تحف فن النحت
المصرى القديم (الاسرة الثامنة عشرة - عام ١٤٨٠)

الوقار ..! فالحفة وعدم التدقيق في هذه الامور قبل الزواج ، قد تنجم عنهما تلك الصعوبة التي يعانيها الزوج الشاب في « التأقلم الجنسي » بعد زواجه ..! ذلك انه قد يكون ، قبل الزواج ، قد استساغ طعم الشهوات الجنسية الفائرة المعقدة ، واعتاد عليها .. فاذا تزوج من فتاة مستقيمة الخلق ، « محتشمة » ، احس بخيبة امل لقلة اختباراتهما في هذه الناحية ، الامر الذي يدفعه الى المقارنة بينها وبين غيرها ، ومن ثم يتولد في ثنايا نفسه حنين الى تلك العلاقات الشهوانية الجامحة القديمة ، التي طالما استعذب مذاقها قبل الزواج ! والفرق بين الرجال والنساء في هذه الناحية يتمثل في ان الرجال يقيمون وزنا كبيرا لهذه الامور ، ويقارنون بين الانواع المختلفة من النساء ، من الناحية الجنسية الحسية .. بينما لا ترى المرأة في هذه العلاقات الا اسلوبا من اساليب التعبير عن حقيقة العاطفة الانسانية وجوهرها .. اما الناحية الجنسية فهي بالنسبة للمرأة ثانوية !

على ان هناك مسألة هامة اخرى ، وهي انه يجب على الرجل ان يصارح خطيبته بماضيه ، ويكشف لها عنه ، وليثق ان تلك المصارحة لن تؤثر في اخلاصه لحاضره ووفائه له ، كما انها لن تؤثر في تقدير خطيبته له .. فهي اذا عرفت ، اثناء فترة الخطوبة ، بماضي خطيبها ، فعلى الرغم من الالم الذي يستولي عليها - وهو امر طبيعي - الا انها مع ذلك تكون على استعداد لنسيان ماضيه ، بكل ما يحتويه . وهي تفضل ذلك على معرفة هذا الماضي بعد الزواج ، على انه حقيقة تفرض عليها فرضا !

وعلى اية حال يظل كل من الفتى والفتاة في مهاب عواطف شديدة تتقاذفهما ، قبل ان يقر قرارهما ويثبتا على حال . وهما لن يصبحا صالحين للزواج ، الا عندما يستشعران معا رغبة قوية ، ملحة ، في الامتزاج النهائي !

شباب اليوم .. أفضل من شباب الامس !

• ومن الأقوال الدارجة التي كان لها أكبر تأثير على الشباب في الماضي قولان : الاول يذهب الى انه « يجب ان يجد الشباب متنفسا له ! » .. والقول الثاني هو انه « يجب على الشاب ان يشبع ضراوة جوعه ! » وقد بلغ من تأثير مثل هذه الأقوال على الشباب ، انهم ذهبوا يطبقونها عمليا ! اما شباب اليوم ، فهو كثيرا ما يتوق الى الاحتفاظ بحيويته كاملة ، وطاقته الجنسية تامة ، مدخرا اياهما لحب كبير ..! ويجب ان لا نخلط بين هذا الاحساس - او هذه الرغبة في الاحتفاظ بالحيوية والطاقة الجنسية وعدم تبديدهما - وبين الحياء الذي قد يستشعره بعض الشبان مع النساء . فليس هناك تعارض بين الاثنين . كما يجب ان لا نخلط بين ذلك الشعور وبين الخوف من الأمراض الذي قد يمنع بعض الشبان من « التنفيس » عن طاقتهم الجنسية .. لان الرغبة في الاحتفاظ بحيوية الشباب لحب كبير ، تبعث على القوة ، بينما كبت العاطفة الجنسية ، خوفا من الأمراض ، يسبب اختلال توازن الشبان !

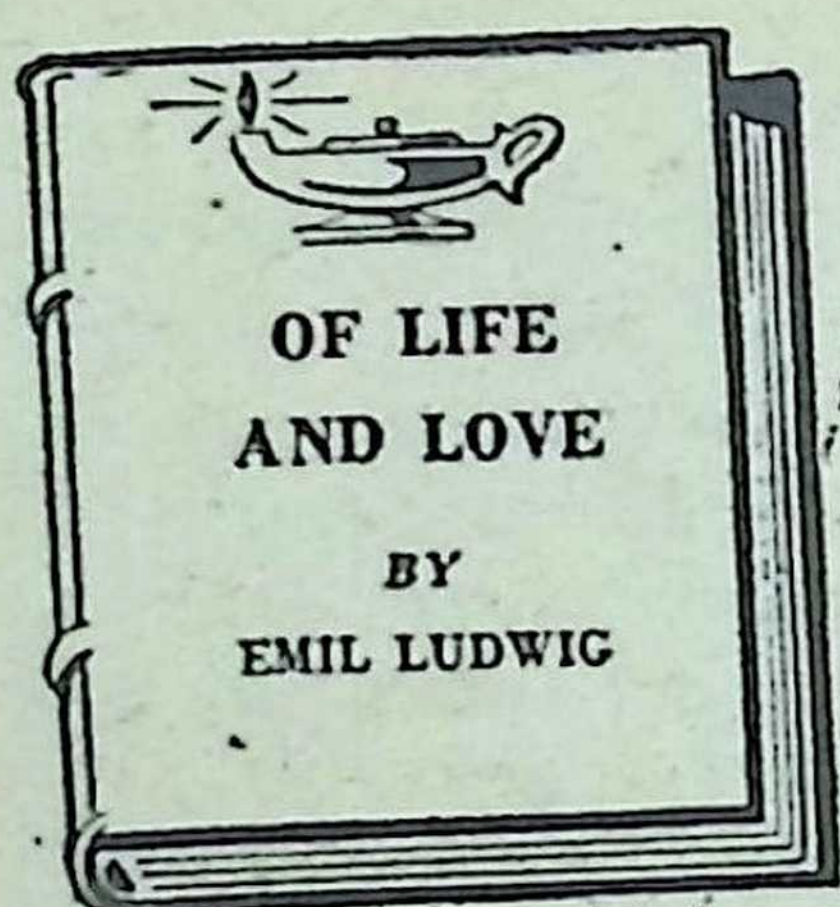
احترسوا .. ليلة الزواج !

• قد يعتقد الزوج الشاب أن له الحق في الحصول على كل شيء من زوجته ، وبذلك يرتكب شططا كبيرا . فهو يظن أن له أن يستمتع بكل الدائد الجسد في الحال ، ناسيا أن تلك المتع لم يحصل غيره عليها الا بعد تجارب استغرقت سنين طويلة . فهو يطمع - اذا ما اختل بزوجه - في مشاركة زوجية كاملة ، لا يعتورها أي نقص أو فتور من أية ناحية من النواحي ، بينما أن حواس المرأة الشابة لا تستيقظ الا بالتدريج . وعلى الزوج أن لا يبدي دهشته من هذا التدرج ، مخافة أن تصدمه المرأة بنفورها وصددها ! .. أما سبب هذا التدرج في حواس المرأة ، فهو أن العلاقة الجنسية كانت تقدم اليها وهي فتاة ، على أنها من الأمور المخجلة . ولذا فإنها ، في بداية زواجها ، ترضخ لهذه العلاقة لارضاء زوجها فقط ، ثم تأخذ حواسها في التدرج رويدا رويدا ، وفي التيقظ شيئا فشيئا ، حتى تصبح العلاقة متبادلة وممتزجة أتم امتزاج !

ويحسن في بعض الأحيان أن لا يتم « الاتصال الزوجي » في يوم الزواج بالذات ! .. لا لأن يوم الزفاف يكون في العادة مرهقا بطقوسه وتقاليده فحسب ، بل لسبب آخر أكبر أهمية وأبعد أثرا .. ذلك أن اتمام « الاتصال الزوجي » في ليلة الزفاف ، بينما تلعب برأس الزوج نشوة الخمر ، أو اتمامه نتيجة الافراط في التعبير عن فرحه وسروره ، قد يثير اشمئزاز الزوجة من ناحية ، كما قد يحدث أسوأ الآثار في صحة وذكاء الطفل الذي يأتي ثمرة هذا الاتصال الجنسي العنيف !

ان أحاسيس المرأة أكثر انبساطا وانطلاقا ، وأطول أمدا في حياتها العادية من أحاسيس الرجل . فهي تحس برابطة جسدية حقيقية مستمرة تربطها بزوجها ، حتى وهو بعيد عنها . ولكنها قد تصدم أحيانا عندما ترى أن لحظاتها العذبة الهنيئة مع زوجها ، تنتهي دائما بنفس الصورة ، وبخاتمة واحدة لا تتغير ! .. وقد يدفعها هذا إلى أن تشمر شعورا داخليا بأن في الحياة الزوجية أساليب أخرى ممتعة غير تلك الأساليب المتكررة ! .. ومن ثم فواجب الزوج أن يثبت لها ، من ناحيته ، أن للحياة الزوجية أساليب كثيرة « لا أسلوبا واحدا لا يتغير » ! .. وعليه أن يسهر على حبه ويرعاه وينميه .. فالحب يخفى إذا اعتبرناه أمرا مقضيا وحقا مكتسبا .. وهو يزدهر وينمو إذا امتلأت رثاه بالهواء والفرد جناحيه للانطلاق ، ويتزعزع ، إذا ترك الزوجان حياة العزلة وفتحا أبواب بيتهما للآخرين ، وحاولا أن يجعلوا من سعادتهما ، لا جدولا صغيرا ، بل ينبوعا يفيض بالخير عليهما وعلى الآخرين سواء بسواء !

وفي العدد القادم ، أقدم لك الجزء الثاني والآخر من هذا البحث القيم ، وهو يتناول بالشرح ما يجب على الفتاة أن تعلمه عند الزواج ، ومسلك الآباء قبل زواج أبنائهم .



دنيا الحب والسعادة!

للكاتب الألماني الشهير "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادي

فتاة اليوم .. بين المال والشباب !

♦ يلقي بعض الآباء أولادهم وبناتهم - وخاصة في بعض البلاد الشرقية - أن الحب جريمة « عظمى » ، وخطيئة لا تغتفر ، حتى إذا ما كبروا ، وأن لا كمامهم القضية أن تتفتح ، لم يجدوا في حنايا صدورهم إلا قلوبا خاوية ، تنبض .. بالفراغ !

ولقد اختلفت آراء الكتاب والمفكرين في « الحب » .. أهو طريق مفروش بالزهور ، يؤدي إلى جنة السعادة .. أم هو منحدر شديد الوعورة ، يحف به الشوك ، وينتهي إلى جحيم الشقاء والتعاسة ؟
على أن الكاتب الألماني الأشهر «اميل لودفيج» ، قد عالج هذا الموضوع من زاوية واقعية خاصة . وقد قرأت حتى الآن فصلين من كتابه الذي الخصة لك : « دنيا الحب .. والسعادة » .. وها هو ذا يعود إليك اليوم ليحدثك - في فصل جديد - عن الحب بين الأمس واليوم ، وعن زواج الحب وزواج المصلحة ، وفي مدى تفضيل فتاة اليوم للمال على الشباب !
.. فتعال نجول معا في « دنيا الحب .. والسعادة » !

عندما يخرج الحب عن طبيعته

♦ يخرج الحب عن طبيعته في ثلاث حالات : في التباعد (أو الحب الخيالي) ، وفي الغيرة ، وفي المغالاة أو التهالك على الحب !

الحب الخيالي :

وأسعد الناس هم المتباعدون (أو المحبون الخياليون) ، فالشاعر « جيته » كان متباعدا عن الحب ، مدبرا عن ميدانه ، ولهذا احتفظ بعد سن الأربعين بشباب قلبه ، وتطلعت نفسه إلى الحب ، فتعلق وهو في تلك السن بامرأة شغفته حبا فتزوجها .. وعاش هذا الرجل بعد زواجه نشطا ، قادرا ، منتجا ، بحيث يمكن الجزم بأنه لو لم يتزوج لما عاش كما عاش ، ولما أنتج ما أنتج .. رغم أنه ظل متباعدا في شبابه ، ورغم أنه هجر وتباعد أيضا في أواخر عمره !

وكذلك كان بيتهوفن ، من شيمته التباعد .. فهو لم يمارس الحب الجسدي إلا لأنه كان يحب حبا بطريق المصادفة ، وفي صورته الحشنة الفطرية ، ومن ثم تسامت عواطفه إلى أعلى

ذرى النشوة الروحية حين خلد حبه بأنغام الموسيقى .. ولقد كان يعرف هذه الحقيقة ويعتز بها ، الا فى ساعات ضعفه التى كان فيها يحسد الشبان الذين يستأثرون دونه بالفتيات الحسان ، أو يسلبونه اياهن !

على أن العواطف التى يبذلها المتباعدون لا تقل - سواء من حيث الكم أو الكيف - عن العواطف التى يبذلها أهل الوصال واللقاء .. فالمحب الذى عاش حياته يتبع ظل امرأة تأبأها عليه الظروف ، انما يعيش معها فى أحلامه وخيالاته ، آمنا شر غدر الايام .. بل ان الاوهام التى يدثره بها خياله ، تحميه من خيبة الأمل التى تصدمه بها دنيا الواقع فى غير رحمة ! .. وما أكثر المذكرات الخاصة وقصص الحب التى تحدثنا عن عشاق يعيشون حياتهم فى عزلة ، فيبذلون من الرقة والحنان وهم يقبلون يد امرأة فى لحظة خاطفة ، أو وهم يقضون ساعات كاملة فى انتظار أن تكتحل أعينهم برؤية ظلها يخطر أمامهم من بعيد .. يبذلون فى ذلك من الرقة أضعاف ما يبذل غيرهم من العشاق « الواقعيين » فى وصالهم الطويل السعيد !

وقد عبر « جيته » عما يحسه المحب الخيالى ، بهذه العبارة : « ان الحب الذى أراه يوجه الى رجل آخر ، يبدو لى أجمل وأقوى سحرا من الحب الذى قد يوجه الى أنا .. فعندئذ أستطيع أن ألمس سلطان القلب العاشق ، بل ألمس القوة والحرارة اللتين ينبض بهما قلب المحب ، دون أن يفسد حبه لذاتى جمال هذا المشهد ! »

الغيرة :

♦ وقد تقترن الغيرة بالحب الخيالى ، أو تكمن بين طياته ، فليس أدرى بالغيرة ولا أشقى بها من الذى ذاق متعة أن يكون محبوبا ..! ونار الغيرة الصفراء ذات اللهب الاحمر تشيع فى النفس عواطف شتى : الرغبة ، والحسد ، والكبرياء ، والانتقام .. وهذه العواطف جميعا تتكاتف لتأكل قلب المحب وتنهشه !

وندر من الناس من وهب من الحكمة والفلسفة ما يلهمه في تلك الساعة أن يسكن الى نفسه ليستطلعها سبب هذه العاصفة الهوجاء التي أثارها الغيرة !! ولو أنصف المحب لسأل نفسه: ألم يتجاهل منذ زمن طويل رغبات المرأة وأمانيتها ؟ ألم يدعها تفلت من بين يديه بحماقته وأنانيته ، وتستجيب للحب الرائع الذي يحيطها به شخص غيره ؟ انه الآن يلقي بالذنب كله على عاتق المرأة ، وهو يسعى في الوقت نفسه للتصغير من شأن المنافس الغريم : من شأن مظهره ، وثيابه ، وسلوكه ، ومواهبه !! وهو اذ يرى نفسه قد حرم من حب كان يعنى في نظره أكثر مما يتصور ويدرك ، لا يخطر له قط أن ينقص من تقديره لنفسه ، وينزل عن جزء من كبريائه ، لكي يتسنى له أن يرى أنه هو وحده المسئول عن القاء هذه الفتاة بين أحضان رجل آخر !

أما المرأة فتعاني من الغيرة أشد وأقسى مما يعاني الرجل ، فهي في أوقات خلوتها وشرودها تحاول أن تتصور تلك المرأة الأخرى التي اجتذبت رجلها ، وتظل تفكر في ذلك الشيء الحفى الذي اجتذب الرجل الى غريمتها والذي لو توفر لها لعاد الرجل اليها من جديد . ثم تتذكر التضحيات التي قدمتها للرجل خلال مدة عشرتهما ، وتكاد تنفجر من الغيظ لتذكرها أن فتاة أخرى - لأنها تمتاز ببشرة مختلفة عن بشرتها ، أو شعر يختلف عن شعرها ، أو قوام يختلف عن قوامها - قد اجتذبت رجلها وأنسته كل تلك الذكريات التي كانت كفيلة بأن تربط بينهما الى الأبد !

ولأن المرأة بوجه عام معتادة على البغضاء ، ولأنها لا تملك أن تستخدم السلاح في الانتقام ، فانها أمهر من يستخدم الحيلة والمكيدة للنيل من غريمتها ، والكيد لها ، وفضح أمرها ! ولكنها اذ تفعل ذلك فانما تتجه الاتجاه الخطأ . وقد صور شكسبير في براعة كبيرة غيرة النساء وحقدهن ، في وصفه لحالة كليوباترا حين علمت بزواج أنطونيوس في روما !

التهالك على الحب :

♦ أما التهالك على الحب فهو أيضا يطفىء من بريقه ، ويقضى - الى حد كبير - على مقدرة الاستمتاع به . ولعل دون جوان هو المثل العتيد على صدق ما تقول !

على أن أمثال دون جوان نادرون في زماننا هذا ، لانه ينبغي أن يتوفر لهم الثراء الفاحش ، والفراغ الطويل . . . في حين أن الازمة المالية العالمية التي عقيبت الحرب ، والفلاء الفاحش ، لا يساعدان أحدا في هذه الايام على أن يتمثل بدون جوان !
أما « دون جوان » الانثى ، وأقصد المرأة التي لا غرض لها غير التلاعب بقلوب الرجال ، كما كان دون جوان يتلاعب بقلوب الغواني ، فلعلها كانت على مر الزمن أقل وجودا من « دون جوان » الرجل ! فسر سحر المرأة دائما أنها لا تسعى وراء محبتها ، وانما تدعو الرجل في صمت وسكون الى أن يسعى وراءها ، ويجد في اثرها !

الحب بين أمس واليوم !

♦ واذا كان علينا أن ندرك ، حق الادراك ، التغير الحديث الذي طرأ على الحب ، فلسنا نحتاج الى أكثر من أن نقارن بين مشاكلنا وتلك المشاكل التي عرض لها « ستندال » في كتابه الرائع المثير « في الحب » ، الذي روى فيه الكثير من مغامراته الخاصة ومغامرات أصدقائه . . . فهو يبدو عصريا جدا في مطالبته بحرية الفتاة والمرأة ، ولكن فهمه لطبيعة الحب والعواطف المتصلة به كما حدثنا عنها ، يؤكد تأكيداً قاطعاً انه كان متأثراً الى حد بعيد بالتقاليد الاجتماعية السائدة في زمانه . فما الذي تغير ما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٩٤٠ من الأسس الاجتماعية التي يقوم عليها الحب ؟

أولاً : النظام الاجتماعي . . . فهذا المجتمع - الذي كان يحيا وفقا لاهواء عشرات من المركيزات واللوردات الذين يعتقدون انهم حكام الدنيا - كان من قوة التأثير بحيث أن قصر

بكنجهام كان يعزل السفير اذا تزوج من مطلقة ! .. بل ان تأثير هذا المجتمع تجلى منذ أعوام قليلة ماضية عندما نزع التاج من على رأس ادوارد الثامن الذى أثر الحب والزواج من مطلقة عادية من أفراد الشعب (مسز سمبسون) على تاج الامبراطورية البريطانية ، فاستحق أن يلقب بأعظم (جنتلمان) فى العالم !

وبينما نرى « ستندال » يقرن معظم أمثله التى أوردها بأسماء لماعة من ذوى الحسب والنسب واللقب ، لان أخلاق هؤلاء - أو بالاحرى انعدام أخلاقهم - كانت لها كل القوة الرمزية فى ذلك الوقت ، من حيث التأثير على المجتمع ، نجد من يقابل هؤلاء عندنا اليوم ، وهم كواكب السينما ونجومها ، وأبناء الملوك غير المتوجين !

السيارة غيرت تقاليد الحب ؟

♦ وهناك فارق آخر بين مجتمعنا والمجتمع القديم ، هو ان الصناعة والعلم قد أشاعا الحركة فى عش الغرام الهادى ، وأصبح من الميسور حتى لأبناء الطبقة المتوسطة أن يتنقلوا من مسكن الى مسكن ، ولا يستقرون على حال ! .. كما ان السيارة حررت المرأة ، أو بتعبير أدق منحتها مزيدا من الحرية ، ففى طفولتنا كان الخطيب يعاشر خطيبته ثلاث سنوات دون أن يجروا أو يجد الفرصة لانتزاع قبلة منها ! .. وفى اوائل القرن العشرين كان من المحال أن يصطحب خطيب خطيبته الى دار السينما أو الملاهى .. أما اليوم فالفتاة يسعها أن ترتحل وحدها الى أى مكان تشاء ، ومع رجل ليس بخطيبها ، وان تقود السيارة بنفسها ، وان تقبل أى رجل تشاء ! .. كما صار فى وسع الرجل اليوم أن يخاطب خطيبته بالتليفون عبر المحيط .. وفى وسع



المرأة ان تصل الى مكان رجلها في اسرع وقت ممكن ، بالطائرة .. وبالاختصار ، لم يعد المال او الجاه اليوم ضروريا للحب ! (١) وعامل آخر كان يؤثر على نمو الحب في الماضي ، ذلك هو الادب او القصص ، التي كان يختار لها ابطال من ذوى الاخلاق الرفيعة المثالية ، حتى ان المحبين كانوا ينمون نزعتهم العاطفية ويرقونها عن طريق هذا الادب الرفيع . لكن هذا العامل قد انعدم اليوم ، فلم يعد القلب يستقبل نفحاته او يتلقى ارشاداته من كتب .. وقصص اليوم ، او ادب اليوم ، قد يدفع الفتيان والفتيات الى ان يتجسسا ويتآمروا (٢) ، ويصبحوا من الاخصائيين في حرفة من الحرف ، ولكنه لا يلقنهم شيئا عن الحب ! على ان هذا العامل ليس بذى اهمية قصوى ، فالحب يعلم نفسه بوسائل اخرى : ففي الماضي كانت سترة الجندي المزرکشة اللماعة تجذب عين الفتيات وقلوبهن .. اما اليوم ، حيث صار الجنود الذين يرتدون ستراتهم الرسمية يعدون بالملايين ، فلم يعد لاحدهم تأثير على قلب المرأة او الفتاة ، اللهم الا ان يكون قائد غواصة ، اتى من ضروب البطولة والجرأة والشجاعة ما اثار خيال المرأة !

هل تفضل نساء اليوم المال على الشباب ؟

♦ وقد كان للفتوة والحيوية دائما اثرهما الكبير في نفس المرأة ، ومن ثم كان اعتداد الرجل برجولته ، واعترازه بها .. لكن المرأة اليوم أصبحت تتجاوز عن التجاعيد التي تلوح في وجه الشيخ اذا كان يعلو في المركز او المنصب او الجاه ، او اذا امتاز على الشباب بالظرف وخفة الروح ! وفي الماضي كان الرجال يقتتلون ليحظوا باعجاب المرأة ! .. اما اليوم فان الرجل الذي يفوز بجائزة الزحلقة على الجليد ، او سباق السيارات ، لا يفوز من المرأة ببعض الاهتمام الذي يحظى به منها العالم الفاتر بجائزة نوبل ! .. بل ان المرأة اليوم أصبحت من بين العوامل التي على الرجل ان يتفوق عليها ، لانها - لأول مرة في التاريخ - أصبحت تنافسه في عمله وفي مجال اكتساب رزقه !

وثمة فارق آخر بين أمس واليوم : فحق الوالدين في تقرير مصير ابنتهما ،

(١) وهنا ايضا ينبغي ملاحظة اختلاف التقاليد بين بلد المؤلف وبين بلادنا العربية .

(٢) ومرة اخرى ، يغلب على المؤلف هنا الجو « الاقليمي » الذي ساد المانيا او امريكا نتيجة للحروب العالمية ، وتقدم الصناعة ، وازدياد النزعة المادية !

وتهديدات الكنيسة ، والخوف من العار ، كل هذه العوامل كانت تضع المرأة في مصاف « الحريم » الذى اشتهر عن الشرق .. ومن ثم كان عقوق الآباء ، والفضيحة ، هما محور القصص الفرامية فيما مضى .. أما اليوم ، فالانتحار بسبب الحب قد يروقنا اذا شاهدناه على « الشاشة » ، عندما يرتدى الممثلون ثياب أبناء المصور الماضية .. وأما الفضيحة ، وعقوق الآباء ، فيوشكان ان يصبحا « غير ذوى موضوع » ، لان كل فتاة أصبحت حرة من القيود « المادية » و « القضبان » التى تحول بينها وبين الفرار من الرجل الذى تختاره .. ولأنه لم يعد مألوفاً ان يقف الوالدن فى طريقها ، الا بالقدرة الذى يذلان لها فيه النصيحة ..

أما حديث الرجل للنساء فيما مضى عن الأشياء التى كانت بعيدة عن متناول بصرهن وسمعهن ، كالفروسية ، والحملات الانتخابية ، وغيرها .. فلم يعد يثير اهتمام المرأة ! .. وبدلاً من انشغال الفتيات فيما مضى بالعزف على البيانو أو رسم اللوحات ، أصبحت الفتاة تستلقى اليوم فى عرض الطريق تحت سيارتها لتربط جزءاً من أجزائها الدقيقة ! .. والمرأة التى كانت تبدأ يومها باحتساء فنجان من الشيكولاته الساخنة وهى متدثرة فى فراشها ، أصبحت تبدأ يومها الآن بمزاولة الرياضة فى ثياب الاستحمام ، ثم تأخذ حماماً بارداً !

هل الزواج يقتل الحب ؟

♦ ومنذ خمسين عاماً ، كان الحب يبدأ سلبياً من جانب المرأة ، أو فى شيء كثير من الحذر والتردد ، حتى انها كانت عن غير قصد منها تدع عشيقها ينتظر طويلاً .. أما اليوم فان رقصة واحدة من رقصات « التانجو » كافية جداً للمرأة كي تقول للرجل ، أو للرجل كي يقول للمرأة ، كل ما يريد .. أو تتأهب هى لتمنحه كل ما يريد ! .. فلقد انقضى زمن السهاد ، وعهد أحلام اليقظة ، ووقت التساؤل ، والتوقع ، والشك .. اذ أصبح كل شيء يمكن نيله اليوم بأسرع ما يمكن .. ونتيجة لهذا كله لم يعد قصب السبق يفرى ببذل الجهد ، بل لم تعد له قيمة اطلاقاً ! .. والواقع ان المدنية عملت كل ما يمكن عمله لتجريد الحب من ملاذه ومثيراته ومباعجه !

وليس معنى الزواج القضاء على الحب ، وان كان من الصعوبة بمكان تجنب هذا المصير ! .. وهى مشكلة لا يبدو ان لها حلاً معلوماً ، مشكلة تحويل نار متأججة الى نور هادئ مضى ! .. أو بعبارة أخرى ان المشكلة تتلخص فى معرفة الجواب عن هذه الأسئلة المحيرة : كيف يتسنى للانفصال الأول لآيام ما قبل الزواج ان يبقى ويتجدد على مر سنى العمر ؟ .. وكيف يتسنى لتلك الحالة النفسية البهيجة التى لازمتنا خلال نزهة لطيفة فى حديقة غناء ، فى

فجر يوم من ايام شهر ابريل ، ان تحتفظ ببهجتها ورونقها عبر ايام الصيف القائل الى نهاية الشتاء القارس المجذب ؟ .. اليس هذا امتحانا عسيرا لمقدرتنا على الاحتمال والصمود لتقلبات الجو وتذبذب مقياس « البارومتر » القلبي عاما بعد عام ؟!

نعم ، كيف يتأتى لزوجين آدميين يختلفان نشأة وطبقة ، وقد تربيا في ظل عقائد وتقاليد وتعاليم مختلفة ، وبالاختصار لم يجمعهما الا انهما من جنسين مختلفين : ذكر وانثى .. كيف يتأتى لهذين الزوجين الان ان يصمدا أحدهما الى جانب الآخر في وجه المخاطر والأقدار طيلة حياتهما ؟! .. ان الزواج لا شبهه بالمرح : كلاهما يتطلب النظام والدقة من حيث المواعيد ، والواجبات ، والحقوق ، والمنوعات .. ولهذا يشب الخلاف دائما بين المخرج والممثل ، او بين الزوج والزوجة !

زواج الحب .. أم زواج المصلحة ؟

♦ وهنا قد يقول قائل : « او ليس من الأفضل اذن ، ان يخضع المرء في زواجه لأحكام العقل ، ويقدر الظروف والملايسات حق تقديرها ، فينحى عامل العاطفة الجنسية جانبا وينتصح بنصح المنطق ؟! .. اليس تقدير العريس - او العروس - لثروة الآخر ، ودخله ، وصفاته ، ومميزاته ، وميوله ، واهوائه ، أساسا سليما يقوم عليه الزواج ؟ ألم تسمع بزيجات قامت على أساس العقل والادراك السليم فنجحت ووفقت ؟! .. اليس من الأنسب ، في هذه الحياة ، ان يفرض العقل سيطرته على معظم ساعات يومنا بدلا من ان يفرض الحب سيطرته عليها ؟

ان هذه المناقشة التي تكاد تبدو مقبولة معقولة ، يكفي التفصيل الشخصي وحده لتقويضها ! .. فمحور البحث هو : هل يريد الزوجان ان يستخدموا قوتهم في اقامة صرح حياة منتظمة دقيقة كالساعة ، أم هل يريدان ان يرتفعا بحياتهما الى مرتبة اعلى واسمى من مراحل الانسانية ، حتى لو تضمن ذلك خطرا كبيرا ؟!

ان الاختيار بين الأمرين موكول اليهما وحدهما ، ففي الزواج ، عندما يصبح الاتصال الجنسي مجرد « عادة » ، كتناول الفداء ، او كمطلة آخر الاسبوع ، يسع حياة الزوجين ان تسير في هدوء وطمانينة اكثر مما لو كان اتصالهما مشفوعا طيلة الوقت بادراكهما انهما ينتميان الى جنسين مختلفين .. فالشيء الاوحد الجديد في الزواج هو ان يصبح في مقدور الزوجين ان يفضي أحدهما بسره للآخر .. لقد احسا مائة مرة قبل الزواج انهما ينتميان أحدهما للآخر ، لكن هذا الاحساس لم يكن يخرج عن كونه احساسا ، وكثيرا ما كان يشاطرهما اياه بعض الأصدقاء المفضلين ! .. اما بعد الزواج ، فلمجرد انها

أصبحت تحمل اسمه ، تتغير الحال فجأة : يقصدان فئدقا ، فيدخلان معا غرفة واحدة ، ويزيح كل منهما الستار للآخر عن أسرارهما .. فإذا قدمهما صديق الى الآخرين ، قدمهما معا .. وتأتى أوقات تشير فيها المرأة الى الرجل وتقول لمن حولها : « زوجي » ! .. ويدخلان المجتمع على أنهما (فلان وعقيلته) ، ويظهران معا أمام الناس وكأنهما يقولان دون خشية أنهما يجبان أحدهما الآخر وينتميان أحدهما للآخر .. وهذه الجراءة المتناهيّة في جميع تلك التصرفات ، لا تخفف من وطأتها غير السعادة .. فالسعادة وحدها هي التي تجعل حديث الزوجين عن الطفل الذي يتوقعانه ، محتملا مطلقا ! .. بل انهما ليتحدثان عنه في جراءة ومباهاة ، وكأنه لم يعد سرهما وحدهما ، بل سر الناس جميعا !

«اللياقة» ، اكسير السعادة الزوجية !

♦ وليس هناك الا كلمة واحدة يسهلها لو طبقت ان تحفظ التوازن بين هذين الطرفين الاقصيين : بين ساعات خلو الزوجين أحدهما للآخر يتطارحان الغرام ، وبين ساعات ظهورهما أمام الغرباء معا على تلك الصورة التي تكاد تكون مجردة من العقل .. وهذه الكلمة هي « اللياقة » ، أي مجموعة فضائل الصبر ، والاحتمال ، والدوق ، وحسن التقدير !

فالزواج يشبه إحدى روايات شكسبير التي يتعاقب فيها الشمر والنثر أحدهما بعد الآخر .. وحفظ التوازن واستمرار النغم الواحد خلال الرواية كلها يتوقف على مقدرة الكاتب وفنه .. كذلك التوازن في الزواج يمكن ايجاده لو أن كلا من الزوجين أنكر ذاته ، وبمعنى آخر لو أن نوع الحب الذي بينهما توحد وأصبح متجانسا لا يختلف في شيء .. فإذا أراد أن يكونا نفسين في جسد ، أو قلبين ينبضان على وتيرة واحدة - كما طالما زعمنا قبل ان يتم زواجهما - فاللياقة هنا كفيلة برعاية اتحادهما وصون حبهما .. واللياقة وسيلة ناجعة للاحتفاظ بالحب في صورته المادية أيضا - لا الروحية فحسب - فالثقة بالنفس ، أو قل الأنانية ، لا تفتأ تبدى نفسها في الحياة الزوجية ، فتجعل كلا منهما يحاول أن يتناول بالنقد أعمال الآخر .. ورب امرأة مثقفة أو ذات مهنة رفيعة قد تزوجت بمن هو دونها مركزا وثقافة ، فيقلبها اعتزازها بنفسها أحيانا وياخذ الندم على أنها أزاحت الستار عن شخصيتها لهذا الرجل الذي لا يدانيها في شيء مما وصلت اليه في الحياة ، فتعول على الانتقام لعلمها وذوقها ومركزها من هذا الرجل الذي أحبته في وقت ما ! .. وهنا تأخذ الرجل العزة بنفسه فيحاول أن يفرض سلطانه على المرأة ، ليشعرها بأنها رغم كل ما وصلت اليه ، فانما هي امرأة !

مثل هذا النزاع لا سبيل الى علاجه الا باللياقة من جانب الطرفين ..

فالياقة تشيع جوا خاصا من التطرف ، والصراحة ، والتساهل ، يحول دون انفجار الزوجين أحدهما في وجه الآخر اذا ما وضع أحدهما حذاءه في غير عناية ، أو جذب ستارة النافذة بطريقة شاذة ، أو ما الى ذلك .. ثم هي فوق كل شيء تحول دون انفجار الزوجين بسبب اختلافهما من الوجهة الجنسية ، الاختلاف الذي تتحطم عليه في الاغلب معظم الزوجات ، ويقضى قضاء مبرما على الحب ، وان تسترت حقيقة الحال تحت أسباب واهية أخرى !

من المسئول عن الخلافات الزوجية : الرجل أم المرأة ؟

♦ وفي اعتقادي أن النزاع والخلاف بين الزوجين مرجعه الى الرجل ! .. صحيح أن المرأة قد تكون مسئولة الى حد ما ، ولكنها لا تكون أبدا المسئولة الوحيدة عن قيام الخلاف . فالرجل يملك أن يحطم وحده صرح الزوجية بشتى الطرق والأساليب : قد تكون الطريقة التي يقص بها على زوجته دعابة جنسية بقصد اثارتها ، كافية لأن تلقى في روع الزوجة انه شخص فاسد الخلق لا يؤمن جانبه . أجل ، فالحد في حياة الزوجين بين الشئون الداخلية والشئون العامة لا يعدو سمك شعرة ، وكثيرا ما تثير ضحكة واحدة من الرجل شكوك المرأة وتجعلها تصمم على فصم غرى المحبة بينهما ! .. وما دامت الطبيعة قد منحت الرجل حق البدء بالتقرب من المرأة ، فعليه كذلك أن يكون البادئ بمواجهة الصعوبات التي تنجم عن الزواج ، وببذلها .. وفضلا عن هذا كله فهناك عاملان في كل زواج لا يمتان بصلة الى الحب ولا ينشآن عنه ، ومع ذلك فلهما خطرهما وشأنهما .. هذان هما المال والبنون : ولما كان الغالب أن أحد الزوجين يكتسب مقدارا من المال أكثر من الآخر ، فإن نوعا من التعالي الخلقى يطرا عليه ! .. ويقول البعض أن خير علاج لهذه الحالة هو أن يشتغل الزوجان ، وأن يتكفلا معا بالانفاق على بيتهما ، لكي ينعدم التكبر أو التعالي من جانب أحدهما .. لكن هذا ليس حلا مقبولا ، إذ أنه كفيل بأن يفقد المرأة الاحساس بأن هناك من يقوم عليها ، كما انه يسلب الرجل الاحساس بأنه قوام على المرأة ..

واذا كان عمل الزوج يقتضيه البقاء بعيدا عن بيته من التاسعة صباحا الى السادسة مساء ، وإذا كانت زوجته لا تعلم عن عمله شيئا اللهم الا قيمة المرتب ، الذي يقبضه ، فهناك خطر - وان خفى عن أعين الزوجين - يكمن في مثل هذا الزواج ! .. فليس الزوج بمعصوم - في مثل هذه الحال - عن أن يلحظ وجود فتاة في المصنع الذي يشتغل به مثلا ، ويجد لها قواما تشتهى عينه التطلع اليه ! .. أو انه ليس بمعصوم عن أن يقع بين برائن إحدى اللواتي يجدن ازالة التجاعيد من جباه الرجل .. فامثال أولئك النسوة يصعب أن يتفاداهن الرجل اذا كانت زوجته من الطراز الساكن ، البليد ،

السلبى الاتجاه !
ومن ناحية اخرى نجد ان المرأة التي
تتحدث الى الرجل في شئون عمله
وشئون المجتمع عامة ، يتلمس فيها
فهما وادراكا ، ويتبادل معها مناقشة
مهذبة مستنيرة ، فتحتفظ بجاذبيتها
للرجل .. ومثل هذه المرأة يسمعها ان
تتنقل كيف شاءت من المجال الروحي
الى المجال الفيزيى ، فلا يملك الرجل
الا ان يظل أسير سحرها ! .. فهذه
المرأة التي ناقشته قبل ان ينام عن
الوزير الجديد ، او عن التقدم الحديث
فى صناعة النسيج ، لا شك تصبح
جاذبيتها الجنسية للرجل اقوى من
جاذبية تلك المرأة التي ظلت طول النهار مستلقية على اريكة تتصفح مجلة فى

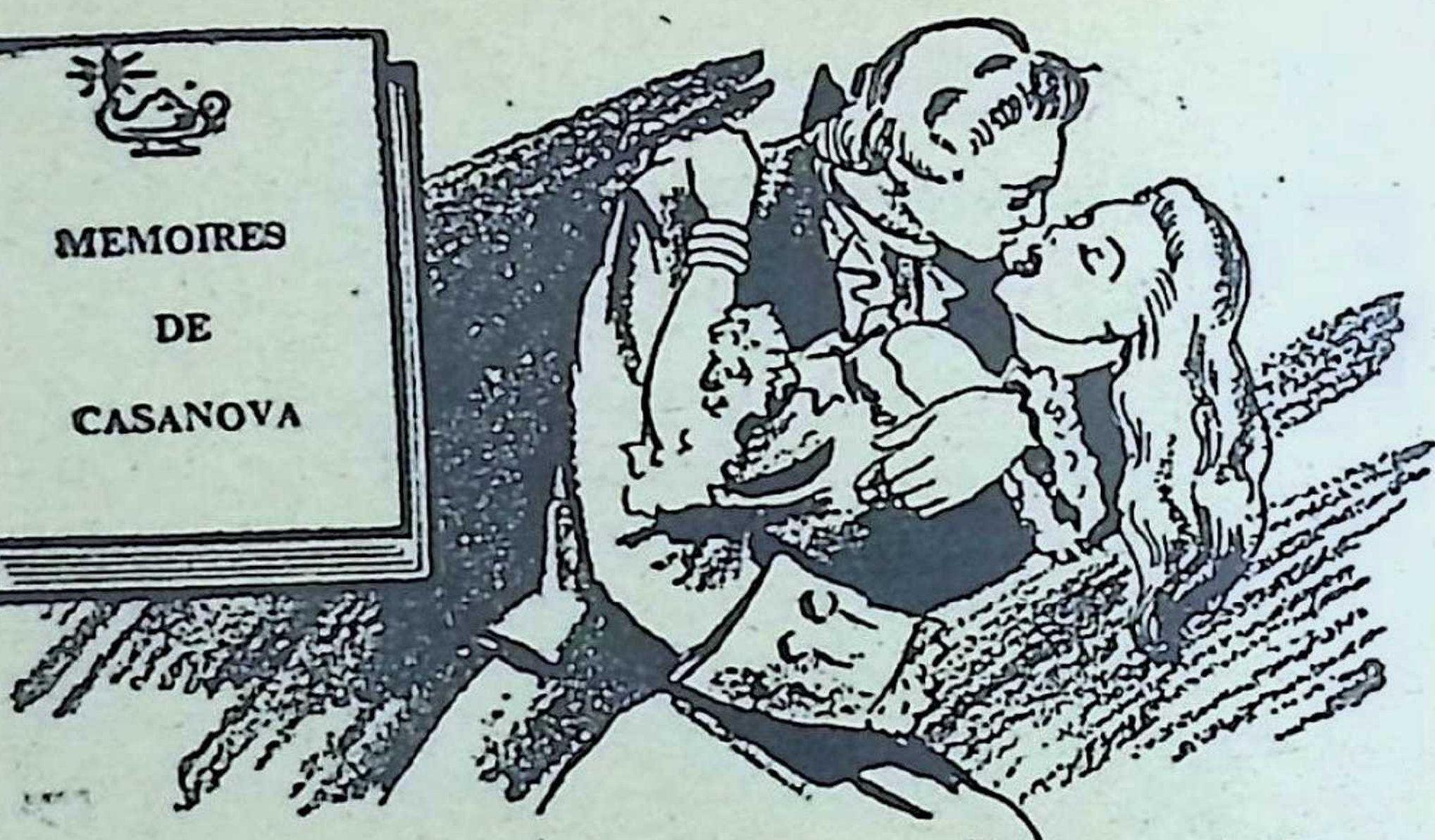


السينما او فى الأزياء !

ويبدو ان المال والسلطان والجاه ، على ما هى عليه من اغراء واغواء ، لا تفيد
الفرام ولا الحيال ولا الرومانتيكية شيئا .. فاذا لم يكن الزواج قد تم بوحي
من الاختيار الشخصى وحده ، وبמידا عن اغراء هذه العوامل ، فان الزوج
لا يامن قط جانب زوجته التي اشتراها بماله !

وفى العدد القادم ، نواصل معا سياحتنا فى «دنيا الحب ..
والسعادة !»





مغامرات في الحب والسياسة!

مذكرات كازانوفا

كتاب الفلاسفة الخالد
في أدب العشق والغفارة



ذراع ميت تقصى « كازانوف » عن البندقية !

♦ التقى « كازانوف » - عقب مغامرته السابقة - بشاب يدعى « فابري » ، أصبح فيما بعد « كونت فابري » .. وعن طريق هذا الشاب تعرف بأسرة تقيم فى ضاحية ريفية قريبة من البندقية ، فاکثر من التردد على هذه الاسرة ، وسعد بحب ابنتها .. الى ان تعرض يوما لدعابة سخيفة من شاب يونانى كان يتردد على الاسرة ، يدعى « ديمتريو » .. واثار حفيظة « كازانوف » ان الدعابة اضحكت القوم منه ، فسولت له نفسه ان يفتح قبرا ويقطع ذراع جثة حديثة الدفن ، ثم يختبئ تحت فراش غريمه .. واذا اطمأن الى استغراقه فى النوم ذات ليلة ، دس الذراع المبتورة فى احضانه ! .. وكاد الشاب ان يجن ذعرا حين فطن الى الذراع ، فرفع الامر الى القضاء . واتهم « كازانوف » بانتهاك حرمة المقابر ، فنصحه الشيخ الذى تبناه بان يغيب عن البندقية عاما .. والآن ، تعال نواصل قراءة مذكرات العاشق الاعظم ..

مبارزة .. بسبب عشيقة قديمة !

♦ غادرت البندقية ذات مساء ، فلم ينقض يومان حتى بلغت (مانتوا) . وكنت وحيدا ، احمل الكثير من الثياب والجواهر والمال .. ومع انى لم اكن اعرف احدا هناك ، الا انى كنت احظى بجرأة وصحة الشاب الذى لم يجاوز الربيع الثالث والعشرين من عمره .. لذلك نزلت فى فندق كبير ، وبعد ان تناولت عشاء فخما ، خرجت للنزهة ، ثم ذهبت الى المسرح .. وشد ما كان اغتباطى حين شاهدت « مارينا » - صديقتى القديمة التى رويت مغامرتى معها فى حلقة سابقة - تؤدى لونا من الرقص المرح ، بين تصفيق المفتونين بجمالها . ولما كان حسنها قد نضج ، فقد عولت على ان اجدد علاقتى معها ، واستاجرت من ارشدنى الى دارها فى نهاية السهرة .. فوجدتها تجلس الى مائدة العشاء مع شخص .. ولكنها لم تكذ ترانى حتى قفزت من مكانها واخذت تحتضننى وتفرقنى بالقبلات .. فقابلت استقبالها بمثله ، بعد اذ اطمأنت الى انها لم تكن تعباً بجليسها . واجلستنى الى جوارها ، فسالتها عن زميلها وقد ساءنى ان لم يبادر بتحيتى ..

واجابت : « انه « كونت شيل » من روما .. وهو عشيقى ! »

فتحولت الى الرجل اهنته بحظه واداعبه قائلا : « لا يسوؤنك هذا اللقاء الحار بيننا ، فان مارينا ابنتي ! »

فاجاب : « بل هي عاهرة !! »

قالت لي الفتاة في لهجة لاذعة : « صدقه .. فانه النذل الذي يأتيني بالرجال ! »
وقذفها الوغد بسكين فتحاشتها ، واذا جرى وراءها ، شهت سيفي في طريقه .. واتفقنا على ان نلتقي في كازينو « بومي » في اليوم التالي لنسوى حسابنا .. واذا هممت بالانصراف ، تشبثت « مارينا » بي ، واخذت في ان اصحبها معي ، فانزلتها في حجرة ملاصقة لحجرتي في الفندق . وامرت بعشاء ، ثم سالتها عن قصتها مع « الكونت شيلي » ، فروت لي انه مقامر محترف ، ينتحل لقب « الكونت » ، وقد استدرجها بلقبه المزعوم حتى اصبحت عشيقته ، فاخذ يستغلها في غش ضحاياه في الميسر ..

واختتمت قصتها قائلة : « ساكون لك وحدك منذ الليلة ، اذا كنت لا تزال على ما كنت عليه في (كورفو) من عزوبة ، وكنت لا تزال تجبنى » .. فلما اطمأنت الى حبي ، راحت تؤكد لي ان ذلك الوغد لن يفي بوعده للمبارزة .. ولكني لم اشأ ان اركن الى تأكيدها ، بل وضعت كل ما املك من مال ومجوهرات في جيبى ، وذهبت الى « الكازينو » . ولم يكن « الكونت » الزائف قد وصل بعد . على اننى صادفت فرنسيا مليحا طاب لي ان اتحدث اليه . وما لبث ان جاء الشقى ومعه شخص يحمل سيفاً طويلاً ، ويبدو عليه مظهر الاشقياء .. وذهبنا الى بقعة مناسبة .. وبينما انهمكت في مبارزة غريمي ، تحرش زميله الشقى بالفرنسي معيراً اياه بأنه يحترف الرقص ، فسرعان ما اخذا يتبارزان هما الاخران .. وانتهى الصراع بتغلبى والفرنسي على النذلين ..

١) وتوثقت العلاقات بين « كازانوف » والفرنسي الذي تبين انه راقص مشهور يدعى « باليتي » ، لم يلبث ان أعجب بمارينا ، وابتكر رقصة بديعة يظهران فيها معا .. واذا رأى « كازانوف » ان امامهما مستقبلاً في (ميلان) ، تركهما يرحلان معا ، وبقي في (مانتوا) . وحدث ذات مساء ، ان تأخر في الخارج دون ان يكون معه مصباح ، وكانت القوانين تحتم على كل من يسير في الطرق اثناء الليل ان يحمل مصباحاً ، ومن ثم قبض عليه احد رجال الشرطة . وكان ضابط البوليس شاباً لطيفاً ، مرحاً ، لم يملك ان يطلق سراحه ، ولكنه استبقاه كضيف ، ودعاه الى عشاء بهيج ، انضم اليهما فيه ضابطان آخران ، وامرأتان متبذلتان . حتى اذا فرغوا من العشاء ، انتظموا حول مائدة للمقامرة .. وخرج « كازانوف » في نهاية السهرة وقد ربح في الميسر ، ولكنه أصيب بعدوى مرض من احدى المراتين ، قضى ستة اسابيع قبل ان يبرأ منه !

مغامرة •• من نوع جديد !

♦ وقضيت عيد الفصح في (مانتوا) • وبعد افتتاح موسم الاوبرا ، تبينت ان كيس نقودي ما زال مفعما بالمال ، فقررت ان ارحل الى (نابولي) لآزور عزيزتي « تيريز » و « دونا لوكريسيا » ، و « دون انتونيو كازانوف » ، وصديقي الشاعر الصغير « بالو » واباه • ولكنني في الليلة السابقة على الرحيل ، ذهبت الى « الاوبرا » فاذا بي اصادف ما جعلني اعدل عن الرحلة • ففيما كنت اتها لمغادرة دار المسرح ، اقترب مني شاب بادرني - دون اي تعارف او مقدمات - بان من الخطا ان اقضي شهرين في « مانتوا » دون ان اشهد مجموعة التاريخ الطبيعى التى يقتنيها ابوه •• « دون انتونيو كابيتانى » •• النائب الاسقفى •

وواعدته على ان يوافيني في الصباح التالى •• وبالفعل جاء فصحبني الى حيث التقيت بابيه الذى ادركت لأول وهلة انه كان ذا نزوات تهوسية • كانت مجموعته تتالف من كتب في السحر ، وبعض التمايم والعملات القديمة ، ونموذج لسفينة نوح فى مستقرها على جبل « ارارات » بارمينيا ، وبضع ميداليات نقشت عليها صور « سيزوستريس » و « سميراميس » ، وخنجر قديم غريب الشكل قد علاه الصدا •

ولم اتمالك ان سألته عن علاقة هذه الاشياء بالتاريخ الطبيعى ، فطفق يلقي على شرحا طويلا مليئا بالمعلومات المشوشة ، حتى انتهى الى الخنجر فزعم انه عين الخنجر الذى قطع به القديس بطرس اذن مالك !

وهتفت : « وكيف لم تصب ثراء وانت تملك هذا الخنجر ؟ •• ان لذلك طريقتين : اولاهما ، انك بهذا الامتياز تملك حق الاستيلاء على الكنوز الدفينة تحت الارض ، فى البلدان الخاضعة لسلطان الكنيسة •• والثانية ، ان بوسعك ان تبيع الخنجر للبابا ، اذا كنت تملك الدليل على اصله » !

- تقصد « الرق » القديم الذى كتب عليه اصله ؟ •• اننى املكه ••

- اذن ، فلست اشك فى ان البابا على استعداد لان يعين ابنك كاردينالا

فى سبيل اقتناء هذا الخنجر •• هل لديك غمده ؟

- لا •• على اننى لا اراه ضروريا •• ثم اننى صنعت له غمدا !

- لاقيمة لهذا ، اذ لا بد من عين الفمد الذى غيب فيه القديس بطرس الخنجر

•• ان هذا الفمد موجود ، وهو فى حوزة شخص على استعداد لان يبيعه بثمن

معقول ، او ان يبتاع الخنجر •• اذ لا جدوى ولا قيمة لاحدهما بدون الآخر ••

- وكم يطلب ثمننا للفمد ؟

- الف قطعة ذهبية من عملة البندقية

- وكم تراه يدفع ثمننا للخنجر ؟

- ألف قطعة .. لأن كلا منهما يعادل الآخر فى القيمة .
وتولت الرجل دهشة مشوبة بالحماس ، ففتح درجا أخرج منه مخطوطا قديما
كتب باللغة العبرية ، واشتمل على رسم دقيق للخنجر .. فتظاهرت بالدهشة ،
وازددت تحمسا فى نصحه بشراء الفهد ، ولكنه قال :
- لا داعى لأن أشتري الفهد ، أو أن يسعى صديقك الى شراء الخنجر ..
اننا نستطيع ان نتشاطر حق التنقيب عن الكنوز الدفينة
فقلت له ان الطلسم الذى عقد بمقتضاه السحر الذى اخفيت بقوة الكنوز
تحت الأرض ، يحتم ان يكون الخنجر والفهد فى حوزة شخص واحد .. فاذا
قدر للبأبا ان يملك الاثنين ، فسيغدو بوسعه - بطريقة سحرية أعرفها - ان
يقطع احدى اذنى كل ملك مسيحي تخالجه الرغبة فى العدوان على حقوق الكنيسة !
« كازانوفا » .. الساحر المزعوم !

♦ واذا أبدى ميله لبيع الخنجر ، وعده بان آتية بالثمن فى منتصف النهار
التالى ، على ان يكون النصف نقدا ، والنصف الآخر بمقتضى سند قابل للدفع
بعد شهر واحد .. وغادرته وقد ازدادت شوقا الى المضى فى الدعابة الخادعة حتى
النهاية .. وبالفعل عدت اليه فى اليوم التالى ، فكان اول ما بادرنى به أنه
علم ان ثمة كنزا هائلا مدفونا فى بقعة من الاراضى الخاضعة للبأبا ، ومن ثم
فقد رأى ان من الافضل ان يشتري الفهد . واذا اطمأنت الى أنه عدل عن بيع
الخنجر ، اخرجت كيسا مملوا بالعملة الذهبية ، وقلت اننى كنت متاهبا لشراء
الخنجر .. واذا ذاك قال ان رجلا يقيم فى اراضى البأبا قد ارسل له خطابا
يعرب فيه عن يقينه بان ثمة كنزا تحت ارض قبو داره .. وقرا على ابنه بعض
فقرات من الخطاب محتفظا بباقي المعلومات ، ولكنى استطعت ان المح اسم قرية
الرجل ، وهى (شيزينا) .. وعاد صاحب الخنجر يقول :
- ان كل ما تمس اليه الحاجة الآن ، هو ان تتيح لى فرصة الحصول على
الفهد بضمان منك ، لآتنى لا أملك مالا .. واذا ارشدتنى الى الساحر الذى
يعرف كيف يفك السحر عن الكنز ، تقاسمت واياه الثروة
قلت له : « انا الذى أعرف السحر ، ولكن لا سبيل الى الاتفاق ما لم تدفع
لى خمسمائة قطعة ذهبية فورا ، أو ان تبيعنى الخنجر »
واذا رفض الرجل ، هددته بان بوسعى ان انتزع الخنجر منه بقوة السحر ،
فلما تحدانى قلت له : « اذن ، فسيكون الخنجر فى حوزتى غدا ، واذا ذاك لا تطمع
فى ان تراه ثانية »

يزور وثيقة عن الكنز الموهوم !
♦ وتحدى الرجل مرة اخرى مقدرتى على الاتصال بالارواح ، وطلب برهانا،

فتظاهرت بأننى استغرق فى غيبوبة ، حتى اذا افقت قلت له ان الارواح انباتنى
بن كنز غير بعيد عن (روبيكون) ، وهو مجرى قديم لنهر غاض مأؤه ،
فرجع وابنه الى كتاب تبينا منه ان هذا النهر كان يجرى يوما على مقربة من
قرية (شيزينا) .. واذا ذاك استولت عليهما دهشة طاغية .. بينما انصرفت
من لدهما .

ولم يكن فى نيتى ان اغتصب خمسمائة قطعة ذهبية من الاحمق وابنه ، وانما
كانت خطى تمثل فى ان آخذ منهما المبلغ فادفنه فى دار احمق آخر ، ثم
اتظاهر بالكشف عنه كنز قديم ، واضحك من ثلاثتهم ، فقد تولتني رغبة فى
ان اتظاهر بالدراية بالسحر . وما ان فارقتهم حتى يممت شطر مكتبة
عامة ، فاستعنت بكتاب قديم فى اختلاق وثيقة مزورة جاء فيها :

« ان الكنز مدفون على عمق سبع عشرة عقدة ونصف العقدة من سطح الأرض ،
وقد ظل فى مكانه هذا ستة قرون . وتقدر قيمته بنحو مليونى قطعة ذهبية ،
وهو فى صندوق كان « جودفرى دوبيويون » قد اخذه من « ماتيلدا » كوثنة
توسكاني ، فى سنة ١٠٨١ ، عندما أقدم على مساعدة هنرى الرابع فى التغلب
على الاميرة . وقد دفن الصندوق بيديه قبل ان يخرج ليشارك فى حصار بيت
المقدس . ونمى الى جريجورى السابع - الذى كان ساحرا ماهرا - امر الكنز
فاصر على ان يستولى عليه ، ولكن الموت حال دون تنفيذ عزمه . وفى وسع
ساحر ان يكشف عن الكنز فى ليلة يكون فيها القمر بدرا ، بان يقف وسط
الدائرة السحرية ، فيرتفع الكنز الى سطح الارض »

الساحر المسحور بفتنة عذراء ريفية !

♦ وصح ما توقعت ، اذ اقبل الرجل وابنه فى الصباح الباكر ، فاطلعتهما
على تلك السطور ، واظهرت استعدادى لأن أنزل لهما عن ربع الكنز اذا هما
ابتاعا غمد الخنجر ، وعدت الى التهديد بالاستيلاء على الخنجر ذاته .
وشيئا فشيئا ، استولى الطمع تماما على نفس الشيخ المافون فاتفقنا على
ان يهدد بالخنجر الى ابنه على ان يصحبني هذا الى (شيزينا) حيث يقوم بيت
صديقهما الذى زعم ان الكنز مدفون تحت داره .. ورحلت مع الابن ، فتلقانا
الفلاح بالترحاب .. ووعدت الرجل بان يكون له مثل نصيب « كابيتانى » ..
اي ربع ثان من الكنز . ثم طلبت ان يفرد لى وحيدى حجرة ذات سريرين ،
تتصل بها حجرة داخلية مجهزة بادوات الاستحمام .. فى الطرف الاقصى من
الدار ، على ان تزود بمنضدتين صغيرتين وثلاثة كبيرة ، وان يبحث لى عن فتاة ،
عذراء ، تجيد الحياكة ، وتتراوح سنهما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، على
ان تكون امينة على السر ، حتى لا يتسرب الى السلطات شئ من اعمالنا ..
واضفت قائلا : « لسوف نقضى ليلتنا فى فندق القرية ، على ان احتل حجرتي

هنا غدا ، فأوفد خادما امينا فى الصباح لينقل متاعى .. ولن يلزمنى سوى وجبتين فى اليوم ، وأعدك بأن أدفع نفقات اقامتى لديك اذا لم نوفق الى استخراج الكنز . وأرجو أن تضع فى البيت مائة شمعة جديدة وثلاثة مشاعل تكون رهن امرى »

وانتقلنا فى اليوم التالى الى ضيافة الفلاح الفنى ، وكان يدعى « فرانتسيا » ، فأولم لنا الساذج مادبة فخمة جعلتنى انصحته بالاقتصاد .. وبعد العشاء ، قال لى أنه لا يجد عذراء ياتمنها على السر - وفقا لتعليماتى - خيرا من ابنته الكبرى « جافوتى » التى تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها ، فقلت له :
- لا بأس .. والآن ، ما الذى يجعلك تعتقد ان الكنز مدفون تحت دارك ؟
- هناك أولا حكايات تناقلت فى أسرنا من أب الى ابن خلال الاجيال الثمانية الاخيرة .. وهناك - ثانيا - أصوات غريبة نسمعها فى الليل منبعثة من تحت الارض ..

وأظهرت اقتناعا ، ثم تماديت فى تمثيل دور الساحر ، وما لبثت أن أخرجت مفكرتى وأوهمتهم أنها كتاب سحرى دعوتهم لكى يقسموا عليه بأنهم طاهرون ، أوفياء ، كما جعلت « جافوتى » تقسم بأنها عذراء .. حتى اذا لاحظت مااعتراها من خجل ، رحت أشرح لها قيمة ذلك بالنسبة للعمل العظيم الذى كنت مقدما عليه .. ثم دعوت رب البيت و « كابيتانى » و « جافوتى » الى اتباع نظام يوجب أن يتناول كل واحد منهم عشاءه معى ليلة ، متبعين فى الدور ترتيب أعمارهم ، وعلى أن لا يتناول من يكون عليه الدور طعاما طيلة اليوم السابق على ليلة عشاءه معى ، ثم أن يسمح لى بأن أغسل جسمه فى الغرفة الملحقة بغرفتى قبل العشاء بنصف ساعة ! ..
كما اشترطت أن تنام « جافوتى » فى تلك الغرفة فى كل ليلة . ثم أعددت قائمة بلوازم دعوت « فرانتسيا » الى أن يتناعها لى بنفسه ، وكان بينها قطعة من الكتان يتراوح طولها بين ٢٠ و ٣٠ ياردة ، وخيط ، ومقص ، وإبر ، وورق ، وریش للكتابة ومداد ، وبعض الاعشاب والعطور ، وقدر من زيت الزيتون ، وغصن من شجر الزيتون يبلغ طوله ١٨ بوصة !



وقبل ظهر اليوم التالى ، كان الرجل الطيب قد احضر كل هذه الاشياء ،

فدعوت « جافوتى » الى غرفتى ، وامرتها ان تقطع القماش الى سبع قطع ، اربع منها طولها اربعة اقدام ، وقطعتان طولهما قدمان ، والقطعة الباقية تحاك على شكل «طرطور» للشوب الذى سارتديه حين اقوم بالعملية الكبرى . وطلبت اليها ان تتناول الغداء فى حجرتى ، وان تلزمها طيلة يومها ، فلا تبرحها الا حين يفد ابوها ليتناول العشاء معى . ثم تعود بمجرد انصرافه ، وتلج الفرفة الداخلية فتنام .

وسارت الامور كما اهوى . وفى المساء ، تركنى الرجل الساذج اغسل جسمه ، ثم تناول العشاء معى فى نهم ، قائلا انها المرة الاولى التى استطاع ان يصوم فيها عن الطعام يوما كاملا . . . وتحت تأثير النبيذ ، نام - بعد ان غادر حجرتى - نوما عميقا حتى الصباح . . .

« كازانوف » يظهر العذراء !!

♦ وظلت « جافوتى » طيلة اليوم التالى منهمكة فى الحياكة فى غرفتى فلم تبرحها حتى اقبل « كابيتانى » للعشاء ، ففعلت به ما فعلت برب البيت فى الليلة السالفة . . . حتى اذا كانت الليلة الثالثة ، حان دور « جافوتى » . . . وقبل العشاء بنصف الساعة ، قلت لها :

- الآن اذهبى الى الحمام ونادينى اذا ما اصبحت على استعداد كى اطهرلك كما طهرت اباك و « كابيتانى » . . .

وغسلت كل جزء من جسمها وانا اتمتم بكلمات غير مفهومة . . . وكان قوامها بديعا ، فلاقيت عناء شديدا كى لا اكشف انفعالاتى . وتعمدت ان اجرى راحتى طويلا على المواضع الحساسة ، حتى اتقدت الدماء فى عروق الفتاة . . . وكان كبح جماح نفسى من اقصى الواجبات !

واذ كانت صائمة طول يومها ، فقد اقبلت على الطعام فى نهم ، واسرفت فى احتساء النبيذ حتى تورد وجهها . وقلت لها اذ فرغت من العشاء : « ترى هل تضايقت يا عزيزتى جافوتى مما اضطررت الى عمله الليلة ؟ » فاجابت : « ابدا . . . بل اننى ارتحت اليه » !

- اذن ، ارجو ان لا تجدى مانعا من ان تغسل جسمى ليلة غد كما فعلت بك اليوم . . . وفى المستقبل ، آمل ان تنامى فى غرفتى ، حتى اتأكد من اننى ساجدك ليلة العملية الكبرى كما ينبغى ان تكونى . . .

ومنذ تلك الساعة اطمأنت الفتاة الى ، واصبحت تبتمس لى ، فقد فعلت الطبيعة فعلها فى ذهن الفتاة العذراء . . . واوت فى تلك الليلة الى احد السريرين اللذين فى غرفتى فى غير حياء ، اذ لم يعد لديها ما تخفيه عنى بعد ان وقفت امامى عارية فى الحمام ! . . . وكان من اقصى الامور على نفسى ، الا التمس

المتعة قبل ليلة .. العملية الكبرى !
وقضت يومها التالى فى الحياكة .. حتى اذا ما اقترب موعد العشاء ، ذهبت
الى الحمام ، وما ان جلست فى المفسل حتى ناديتها ، فأقبلت تفسل جسمى ..
وكانت لمساتها لطيفة ، انعشتنى ، ولكننى حرصت على أن اكبح عواطفى !

بدء التجربة الكبرى !

♦ ثم حان اليوم الذى كان مقدرا للقمر أن يكتمل فى ليله .. وفى النهار ،
استخدمت الورق فى عمل دائرة كبيرة ، واخذت أرسم عليه بالمداد أشكالا
غريبة .. حتى اذا أقبل الليل ، ارتديت الثوب الذى صنفته يدا عذراء طاهرة ،
وتناولت عصا الزيتون فى يدى اليمنى والخنجر فى يدى اليسرى ، وحملت
الدائرة الورقية ثم خرجت الى ساحة الدار بعد أن سألت « فرانتسيا »
و « كابيتانى » أن يقفا فى الشرفة حتى لا يسترق أحد النظر الى .. ثم وضعت
الدائرة الورقية على أرض الساحة ، وأوقدت نارا فى بعض الاعشاب العطرية ،
ورحت أدور حول الدائرة عدة مرات ، ثم قفزت فى منتصفها ، وأنا لا اكف
عن التمتمة والهمهمة .. وبقيت جامدا بضع دقائق ، ثم سمعت رعدا قاصفا ،
فهرفت بهوى ، واذا السحاب ينعقد فى القرب ، ولا يلبث أن ينتشر سريعا ،
والبرق يسرى فى أرجائه .. كانت ثمة عاصفة تقترب .. وشهرت
بالخوف يسرى فى جوانحى ، وقد خيل الى أن الله قد غضب على لقلة ايمانى ،
ولفجورى وجحودى .. واخذ خوفى
يزداد باشتداد الرعد وتوالى البرق .. قط
لم أعرف معنى الخوف كما عرفته فى
تلك الليلة !



وما لبث المطر أن تدفق غزيرا ..
وكانما غسل سيله الخوف عن نفسى ..
وأدركت أن الله قد شاء أن يمهلنى ، وأن
هذا الخوف لم يكن سوى لون من
الانذار !

وكنت أعرف من البداية أن فشلى
سيفتضح للجميع ، ولكننى كنت قد دبرت
الأمر .. فما لبثت أن خرجت عن
الدائرة، وسعيت الى غرفتى ، حيث أقبلت
« جافوتى » تجفف جسمى من البلل ..
ثم دعوت « فرانتسيا » و « كابيتانى »

فقلت لهما ان العاصفة افسدت العملية ، ولكنني اتفقت مع حراس الكنز السبعة من الجان على ان نرجى استخراج الكنز .. ودفعنا الى « فرانتسيا » بالورقة التي كنت قد كتبتها في المكتبة العامة في (مانتوا) قبل حضوري ، قائلا انها خلاصة المعلومات التي افصى لي بها الحراس السبعة !

السماء تنقذ الحمل من الذئب !

♦ وشعرت برهبة لم يسبق لي بها عهد .. خيل الى ان السماء كانت تنذرني كي لا امس الفتاة العذراء الساذجة ، لذلك وجدتني اتأمل مفاتن جسمها حين نامت ، دون ان تهتز جارحة من جوارحي .
واذ تنفس الصباح ، كان اول ما شغلني ، هو ان ابتعد عن الدار بأسرع ما استطيع ، لا سيما وقد خشيت ان يتسرب شيء من قصتي الى السلطات ..
او كانت عقوبة من يزعم السحر ان يحرق حيا ! .. لذلك امرت « كابيتاني » ان يبادر بحمل متاعنا الى فندق البلدة . ثم التفت الى « جافوتي » التي كانت بادية الأسى ، فاكدت لها انني عائد ، وقلت لها اننا وقد اتممنا الاجراءات الأساسية ، لم نعد بحاجة الى ان تظل عذراء ، بل لها ان تتزوج اذا شاءت !
وفي الفندق ، رددت الخنجر الى « كابيتاني » وافترقنا .. دون ان يتكبد احد منا اية خسارة .. وهكذا تدخلت السماء لتصدني عن وزر لعل عبئه كان يلازمني طيلة العمر لو انني ارتكبته !

« يتبع »

كتاب البحث الطبي

في الأمراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروستاتا التي هي سبب العلل في جسم الانسان ..
وطريقة علاجها بجهاز فهير الذي لا يستعمله الا مخترعه
مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمي جرس ٧٨ شارع
الجمهورية (ابراهيم باشا سابقا) ، ت ٥٦٢٠٤

ويطلب من المؤلف (٥٠ مليما)



« أبوللو » .. ينتقم من معارضيه !

♦ رويت لك في العدد الاسبق من « كتابي » ، بعضا من قصص « أبوللو » ، اله الموسيقى ، الذي كان يجد متعة كبيرة في خدمة البشر ، كما رويت لك بعضا من ما سبه التي أصابته بندوب كثيرة في قلبه .
أما اليوم ، فأقدم لك « أبوللو » الفيور ، الذي لا يلتفت الى النساء ، ولا يروى ظمأهن الى حبه .. ويدافع عن لقبه - كاله للموسيقى - وينتقم من خصومه ومعارضيه أشنع انتقام !
... فتعال نقرأ معا هذه الاسطورة :

زهرة .. « عباد الشمس » !

♦ كانت قيادة عربة الشمس من اهم الواجبات الملقاة على عاتق « أبوللو » .. فقد كان عليه ان يقودها ، كل يوم ، عبر السماء اللازوردية ، وبلا توقف ، حتى يصل الى الزورق الذهبي الذي كان ينتظره في نهاية رحلته الطويلة ، ليحمله سالما في طريق العودة الى قصره .
وكانت هناك عذراء صغيرة ، رائعة الجمال ، تدعى « كلوتى » ، لا تكف عن مراقبة رحلة « أبوللو » اليومية ، فى شئ من الاصرار الغريب ! .. فما ان يغادر اله الموسيقى - أبوللو - قصره فى الصباح الى ان يعود اليه فى المساء ، كانت « كلوتى » تتبع خط سيره بنظرات حاملة ، وهى تفكر فى « الرب » صاحب الشعر الذهبى ، ويملاها الشوق اليه والحنين الى حبه ! .. ولكن بالرغم من كل هذا الوجد الذى كانت تكنه لأبوللو ، لم ترق فى عين « الرب » ولم تحظ باعجابه ، الأمر الذى أدى بها الى الذبول والانطواء . وأخيرا ، أشفقت عليها

الآلهة فمسختها زهرة من زهرات « عباد الشمس » !
 بيد ان « كلوتى » - فى صورتها الجديدة - لم تنس الحبيب الذى فتنها ،
 وأدار رأسها . ولذلك نراها ، بعد أن صارت رمزا للثبات ، لا تكف لحظة عن
 ملاحقة القرص الوهاج - الشمس - وهو يشق طريقه كل يوم ، فى رحلته عبر
 السماء ، بوجه شاخص الى اعلى !

« أبوللو » يسلم منافسه حيا !

♦ وكان أبوللو - كبقية زملائه من الآلهة - يبدو تارة أشبه بالبشر فى
 الكبرياء وحب الاساءة ! .. وقد كان يفار بصفة خاصة على سمعته كاله للموسيقى ،
 الى حد انه انتقم ذات مرة انتقاما فظيما من لاعب مزمار يدعى « مارسواس » .
 وتقول الاسطورة الاغريقية ان « مارسواس » هذا ، كان قد عثر على المزمار الذى
 كانت « اثينا » - ربة الحكمة - قد اخترعته ، ثم تخلصت منه بعد ان اكتشفت ان
 النفخ فيه يشوه ملامح وجهها ! .. وقد مهر « مارسواس » فى استعمال هذا
 المزمار ، لدرجة انه تحدى « أبوللو » . وقبل الأخير التحدى ، على شريطة ان
 يكون للمنتصر مطلق الحرية فى ان يتصرف مع المهزوم كيفما اراد . فلما صدر
 حكم ربات الفن مؤيدا « أبوللو » ، شهد « الرب » وثاق « مارسواس » الى
 شجرة وسلخه حيا !

ملك .. وله أذنا جحش !

♦ كان من المنطقى - بعد هذا « الدرس » الذى لقنه « أبوللو » لمارسواس -
 ان يتعظ معارضو اله الموسيقى ، ويحسبوا حسابا لفضبه وثورته . الا ان
 « ميداس » ، ملك (فروجيا) ، شق عليه ان يستأثر « أبوللو » بلقب « رب
 الموسيقى » ، فانتهاز فرصة احتكام « أبوللو » و « يان » - رب الغابة - اليه ،
 ليقوم بدور القاضى فى مباراة موسيقية بينهما ، وأصدر حكما يؤيد فيه موسيقى
 « يان » ويفضلها على موسيقى « أبوللو » . ودفع الثمن غاليا ! .. فقد
 عاقبه « أبوللو » بان حول اذنيه الى اذنى جحش ! .. وبتأثير الخجل الذى سيطر
 على « ميداس » ، صار يخفى اذنيه تحت قبعة كبيرة .. الا انه لم يستطع
 اخفاءهما على حلاقه الذى تعهد بعدم افشاء هذا السر ، حتى لا يتعرض للانتقام
 « ميداس » الذى هدده بالموت ان هو اذاعه !

وشعر الحلاق بمرور الأيام ان السر يثقل نفسه ، وان من المتعذر عليه ان
 يتمكن من كتمانها بين طيات قلبه ، فتسلل الى أحد الحقول ، وحفر حفرة عميقة
 همس فيها بالسر ثم اهل عليها التراب ، وقفل راجعا ، بعد اذ احس بالراحة
 تعود الى نفسه ! .. الا انه كان واهما ، اذ سرعان ما نمت الاعشاب فوق الحفرة ،
 وصارت - كلما هبت عليها الرياح - تخرج أصواتا تردد : « ان لميداس الملك
 أذان جحش » !!

وسمع المارة فى هذا المكان ما كانت تردده الأعشاب ، فاذاعوه على الملا ! ..
وهكذا لم يعد السر مكتوما ، بل ذاع وانتشر ، واصبح معروفا لدى الجميع !

الصيد الذى غازل النسيم فماتت زوجته !

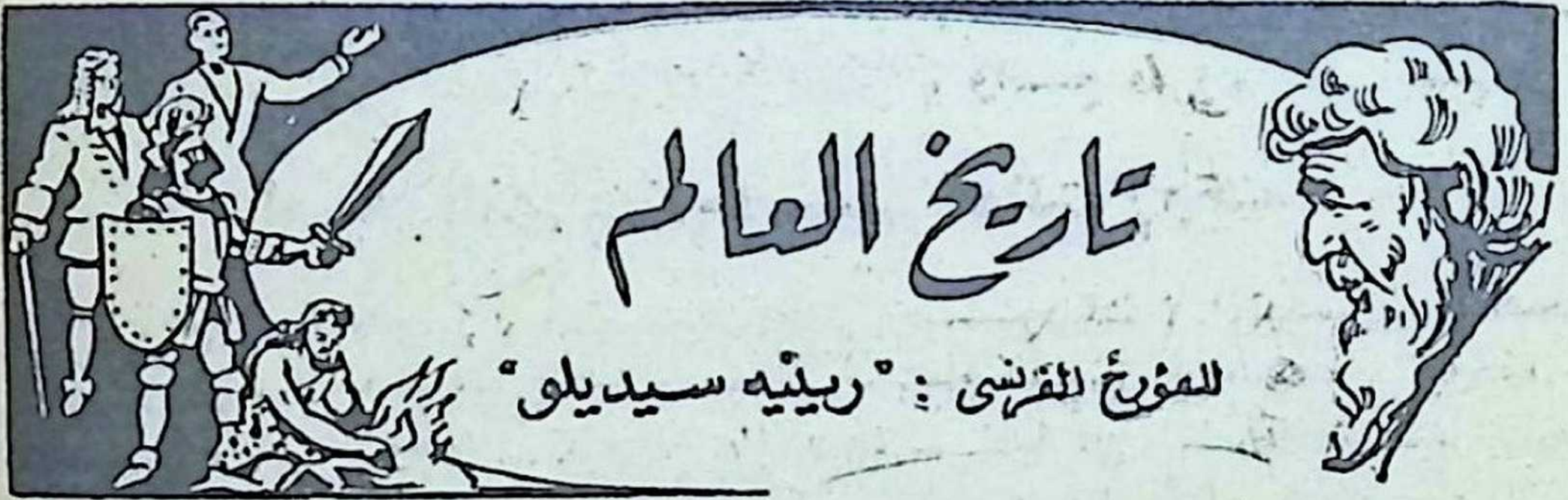
♦ احب « كيفالوس » الصيد احدى حوريات (ارتيميس) ، تدعى « بروكريس » ، وهام بها وجدا . ولما لم يستطع صبرا على شوقه ، تزوجها .
وقدمت العروس لزوجها - برهانا على حبها - كلبا من كلاب الصيد اسمه « ليلايس » ، لا يخطئ فريسته ، ورمحا « مضمونا » لا يخطئ هدفه ! ..
وعاش الزوجان يترعان فى كؤوس السعادة . بيد ان هذا لم يرق فى عين « ايبوس » - ربة الفجر - التى كانت قد حاولت من قبل ان تحظى بحب « كيفالوس » ففشلت فشلا ذريعا . ومن ثم وطدت العزم على ان تقضى على تلك السعادة الزوجية التى تجرى على مرأى منها ، فتثير فى نفسها مكان الحقد والحسد والفيرة !

وكان « كيفالوس » يقضى ايامه فى القنص .. يخرج مع الصباح ، ويظل يمارس رياضته فى الغابة ، حتى اذا اقبل المساء ، عاد الى بيته وزوجته . وقد كان من عادته - عندما يقبل الظهر فيشتد اللظى وتستمر حرارة الشمس - ان يخلد الى الراحة بعض الوقت فى مكان ظليل ، حتى اذا بسط جسده فوق الحشائش ، نادى النسيم ليرطب له جبينه المشتعل : « ايها النسيم العليل .. تعال ! .. ياربة النسيم الرطيب ، هلمى .. تعالى الى ! »

فلما سمعت « ايبوس » تلك الكلمات ، لم يدر بخلدها ان « كيفالوس » يخاطب الريح العابرة ، فسمعت الى « بروكريس » ، وانباتها ان زوجها لا يخلص لها الود ، وانه يطارح الفرام عذراء فاتنة ، يقابلها كل يوم - ساعة الظهيرة - فى مسالك الغابة المنعزلة . واعمت الفيرة بصيرة « بروكريس » ، وقررت ان تقتفى اثر زوجها !

واقتربت ساعة الظهيرة ، عندما توجه « كيفالوس » الى مكانه الذى اعتاد ان يستريح فيه ، وكانت « بروكريس » تختبئ على مقربة منه . وما ان بدا « كيفالوس » مناجاته قائلا : « ايها النسمة العليلة .. تعالى .. » سقطت بروكريس مفشيا عليها ، وهى تتأوه بصوت خافت . واذا ظن « كيفالوس » ان هناك حيوانا مفترسا يكمن فى الاحراش ، صوب رمحه الذى لا يخطئ الى قلب الاحراش ، واطلقه .. فاتجه الى صدر زوجته واخرقه على الفور ، فاصاب منها مقتلا ! .. وهكذا ماتت « بروكريس » بين ذراعى « كيفالوس » ، وسط بكاء الحوريات ودموع ارباب الغابة

أمين سلامة



الحضارة اليونانية .. في صحوة الموت !

♦ انتهى بنا «رينيه سيدللو» - في الحلقة الماضية من «تاريخ العالم» - الى وصف انهيار امبراطورية اليونان ، وذكر ان مصر كانت البلد الوحيد الذى صان الحضارة اليونانية ، دون ان يؤثر ذلك فى طابعه القومى .. بل ان هذا الطابع طغى على الاسرة الحاكمة المنحدرة من اصل اغريقى - وهى اسرة البطالسة - فصبغها بالصبغة الفرعونية .. وهو يبدأ هذا الفصل باستعراض ما يمكن ان نسميه «صحوة الموت» ، التى سبقت تداعى هذه الحضارة !

الازدهار .. يودى الى الاضمحلال !

♦ ازدهرت التجارة فى كافة ارجاء شرقى البحر الابيض المتوسط ، كما تقدمت الملاحة وفنونها ، وعرفت نظم التأمين ، والمصارف ، والائتمان (القروض) ، والفوائد المصرفية ، وتحويلات العملات الاجنبية . وكانت الازون المصرفية - « الشيكات » - رائجة الاستعمال . ولكن الثروات اخذت تتضخم فى ايدى الاغنياء ، وكان استخدام العبيد سببا فى انخفاض اجور العمال الاحرار ، الامر الذى جعل حياة الفقراء ضنكا ، وادى الى تفكك الاسرة ، اذ اضطرت المرأة للنزول الى ميدان العمل ، واستطاعت ان تبلغ فى ذلك شأوا بعيدا ، حتى لقد كانت منهن من مارست الحمامة والهندسة المعمارية . وتوطدت مكانة المرأة حين تولت كليوباترا الحكم - فى سنة ٨٠ ق م - بيد ان اشتغال المرأة بالاعمال ، صرفها عن انجاب الاطفال ، فاصبحت هناك أزمة تهدد بعض البلاد - كاليونان وجزر بحر ايجه - بسبب تناقص السكان ! وهكذا أدى ازدهار الحضارة اليونانية الى موتها ! .. فالى جانب تفكك

الاسرة بسبب الفقر ، كان ازدياد الثروة فى ايدى الاغنياء سببا فى اغراقهم فى الترف والفساد .. وآن لمشعل الحضارة أن ينتقل اخيرا الى ايد اخرى !

العالم مدين لليونان بالكثير !

♦ على أن ذكر اليونان لم يمت بموت هذه الحضارة ، اذ كانت « استاذنا » علم الدنيا والبشرية معانى الجمال .. جمال الفن والعمارة ، وجمال الادب ، وجمال الفكر .. مما تتمثل صور منه فى انتاج هوميروس ، وايسوب ، وهيرودوت ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو طاليس ، وسوفوكليس ، ويوروبيديس ، واريستوفين ، على تباين ميادين انتاجهم ..

واقترن اعلاء شأن الجمال باعلاء شأن القوة والكمال البدنى ، فخلد اسم « هرقل » ، وظهرت الالهاب الاوليمبية التى كانت تقام مرة كل اربعة اعوام ولم يكن للخير والصدق عندهم مذاهب ، ولا كانت لآلهتهم صفات الخلود والسمو ، بل انهم كانوا يصوغون آلهتهم من اوساط البشر ، فلم يحاولوا أن ينزهاها عن ضعف البشر وشهواتهم ! .. ولم تكن الحقيقة هدفنا اسمى لفلاسفتهم ، ومن ثم نرى « ابيقور » يمجّد الفريزة البشرية ، بينما كان « ديوجين » يسخر من الطيش البشرى .. ومع انهم كانوا متأخرين فى الحساب ، الا انهم اوتوا موهبة فطرية فى علم الهندسة والنظريات الهندسية ، وفى هذا المجال خلدت اسماء : اليس وفيثا غورس ، ويوكليد ، وهيباركس - الذى ابتكر علم حساب المثلثات - وابولونيس وارشميدس ..

كذلك ترك الاغريق ثروة فى علم الاحياء ، وما زال هيبوكراتس - ابو قراط - يعتبر « اب الطب » حتى اليوم . وتقدمت دراسة الارض والكواكب ، فعرفوا أن الارض تدور حول نفسها ، واكتشف « اريستارخوس » انها أيضا تدور حول الشمس ، وان الشمس مركز الكون الذى تؤلف الارض جزءا منه . وقد انقضى سبعة عشر قرنا قبل أن يعود الجنس البشرى الى ادراك هذه الحقيقة .

وفى الناحية المادية ، اعطى الاغريق واليونان الجنس البشرى أشياء اخذ التقدم العلمى والفنى يرقى بها على مر القرون نحو الكمال . من ذلك الترس وعجلة الساقية والطاحون الهوائية ، والساعة التى تسير بالضغط المائى ، والمرساة ، وكثير من اساليب رسو السفن على الشواطىء . ولعل من اهم ما تلقته الانسانية عن الاغريق ابتكار العملة المعدنية وسكها .. ولا يزال العلماء يستخدمون - بعد سقوط اثينا بالفى عام - اسماء اغريقية لأجهزتهم وادواتهم العلمية !

الحضارة في بلاد بوذا

♦ كان عبور الاسكندر (الاندوس) وبلوغة ضفاف (الجانجز) اول اتصال بحضارة الهند ، اذ كان الآريون قد فرضوا سلطانهم على اهل تلك البلاد قبل ذلك بوقت طويل . . . وكانوا مثلهم يعبدون عناصر الطبيعة ، ويقدسون السماء والنار ، وكانت لهم كتبهم المقدسة « الفيداس » المكتوبة باللغة السنسكريتية ، وقد عدل كهنتهم - « البراهمة » - الدين البرهمي لمصلحتهم الخاصة ، فقسموا الناس الى طبقات ، وفصلوا الكهنة والمحاربين والفلاحين الذين ينحدرون من اصل آرى ، عن جمهور غير الآريين

وفي سنة ٥٦٠ (ق . م) ولد لأسرة « ساكياس » النبيلة - شمالي (بناريس) - ولد لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره ، حتى نبذ الحياة الارستقراطية ، واصبح راهبا ، لم يلبث استغراقه في التأمل ان اوحى اليه بدين جديد . . . ذلك الامير الراهب هو : « بوذا » . وكان الدين الذي راح يبشر به ، يهدف الى الخير ، وضبط النفس ، والزهد ، والتقشف . . . وسرعان ما انتشرت البوذية التي لا تعرف الفوارق بين الطبقات او العناصر ، والتي تدعو الى مساعدة الضعيف . وبعد انحسار المد المقدوني عن الهند - في سنة ٢٦٠ ق . م - اعتنق الملك « اسوكا » نفسه العقيدة البوذية ، فكانت هذه نقطة تحول ، اذ اجتاحت الدين الجديد بلاد الهند ، وامتدت تعاليمه الى سيلان والهند ، كما سرت غربا حتى التقت بالحضارة الاغريقية غربى (الاندوس) . وكان التقاؤهما هذا منبئا لحضارة جديدة امتزجت فيها حضارة الاغريق بتعاليم البوذية . . . وزحفت هذه الحضارة الجديدة الى الصين ، لتكون الهاما لفنانيها .

صراع . . في الشرق والغرب !

♦ وكانت الصين تحمل مشعل التقدم في الشرق ، كما كانت تحمله بلاد اليونان في الجانب الآخر . . . بيد ان تأثير الحضارة الاغريقية على العالم ، كان يتسم باتصال مباشر لم يتح مثله لحضارة النهر الاصفر . ومع ذلك فقد كانت الحضارتان تسيران جنبا الى جنب ، وفي تشابه يكاد يكون تاما . فقد كانت مدن الصين - كمدن اليونان - في حروب وتناحر ، ثم خرجت البلاد من هذه الفوضى لتتنقسم على نفسها ، وتتمزق الى ممالك - او امارات - متنازعة . . . وكان العهد الاقطاعي في الصين شبيها بذلك العصر الذي ورد ذكره في « الالياذة » عن اليونان : في الصراع الذي كان يدور بين السادة كبار الملاك ، وفي ظهور المفكرين والفلاسفة ! . . . وقبل ظهور سقراط بامد طويل ، ظهر في الصين - في سنة ٥٠٠ ق . م - « كونج فوتسى » ، الذي عرفه العالم باسم

«كونفوشيوس» ، ينبىء الناس بأن عليهم أن يعرفوا أنفسهم اذا شاءوا أن تتحسن حالهم ويرقوا ..

عصر الانبياء والحكماء

♦ ومن المصادفات العجيبة ان القرن الذى تردد فيه صوت « كونفوشيوس » شهد قيام انبياء اليهود يدعون الى الايمان بالله واحد ، وسمع « صولون » و « زورواستر » و « بوذا » يحاولون ان يهدوا الناس الى خير السبل والاهداف !

على ان حكمة الصين ظلت فى قرارها طلسمًا ، وطقوسًا تتمثل فى حركات سحرية وموسيقية .. ولم تحل هذه الحكمة دون استمرار السادة الاقطاعيين فى تناحرهم وحروبهم .. واخذت فنون الحرب تتطور خلال معاركهم ، ووحشية المنتصرين تزداد ، حتى لقد كانوا يلقون باطفال سبائهم فى الماء المفل ، ويقطعون اوصال النساء !

وكما ظهر الاسكندر المقدونى فى اليونان ، ظهر « تشى هوانج تى » فى الصين ، فى سنة ٢٣٠ ق . م . ففضى على غرماه تباعا ، ووفق الى بناء امبراطورية صينية راح يستغلها لمصلحته الخاصة . ففرض عليها نظاما اداريا مركزيا ، وقضى على الفردية الاقليمية بأن راح ينقل السكان من مواطنهم الى اصقاع اخرى فى الامبراطورية على نطاق واسع . ووحد القوانين والموازين والمكايل والعملة التى كانت تسك من البرونز . ولعل من المدهش ان نعلم انه حدد كذلك عرض الطرق وعرض محاور عجلات المركبات ، كما وحد الكتابة .. ومع ذلك فقد كان يزدرى الفلاسفة !

وقد امتدت امبراطورية « تشى هانج تى » من النهر الاصفر الى النهر الازرق ، بل وتجاوزته . وفى سنة ٢١٥ ق . م . شيد سور الصين العظيم ليصون الامبراطورية من غدر اعدائه : قبائل « الهون » وهى قبائل رحالة تركية مفولية ..

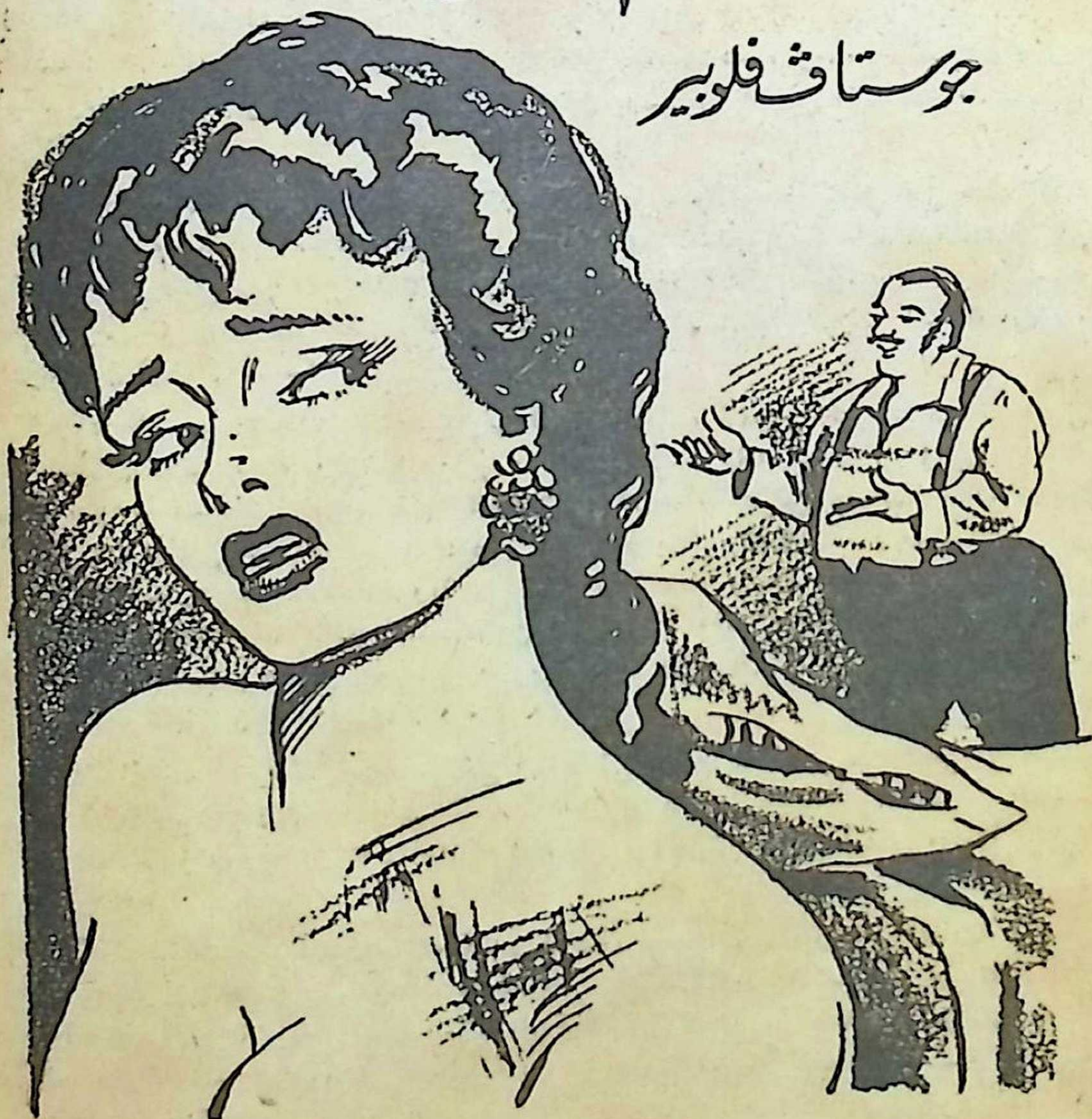
وكما تفككت امبراطورية الاسكندر المقدونى بوفاة ، فان امبراطورية « تشى هوانج تى » انحلت بموته ، اذ لم يكن بين خلفائه من يقوى على المضى فى سياسته ، فسرعان ما ارتدت البلاد الى احضان الفوضى ، فضعفت شوكتها بينما كان اعداؤها - من القبائل البربرية - يتربصون فى ارتقاب اللحظة المناسبة ليضربوا ضربتهم .

« يتبع »

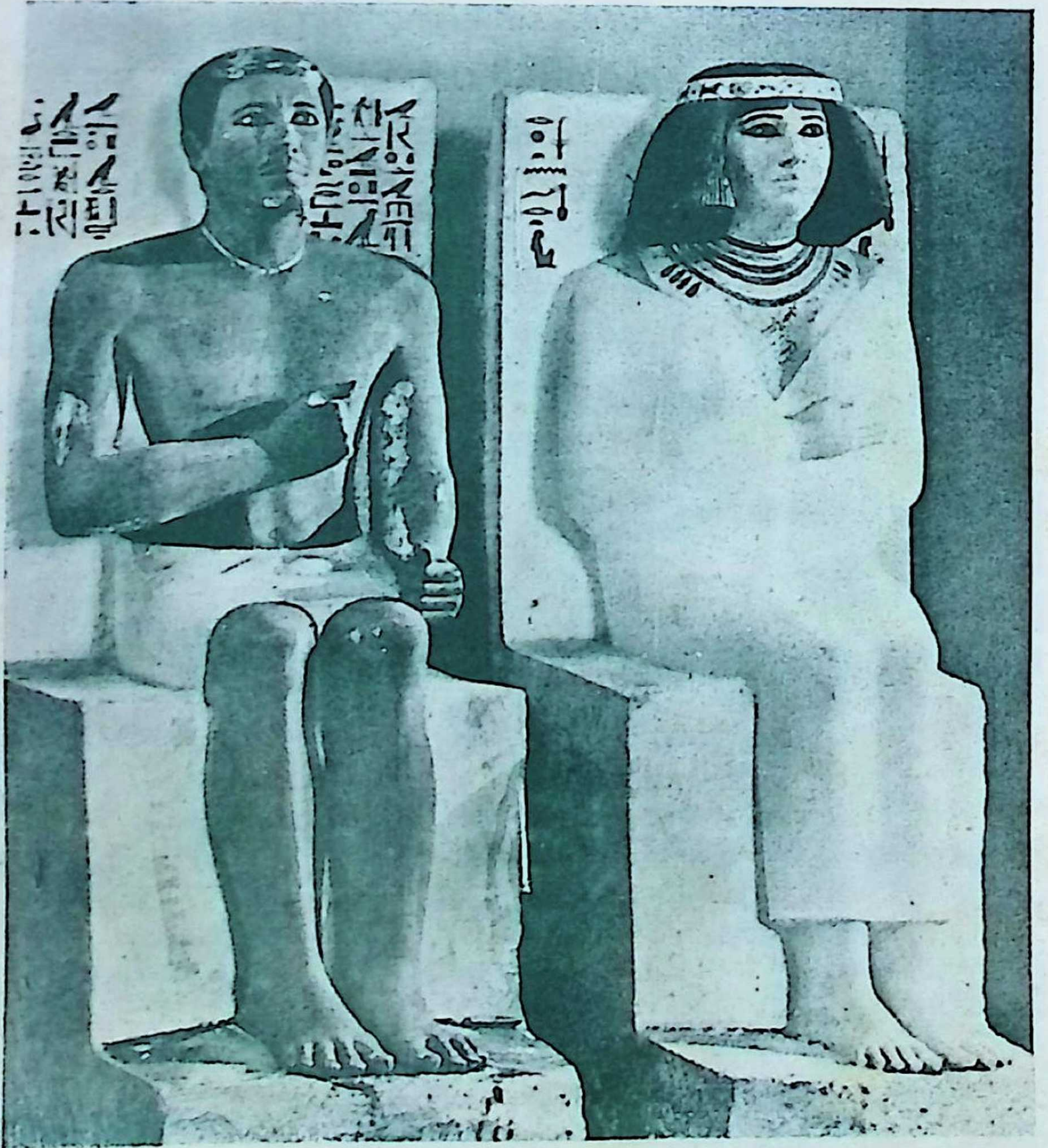
اقرأ في منتصف يناير تحفة «جوستاف فلوبر» الخالدة

مَدَامُ بُوْقَارِي

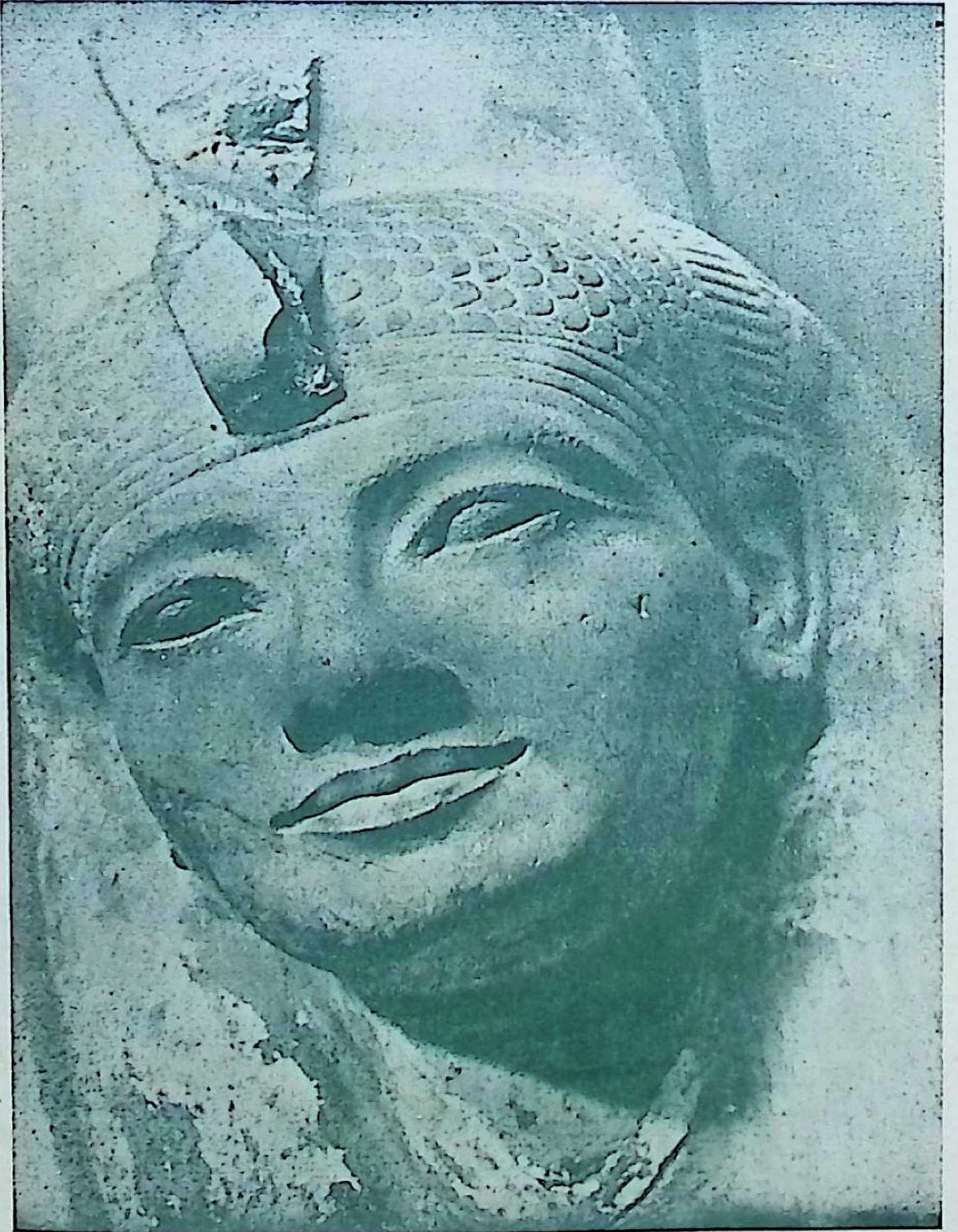
جوستاف فلوبر



MADAME BOVARY



في أحد ابهاء المتحف المصرى يرى هذا التمثال الذى يمثل « راحوتب »
وزوجته « نفرت » ، (من الاسرة الخامسة ، حوالى عام ٢٤٠٠ ق م)
وترى الزوجة وقد ارتدت معطفا لا تبرز منه غير يدها اليمنى ، وعلى
راسها شعر مستعار وشريط محلى برسوم الازهار



تمثال بمتحف القاهرة لرأس ملكة من أسرة « حورحوب » ، (أواخر الأسرة
١٨ - حوالي ١٣٢٠) ، ويرى على رأسها التاج المزدوج للوجهين القبلي
والبحري ، وقد بدت في زى الالهة « موت »



مطبوعات كتابي

يصدرها : هاشمي مراد

أخيرًا.. تناع للقارئ العربي

فرصة قراءة النص الكامل للقصة
الجيازة التي اعتبرها «موسم»
و«اندرية موروا» احدى «أعظم عشر
قصص طويلة في أدب العالم» !

مرام بوقاري

للروائي الفرنسي الكبير «جوستاف فلوبير»
القصة التي هوكم مؤلفها على أثر نشرها
بتهمة افساد الأطفال .. فبرأت المحكمة ،
ومجبت المحافل الأدبية في العالم كله !
اقرأها في عدد منتصف يناير بنصها الكامل
- لأول مرة - مذيعة بمحاضر الجلسات
التاريخية لمحاكمة مؤلفها .. ونصوص
مرافعة الاتهام ضده .. ودفاع المجدد
عن نفسه ، وعن الأدب !

